الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

الازدّواج اللّغوي وأثره في التّواصل الاجتماعي

المجتمع الجزائريّ أنموذجا

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللّغة العربية وآدابها

تخصّص: تعليميّة اللّغة العربيّة

إعداد الطّالب:

لعيساوي عبدالقادر

إشراف الأستاذ :

أ.د.بوهادي عابد

أعضاء لجنة المناقشة

رقم	الاسم واللّقب	الرّتبة	مؤسسة الانتماء	الصّفة
01	قاسم قادة	أستاذ دكتور	جامعة تيارت	رئيسا
02	بوهادي عابد	أستاذ دكتور	جامعة تيارت.	مشرفا ومقرّرا
03	حميداني عيسى	أستاذ دكتور	جامعة تيارت	مساعد مقرّر
04	حمداني محمد	أستاذ محاضر"أ"	جامعة غليزان	عضوا ممتحنا
05	مصابيح محمد	أستاذ دكتور	جامعة تيسمسيلت	عضوا ممتحنا
06	بولعشار مرسلي	أستاذ دكتور	جامعة تيسمسيلت	عضوا ممتحنا

السّنة الجامعية: 1444هـ.1445هـ/ 2023م–2024م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

فعملا بقول الله عزّ و جلّ:

﴿وَإِذْ تأذّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأزيدَنَّكُمْ...﴾ إبراهيم /07

فإنّني أحمد الله وأشكره، فهو المستحق للحمد و الثّناء. وعملًا بهدي الرّسول صلى الله عليه وسلم: "**من لا يشكر النّاس، لا يشكر الله**". أخرجه التّرميذي في سننه.

أتقدّم بخالص الشّكر والتّقدير إلى القائمين على هذه الجامعة، جامعة ابن خلدون تيارت- الجزائر-، على رعايتها لطلابها وباحثيها وتزويدهم بالمهارات والمعارف البشرية في الدّراسات الجامعية والدّراسات العليا، وإلى كليّة اللّغات والآداب في دراسة اللّغة العربية وعلومها، نسأل الله العظيم أن يوفق القائمين عليها ويُسدّد خطاهم على طريق الخير.

ثمّ أتوجّه بالشّكر الجزيل إلى المشرفيْن على هذه الرّسالة: المشرف الأوّل، الأستاذ الدّكتور/ **بوهادي عابد**، والمشرف المساعد، الأستاذ الدّكتور/ **حميداني عيسى**، نائب عميد الكلية، و منسق الدّراسات العليا على جميع الأعمال الخاصّة بالتّسجيل في هذه الكلّية العريقة، كلّ ذلك برعاية عميد الكلّية، الأستاذ الدّكتور/ **زروقي عبد القادر** ، لهم جميعا خالص الشّكر والامتنان والعرفان بفضلهم ومقامهم عندي، وجزاهم الله الخير كلّه عما قدموه لي من عون ونصح وتوجيه وإرشاد، نسأل الله العظيم الجليل أن يمنّ علينا وعليهم بالعافية وحسن الخاتمة والإخلاص في القول والعمل آمين.

وفي الختام أقدم الشّكر وافرا للأساتذة الفضلاء على قبولهم الدّعوة إلى المشاركة في مناقشة هذه الرّسالة العلمية، وعلى جهودهم الطّيّبة في تقييمها ولله الحمد في الأولى والآخرة، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إهداء

إلى والدي في دار البقاء، كلّ الدّعاء لكما بالرّحمة والمغفرة وحُسْن الجزاء

وقل ربّ ارحمهما.

ثمّ إلَى :

أفراد العائلة الكريمة الإخوة والأخوات، الزّوجة والأبناء، متّعكم الله بالعافية.

مقدمة

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، خلق فقدَّر، وملك فدبَّر، وشرع فيسَّر، سبحانه ما أعظم شأنه، ومُلْكه وسلطانه، وما أوسع غُفرانه، ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير.نَحمده سبحانه ونشكره، ومن مساوئ أعمالنا نَستغفِره، والصلاةُ والسلامُ على سيد الخلق ورسول الحق؛ سيدنا محمد صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه وسلّم.

أما بعد:

اللغة مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية، وخاصيّة من الخواص البشريّة، بها ارتقى الإنسان إلى أعلى مقامات العلم والمعرفة عبر مراحل التّاريخ، ومن خلالها – على اختلاف أشكالها وأنماطها– تمّ التّواصل بين بني البشر،جعلها اللّه –سبحانه– فطرة إنسانية لاستمرار الحياة من خلال سنّة التّعارف الّتي لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها، ولا العيش بمنأى عن مقتضياتها الرّوحية والعقلية والمادية، فاللّغة وعاء الفكر، وحافظة التّاريخ، وأداة الحاضر والمستقبل للشّعوب مهما اختلفت أعراقها وحضاراتها وقوانينها.كما أنّها أوثق رابطة بين الأجيال المتعاقبة، وهي وعاء التّجارب الشّعبية والعادات والتّقاليد.

واللّغة ظاهرة اجتماعية، وهي مؤسسة سياسية مكرّسة في دساتير كلّ الدّول، بالإضافة إلى كونها مرفقًا اجتماعيًا، فهي في الاستخدام الإنساني وسيلة صوتية للإبانة عمّا في النّفس والعقل من مشاعر وأحاسيس، فهي وسيلة من وسائل البيان، قال تعالى:﴿**الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾**الرَّحْمَن،** يستطيع الإنسان بواسطتها أنّ يظهر أصله العرقي والدّيني وانتماءه الطّبقي والجغرافي والجنسي ومستواه الثّقافي والمعرفي. وهي بعد كلّ هذا وسيلة للرّقي الاجتماعي، وسبب من أسباب الاستقرار السّياسي، فاللّغة ليست رموزا ومواصفات فنية فحسب، ولكنّها إلى جانب ذلك منهج و فكر وأسلوب وتصوّر لواقع الأمّة و رؤية شاملة لقضاياها ومشاكلها.

وكان النّاس قديمًا على لسان واحد، ثمّ تشعبّت لغاتهم حين تكاثر النّوع الإنساني، فصار لكلّ قوم لسان، به تعاليم الدّين والدنيا التّي أوحاها الله إلى النّبيين من آدم إلى محمد عليهم أزكى الصّلوات والتّسليم، وهكذا نجد أنّ حاجة الإنسان إلى اللّغة أمر لا مفرّ منه، وشرط من شروط تواصله مع الآخرين لاستمراره وبقائه في الحياة، وتطوّره ونزوعه إلى حياة أفضل تسودها نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية، نتيجة التّطور الفكري وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، وقد أدّى تطوّر البحث اللّساني وانفتاحه على علوم جديدة تتقاطع مع اللسانيات في الفلسفة والمنهج إلى ظهور علم اللّغة الاجتماعي، الذي أدّى بدوره إلى اكتشاف ظواهر لسانية طارئة في اللّغة، من هنا جاءت أهمية هذا البحث، الذّي حاولت الكشف فيه عن ظاهرة مهمة من ظواهر اللّغة العربية، فجاء موسوما، ب**"الازدّواج اللّغوي و أثره في التّواصل الاجتماعي"" المجتمع الجزائري أنموذجا"**.

فقضية الازدّواج اللغوي من القضايا المهمة، في الدّراسات اللّغوية والاجتماعية المعاصرة لما لها من أهمية بالغة، على تعلّم اللّغات، وتعليمها، وبالأخص تعليميّة اللغة العربيّة، الأمر الّذي جعلها مركز الاهتمامات الحالية للباحثين والمدرسين، من مجالات وحقول معرفّية متعدّدة كاللسانيّات واللّسانيّات الاجتماعيّة، وعلم الاجتماع اللّغوي وغيرها. لذلك أصبح الخوض في قضيّة الازدّواج اللّغويّ أكثر من ضرورة، في وقتنا الحالي لانتشار هذه الظّاهرة وتناميها في معظم الدّول، لأنّه لا يمكن لأحد أن يتجاهل أو ينكر أهمية اللّغات في هذا العصر.

في حين يعتبر الازدّواج اللّغويّ ظاهرة طبيعيّة، لدى كلّ الشّعوب والأمم، حيث يعتبره البعض إحدى خصائص المجتمعات المعاصرة، والّتي تتميّز باستعمال لغات عدّة، ولما كان المجتمع الجزائريّ كغيره من المجتمعات يعيش تضاربا لغويا بين الأحاديّة والتّعدّد، فهو لا يمثّل استثناء على هذه القاعدة، حيث إنّ الواقع اللّغويّ لهذا المجتمع يتميّز بطابع التّعدّدية اللّغوية بين اللّغة العربيّة وغيرها من اللّغات المحلّية والأجنبيّة، وعلى رأسها اللّغة الفرنسيّة، هذه التّعدّدية تتّخذ شكلين هما (الثّنائيّة اللّغويّة) و(الازدواجية اللّغويّة)، الأمر الذي انعكس على تعليم اللّغة العربيّة في المدرسة الجزائرية، وجعلها تعيش وضعيّة قوّة وضعف، نظرا للعلاقة القوية الّتي تربط التّعدّد اللّغوي بالتّعليم.

والتّعدّد اللّغوي من أكثر المواضيع، الّتي جعلتها المدرسة على رأس اهتمامها، وأولوياتها لما لها من آثار متعددة، ما جعل متّعلم اللّغة في حالة من التّناقض، بين ما يسمعه في الشّارع وما يتلقاه في المدرسة، الأمر الذي انعكس على وضعية التّعليم و منه على وضعية التواصل، وأحدث آثارا جانبيّة في المجتمع تطال الهوية الوطنيّة والثّقافّية، وتفرض سيطرة كاملة للغات الأجنبيّة على حساب العربيّة.

وليس يسهل على المرء التّطرق إلى موضوع كهذا، بالنّظر إلى تشّعبه، و إلى ما يتطلّبه من جرأة في الطّرح، وموضوعية في كيفية المعالجة، ومع ذلك عزمت على جمع معلومات حول الموضوع، معتّمدا على ما تجود به المكتبة العربية من مادة للبحث، وما يفرزه الواقع اللّغوي الجزائري بشكل خاص من صراع بين النّخب في دواليب السّلطة وبين طبقات المجتمع حول التّعدد اللّغوي.

أسباب اختيار الموضوع :

يقول أحد المفكرين: إنّ أسباب التأليف عند الباحث سبعة لا تزيد و لا تنقص؛ إمّا أن يكون الموضوع جديدا فيخترعه، أو ناقصا فيتمّمه، أو غامضا فيشرحه، أو طويلا فيختصره، أو مشتّتا فيجمعه، أو مختلطا فيرتّبه، أو كان به خطأ فيصحّحه، وبحثنا هذا لا يخرج عن هذه السّبعة، فهو محاولة لتقصّي ظاهرة الازدواج اللغوي ولاسيّما الآثار التي يتركها أثناء عملية التّواصل، وهو موضوع من الموضوعات الحيّة التي مازالت على طاولة البحث تشغل فكر الباحثين في مجال الدّراسات اللّغوية والاجتماعية.

والمتتبّع للدّراسات العربية – قديما وحديثا – يجد أنّها اهتمت اهتماما كبيرا باللّغة الفصحى وقواعدها ومسائلها وتاريخها، وقد ساهم هذا الاهتمام في توفير مادّة ضخمة عن قضايا اللّغة العربية أمّا العاميّة أو الدّارجة، فقد ظلّت نافلةً لم تحظ بالدّراسة والتّأليف، ومع ذلك لم تكن غائبة في الدّرس اللّغوي العربي القديم، وبالأخصّ دراسات علوم القرآن، ولم يكن علماء العربية في غفلة عن هذا المنحى من الدّراسة، كالتأليف في غريب القرآن، ولحن العوام، ولغات القبائل،والقراءات القرآنية، وإن لم يفردوا فيه تصانيف خاصّة تجمع شتات مسائله وتضبط أبوابه وقواعده في مؤلفاتهم، لذا نجد الكثير من مباحث

هذا الباب مفرقة في ثنايا الكتب المؤلفة في شتى العلوم المتعلقة بدراسة النّصوص اللّغوية، خاصّة ما تعلق منها بدراسة القرآن الكريم، وكتب القراءات القرآنية، وكتب التّفسير واللّهجات والبلاغة والنقد، ورغم ذلك لم ينل الازدواج اللّغوي في الفكر الإنساني حقّه من الدّراسة، لمعرفة أسبابه ودوافعه، وتحديد العوامل التي جعلته طاغيا على كلّ الأوساط اللّغوية الرّسمية وغير الرّسمية، وعلى ألسنة العامّة والخاصّة، ممّا يستلزم من المختصّين التّوقف عنده والبحث فيه.

فلم يعتن اللّغويون والنّحويون الأوائل باللّهجات وأوجه اختلافها إلّا حيث يطلبها الشّاهد وتقتضيها النّادرة، لأنّهم لم يعتبروا اعتبارا تاريخيا لهذه الظّاهرة عندما عاصروا أهلها في عصور الاستشهاد على حدّ تعبير مصطفى صادق الرافعي، و لربّما كانت للعلماء الأُوّل أسبابهم التّي حالت دون دراسة لهجاتهم، كرغبتهم في التّقليل من التّعصب القبلي، أو لأنّ عملهم كان مرتبطًا باللّغة الموحدّة لفهم النّص القرآني، و الاهتمام باللّغة المشتركة و تسجيل أشعار العرب، وهو رأي طائفة من المحدثين مثل: إبراهيم أنيس وعبده الرّاجحي وفهمي حجازي وغيرهم، أو لأنّ اللّهجات كانت من الكلام المذموم، وغير المقبول وليس فيه من وجوه الفصاحة على رأي إبراهيم السّمرّائي. ومهما كانت الأسباب فإنّ إهمال أمر اللّهجات عبث بثروة لغوية تمثّل جانبا كبيرا من اللّغة العربية، أجازها الرّسول صلى الله عليه و سلم في قراءة القرآن، و عدّها ابن جني(ت 392هـ) حجّة في كلام العرب، وعقد لها فصلا في كتابه "الخصائص" سمّاه (اختلاف اللّغات و كلّها حجّة) أشار فيه إلى بعض الصّفات المشهورة عن لهجات القبائل، وأنّ بعض تلك الصّفات أشهر من البعض الآخر، وأكثر شيوعا في اللّغة، ولكنّها جميعا ممّا يُحتج به، فالنّاطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ.

وفي الحقيقة أنّ هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، دفعتني إلى البحث في موضوع الازدواج اللّغوي، نوجزها فيما يلي:

– فقد دفعني إلى البحث في موضوع كهذا، ما فيه من جدّة، بالإضافة إلى قلّة ما كُتب فيه، وهو أمر يسير لا يُؤبه به، ولم أعثر على عمل متكامل في الأمر كلّه، إلّا بعض الإشارات من هنا وهناك.

– ظاهرة الضّعف اللّغوي، رغم كثرة ما كُتب فيها، وكثرة ما قيل عنها ، فلا تزال هاجسا مؤرقا، و بخاصّة للمختصّين لإدراكهم بُعدها وحجمها وخطورتها، وهي مشكلة لا يعالجها حلّ واحد، ولا يجدي في علاجها خبير واحد، ومهما يكن، فلا بدّ أن نتلمّس لها الحلول، لنختصر الفجوة الواسعة بين الفصيحة والعاميّة في لغتنا العربية.

– عامل التّخصّص العلمي، وهو معيار أساسي في اختيار الموضوع، كون الازدواج اللّغوي موضوعا لسانيا، يندرج في مجال الاتّجاه الوظيفي في تعليم اللغة العربية يجمع بين العلوم التّطبيقيّة واللّسانيات الاجتماعية، وهو من أهم المشكلات اللّغوية والتّربوية التّي تواجه المجتمع العربي.

– ومن الأسباب الذاتية الحاسمة، ما كانت تتركه في أذهاننا بعض النّقاشات، سواءً على مستوى عال من هرم الدّولة ووسائل الإعلام، أو على مستوى وسائل التّواصل الاجتماعي، حول اللّغة الرّسمية واللّغة الوطنية واللّهجات العاميّة المتداولة في المجتمع الجزائريّ، وهي انطباعات وأسئلة تخصّ هذا الكيان، خاصّة إذا ما طُعّم بأغراض سياسيّة .

– التزام مؤسسة التّكوين العلمي في جامعة ابن خلدون –تيارت– بتوجيه سياسة البحث التي تشرف عليها لتتجاوب مع أهداف المجتمع الجزائري بصورة عامّة، وما يعانيه من مشاكل لسانية كالتّعدّد اللّغوي وانعكاساته على العلاقات الاجتماعية، بالإضافة إلى القيمة العلمية لموضوع الازدواج اللّغوي.

إشكالية الدّراسة:

إنّ الخطاب العولمي والرّهان الثّقافي العالمي، ووسائل الإعلام، وعوامل أخرى كالاستعمار والعوامل الجغرافية والاقتصادية، ساهمت بشكل أو بآخر في بروز الازدواج اللّغوي كظاهرة عامّة، تمسّ أغلب شعوب العالم، ويشير أحد الباحثين إلى العاقبة الوخيمة التّي تنتظر الأمّة العربية، إذا ما وُضع منهج لدراسة اللّهجات، وأُقرّت كلغات رسمية في الأقطار العربية، هذه العاقبة الوخيمة هي التّمزّق الذّي يطال الأمّة من شرقها إلى غربها، ولا يقف عند هذا الحدّ، بل يمتدّ إلى القطر الواحد بسبب تعدّد لهجاته المحليّة، فتتّسع رقعة التّقسيم، وتزداد عوامل التّمزّق بين أفراد الأمّة.

إنّ الإشكالية الرئيسية التي قام عليها هذا البحث متعلقة بالتّساؤل عن الفروق اللّغوية بين لغة الفكر، ولغة الحديث اليومي، وهو ما يُعرف حديثًا ب"**الازدواج اللّغوي**"، وفاعلية كلّ من المنوعتين في التّواصل الاجتماعي، فإذا كانت الازدواجية أداة للضرورة من وجهة النّظر الاقتصادية والإعلامية، فإنّها من الوجهة القومية والتّعليمية وحتّى الدّينية معقّدة، ورمز للصّراع الاجتماعي، ومن وحي هذه المقاربة، تنبثق هذه الدّراسة، التّي تبدو متسلحة بنظرة جديدة ترمي من ورائها إلى إثارة جدل حاد حول هذه الظّاهرة المشكلة، قد يفضي بالضرورة إلى تساؤلات جادّة، تفضي بدورها – إذا أُحسن توظيفها– إلى رؤية أو تصوّر قد يقترب من حلّ ممكن، يكون بالضرورة مقاربًا للفصحى من جهة، ومسايرًا للواقع من جهة أخرى.

فهل يصدق هذا الحل على اللّغة العربية في ظلّ استشراء الهجين اللّغوي، بين لغة الكلام ولغة الفكر في المجتمعات العربية؟، أم هل للّغة العربية وضع خاصّ يختلف عن غيرها من اللّغات؟، وكيف يتسنى لنا أن نحافظ على اللّغة العربية في ظلّ صراع الهُويات،وفي ظلّ ازدهار سوق التّواصل عبر مواقع التّواصل الاجتماعي ؟

هل من سبيل إلى معالجة المعضلة اللّغوية العربية ضمن خطاب يحتكم إلى اللّسانيات، بوصفها العلم الإنساني الشّامل الذّي يستجيب لشّروط الموضوعية العلمية ؟ بانفتاحه على أنساق معرفية مختلفة، تتقاطع مع العلوم الإنسانية والاجتماعية في أغلب فروع المعرفة كاللّسانيات الاجتماعية واللّسانيات النّفسية، والإعلامية والحاسوبية، والقانونية والتّربوية، وأصبحت اللّسانيات جسراً تعبره كلّ العلوم في محاولة لتحصين مواقعها ونتائجها، على حدّ تعبير الأنتروبولوجي الفرنسي" كلود ليفي ستراوس *claude lifi straus*

وهل يفلح العرب في كسب رهان التّاريخ بواسطة اللّغة الأجنبية، أو بواسطة العاميّة ؟ إذا تخلّوْا عن لغتهم الفصحى، ذات المواصفات القومية، التّي تتجذّر في الوعي الفردي كما في الوعي الجمعي، و رمز الهُوية و الانتماء؟ كيف يمكننا أن نتوصّل إلى تدبير تعدّد لغوي دون أن نتنكر لهُوياتنا ؟ وغيرها من الأسئلة التي تساعدنا في تشخيص ظاهرة الازدواج اللّغوي في مجتمعنا العربي.

الخلفية النّظرية للبحث:

إنّي مع طول بحث واستقصاء، لم أجد بحثا تناول هذا الموضوع بدراسة مستقلة في العصر الحديث، فإنّ البحث في قواعد اللّهجات العربية لم ينل من الدرس العربي الحديث أي اهتمام، باستثناء محاولات متفرقة قام بها بعض الباحثين أمثال: الأستاذ، أحمد مختار عمر، وإبراهيم أنيس، وسنرى أن النّظريات والأبحاث في دراسة تاريخ العربية، والجوانب الاجتماعية واللّهجية لم تُقدَّم من قبل باحثين عرب، بل كانت لباحثين أوربيين في غالبيتهم، فأوّل من كتب عن الازدواج اللّغوي في اللّغة العربية، هو الفرنسي وليام مارسيه (wiliam marcais)، بمناسبة الذّكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، وكان ذلك سنة 1930م.

وكتب عن الظّاهرة اللّساني الأمريكي تشارلز فيرجسون (charle ferguson)، وكان ذلك في مقال له في مجلة (word) سنة 1959، وإذا نظرنا إلى تاريخ الازدواجية في اللّغة العربية، وجدنا الكثير من الباحثين يشير إلى امتدادها إلى العصر الجاهلي، وحسبك أنّ الإسلام يَسّر عليه في قراءة القرآن على سبعة أحرف كما جاء في الحديث النبوي الشريف.وقد اعتمدت في هذه الجولة العلمية على بعض الدّراسات، وقد تنوّعت مصادر البحث ومراجعه؛ بين كتب اللّغة، والنّحو، واللّسانيات والعلوم الاجتماعية، وكتب التّفسير، والقراءات، ومجموعة من الدّوريات والرّسائل، وهذه بعضها:

-أبو عثمان، الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،ط5، 1405هـ.

-عبد الرحمن ابن خلدون، المقدّمة، تحقيق، درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا،ط 2، /2000م.

-أبو يعقوب السّكاكي، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور،دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987م.

-لويس جان كالفي،حرب اللّغات، تر: حسن حمزة، مركز الدّراسات العربية، بيروت، ط 2008.

-عبد السلام المسدي، الهُوية العربية والأمن اللّغوي،توثيق المركز العربي للأبحاث و السّياسات اللغوية، الدوحة، قطر، ط 1، 2014م.

-هادي نهر، اللّسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، أربد، الأردن، 2010م.

-أبو الطيب اللغوي الحلبي، الأضداد في كلام العرب، المجمع العلمي العربي، دمشق، ط2، 1996م.

-مختار الغوث، لغة قريش، دار المعراج الدّولية للنشر، الرياض، المملكة العربية، ط1، 1997م

-البرهان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، و المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم.

-كتاب التّعدّد اللّغوي انعكاساته على النّسيج الاجتماعيّ لمحمد الأوراغي، و كتاب الجزائريون والمسألة اللّغوية لخولة طالب الإبراهيمي، وغيرها من المراجع العربية والأجنبية.

أهداف البحث: تهدف هذه الدّراسة إلى:

– التّعرّف على الازدواج اللغوي ومناهج دراسة الظّواهر الاجتماعية.

– تقصّي آثار الازدواج اللّغوي في التّواصل الاجتماعي ومعرفة أشكال ذلك التّأثير.

– وصف وتحليل الممارسة اللّغوية، والبحث عن علاقة التّنوع اللّغوي بالتّنوع الاجتماعي.

– التّوعية بخطورة التّخلي عن اللّغة العربية، دون التّفريط في اللّهجة العاميّة، لأنّها لغة الهُوية المحلية.

– الكشف عن الفروق اللّغوية بين اللّغة الفصحى ولهجاتها الدّارجة، والبحث عن أوجه التّكامل والتّداخل بين هاتين المنوعتين، والتّركيز على بُنيتها ومظاهر أنساقها.

– رصد مجموع العوامل والمؤثرات الدّاخلية والخارجية التّي أصابت المواطن العربي بالقصور والجمود في صياغة التّراكيب باللّغة العربية المنطوقة والمكتوبة، والتّعبير عن الفكر والمستوى الثّقافي.

– الإحساس بالانتماء إلى أركان الهُوية التّي هي الدّين، والثّقافة، والاجتماع، ومن ثمّ الإحساس بالعلاقة االتّفاعلية بين الهُوية واللّغة، إذ ليست اللّغة أداة للتّعبير فحسب، ووسيلة من وسائل التّواصل بين الأفراد، لكنّها شأن من شؤون الهُوية، والأمن القومي والسّيادة الوطنية.

– التّطلّع إلى تعلّم وممارسة اللّغات الأجنبية، بدليل الحكمة القائلة:"**من تعلّم لغة قوم آمن شرّهم**".

– الدّعوة إلى إنشاء مراكز قومية للمترجمين وتشجيع التّرجمة من اللّغة العربية وإليها.

– الدّعوة إلى تشجيع البحث العلمي باللغة العربية، واشتراط إتقان العربية في التوظيف والتّعيين.

مناهج الدّراسة: اقتضت طبيعة الموضوع تعاضد العديد من مناهج البحث الدّراسية من تاريخية ووصفية إلى تحليلية ومقارنة وتداولية:

المنهج التّاريخي: لوضع الظّاهرة في سياقها التّاريخي، ومعرفة حقائقها الماضية، وتتبّع جذورها الأولى، كظاهرة الازدواج اللّغوي منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحالي.

المنهج الوصفي: القائم على التّحليل والاستنباط، فالغرض من تطبيقه، وصف ما هو كائن من ظواهر لغوية واجتماعية، وتربوية ونفسية، وتفسيرها، وتحديد الظّروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، وتحديد طبيعة الممارسات السّائدة بين الأفراد والجماعات، وطرائق نموّها وتطوّرها. والمنهج الوصفي من شأنه الإحاطة ببعض جوانب هذا البحث، هذا المنهج يعين الباحث على وصف الوقائع العلميّة، وهو المنهج الّذي يتناسب مع هذا النّوع من الدّراسات، والّذي يقوم على وصف ظاهرة التّعدّد اللّغوي وتحليلها وتفسيرها فضلا عن المنهج المقارن، وبقية المناهج الرّافدة الّتي اقتضاها مسار البحث.

المنهج المقارن: لبيان أوجه الشّبه، أو الاختلاف بين ظاهرتين أو أكثر، كظاهرة الازدواج أو التّعدد اللّغوي السّائد في المجتمع الواحد.

المنهج التّداولي(الوظيفي): ولأنّ الازدواج اللّغوي هو دراسة اللّغة في الاستعمال، فإنّ الأمر يفرض علينا اعتماد منهج يعتدّ بالسّياق، وأثره في بنية الخطاب ومعناه، وهو منهج إجرائي تجاوز البحث في المستوى الدّلالي إلى البحث في علاقة العلامات اللّغوية بمؤوليها (المستوى التّداولي) للكشف عن مقاصد المرسل، وكيفية توظيفه لمختلف مستويات اللّغة في سياق معين، وذلك للرّبط بين الإنجاز اللغوي وعناصر السّياق كالزّمان والمكان والظّروف النّفسية والاجتماعية، ولكلّ هذه العناصر دور في تأويل الخطاب لدى المرسَل إليه.

خطّة البحث :يرتبط إعداد خطّة البحث بطبيعة الموضوع وأهدافه، وحجم المادة العلمية التي نسعى إلى تقسيمها وفق أسس منهجية وموضوعية، لأنّ تصميم الخطّة يعكس في حقيقة الأمر محتوى متكاملا بما ينطوي عليه من أفكار و معاني ومعارف.وجاءت خطّة البحث وفق طبيعة الموضوع:

المدخل: العلاقة بين اللّغة والمجتمع.

تناول المدخل العلاقة بين اللّغة والمجتمع في إطار اللّسانيات الاجتماعية، فوقفت عند حدود كلّ مصطلح ثمّ تطرّقت إلى العلاقة بينهما، كونهما المجال الذّي يرتبط به البحث، فاللّغة ظاهرة اجتماعية، وهي أصل المجتمعات وروحها واللّسان النّاطق بثقافتها وهُويتها.

الفصل الأوّل: تناول الازدواج اللّغوي مفهومًا وتاريخًا.

ويندرج تحته مصطلح " الازدواج اللّغوي" وفيه حاولت تحديد المصطلح مفهوما وتمييزه عن" الثّنائية اللّغوية" وأوضحت لماذا آثر الباحث "الازدواج اللّغوي" دون غيره من "الثنائية اللغوية" أو" الفصحى والعامية"، ثم عرضت لمفهوم المصطلح في المدوّنات القديمة، على غرار نظرية "شارلز فيرغسون"، وهي نظرية لابدّ من الرّجوع إليها لبيان ازدواجية اللّغة في مفهومه، ثم عرض البحث منظور "جوشوا فيشمان" حول الازدواج اللّغوي، الذي يأتي ثانيا بعد فيرجسون، بالإضافة إلى آراء علماء اللّغة الاجتماعيين حول عوامل نشوء الازدواج اللّغوي، والظّواهر الاجتماعية والثّقافية والاقتصادية التّي تطرأ على المجتمع، لتغيّر في بنية اللّغة، وطرائق استعمالها، فاللّغة والمجتمع وجهان لعملة واحدة، وكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثّر به.

الفصل الثّاني: التّواصل الاجتماعي.

تناول التّواصل اللّغوي مركزا على قضية الإنتاج الكلامي الذّي يتبناه المتكلّم، والتّأويل الذّي يُوكَل إلى المخاطَب، وذلك أن الأبعاد الدّلالية التّي تتضمنها العبارة اللّغوية تساهم في التأثير على التّواصل الاجتماعي، ولهذا ينبغي مراعاة الأنساق التّواصلية من حيث الوظائف الدّلالية والمقاصد التّداولية، لنقف على الإشكالية المطروحة في هذا البحث، وهي تأثير الازدّواج اللّغوي في التّواصل الاجتماعي.

أما الفصل الثّالث: الازدواج اللّغوي في الجزائر:

فكان لوصف الواقع السّوسيو لساني في الجزائر، تناولت فيه الخارطة اللّغوية في الجزائر مبرزا وظيفة كل لغة في المجتمع، والعلاقات السّوسيو لغوية بين هذه اللّغات، والأسباب والعوامل التي أدّت إلى تكريس الازدواج اللّغوي.وتضمّن بعض **الحلول العلاجيّة للحدّ من الآثار السّلبية للازدواج اللّغوي،** وإلى تيسيره والاستفادة منه، حيث تناولت مفهوم السّياسة اللّغويّة ودورها، ثم عرّفت التّخطيط اللّغويّ وذكرت دوره في ترقيّة الفصحى، ثم تطرّقت إلى قضية التّعريب في الجزائر (التّعريب الجامعي، وتعريب المحيط الاجتماعيّ) وفي الأخير ذكرت طرقا للاستفادة من الازدواج اللّغوي في تعليميّة اللّغة العربية.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج و التّوصيات التّي خلُصت إليها هذه الدّراسة، وأهم القضايا التّي برزت في هذا البحث. واللهَ أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه إنّه جواد كريم.

تيارت، في تاريخ : 10 أكتوبر 2023

الطّالب: لعيساوي عبد القادر

مدخل

العلاقة بين اللّغة والمجتمع

توطئة:

يعتبر الإنسان هو الكائن الوحيد الذّي يتمتع بالقدرة على التّفكير المنظّم، وتكوين مفهومات وتصوّرات وأفكار مجرّدة، كما أنّه ينفرد عن بقية الكائنات بوجود لغة متطورة، يستطيع بواسطتها التّفاهم و توصيل تلك الأفكار و نقل المعلومات وتبادلها مع الآخرين، وعند علماء البيولوجيا فإنّ اللّغة خاصيّة مميزة للإنسان، في مرتبة أعلى من الخصائص البيولوجية الأخرى، كما أنّ علماء الاجتماع يعطونها أولية مطلقة على الكثير من الخصائص الثّقافية الأخرى كالفن و العلم و الدّين، بل يعتبرها علماء الحضارة أهم عامل ساعد على نشأة الحضارة الإنسانية التّي حقّقها الجنس البشري في مختلف نواحي الحياة المادية و الرّوحية على السّواء، فضلًا عن كونها أداة هامة يحتاج إليها الإنسان في اتصال كلامي مستمر بين أفراد المجتمع في الحياة اليومية العادية.

وعلى الرّغم ممّا يقوله العلماء عن نشأتها والمراحل التّي مرّت بها، – وهي أراء لا تخلو من التّخمين والافتراضات التّي لا تستند إلى وقائع محدّدة – فالسّائد أنّ اللّغة ظاهرة إنسانية بكلّ معاني الكلمة، وأنّ الله علّم أدم الأسماء كلّها، على ما جاء في الكتب المقدسة، وهي إشارات تدّل على قِدم اللّغة وتلازمها في الظّهور مع الجنس البشري، ولقد كان من الطّبيعي إزاء تعقّد ظاهرة اللّغة أنّ يتشعّب البحث فيها إلى نظريات عديدة حول كثير من المسائل، مثل طبيعة اللّغة ذاتّها، وطبيعة الدّراسات اللّغوية التّي تتناولها، والمنهج الذي يمكن اتّباعه فيها، وكلّها مسائل تخصّ اللّغة، فالكثير من علماء القرن التّاسع عشر كانوا يميلون إلى اعتبارها أقرب إلى العلوم الطّبيعية، واعتبروها كائنًا عضويًا وأنّ علم اللّغة ذاته علم بيولوجي، كما هو الحال بالنسبة للعالم أوجست شلايشر August[1] Schleicher.

واحتدم الجدل الدّائر بين علماء الطبيعة وعلماء الاجتماع حول أيّ من العلمين تنتسب اللغة، إلى علم الطبيعة أم إلى علم الاجتماع؟ لكن هذه الخلافات أتت بفوائد كثيرة منها تركيز

[1]-أوجست شلايشر August Schleicher – (1821- 1867) كان عالما للنبات ثم تحوّل إلى عالم لغوي في القرن التاسع عشر ميلادي.

البحث في اللّهجات المحلية، والاهتمام بدراسة التّوزيع الجغرافي للسّمات اللّغوية، و الازدواج اللّغوي، والتّخطيط والتّنمية اللّغوية، وعلم اللّهجات الاجتماعي واللّسانيات الاجتماعية، وغيرها من المجالات، فاللّغة تنتمي إلى كلّ من العلمين طرفي النّزاع، وعلى الباحث أنّ يختار الجانب الذي يستهويه للبحث، و يركز عليه اهتمامه، ممّا ينتج عنه اتّساع النّظرة إلى علوم اللّغة وتحديد وظائفها في الحياة الاجتماعية، فلو لم تكن هناك لغة لما كانت هناك ثقافة على الإطلاق، و ذلك لأنّ اللّغة تعدّ عاملا هاما في قيام الحياة الاجتماعية من نظم وأنساق اجتماعية و اقتصادية و سياسية و ثقافية، فلا يوجد مجتمع بشري بغير لغة و بغير ثقافة، مهما بلغ ذلك المجتمع من البساطة والبداوة، وهل لشعب حتى ولو كان شعبا جاهلا متخلفا ثروة أحسن من لغته ولغة أجداده.

ولم يعد العلماء يهتمون في دراسة اللّغة من حيث تراكيبها و قواعدها و مفرداتها، و إنّما أصبح الاتّجاه يميل نحو دراسة اللّغة كمظهر من مظاهر السّلوك الاجتماعي، ولاشك أن العلاقات بين الظّواهر اللّغوية والظّواهر الاجتماعية قائمة منذ أن وُجدت اللّغة، والنّظر في هذه العلاقات قديم لا ريب، بالنّظر إلى الجهود التي يبذلها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، وعلماء النّفس و علماء التّربية، كما أنّ العبء يقع على عاتق الفلاسفة وعلماء المنطق منذ أقدم العصور، وأنّ كتاباتهم في موضوع العلاقة بين اللّغة والمجتمع بمثابة الأساس الذّي تبدأ منه أيّة دراسة جديّة للمشكلة.

أوّلًا: مفهوم اللّغة في اللّسانيات الاجتماعية.

اللّغة ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها البشر، و منذ التقى الإنسان الأوّل مع غيره و هو يحتاج إلى وسيلة للتّفاهم، ومن أرقى الوسائل التي وصل إليها للتّواصل و التّعبير اللّغة الصوتية، و لم يُعرف مصطلح اللّغة عند العرب قبل انتهاء القرن الثّاني الهجري، واللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون، وإنّما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر، وتبادل الأفكار، وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاماً لغوياً يسير

عليه مجتمعه، فيتلقاه عنه بطريق التّعلّم والمحاكاة، كما يتلقى عنه سائر النّظم الاجتماعية الأخرى، ويصب أصواته في قوالبه، ويحتذيه في تفاهمه وتعبيره[1]

نعالج من خلال مدخلنا هذا العلاقة بين اللّغة و المجتمع، كون اللّغة هي العنصر الأساسي التّي تعمل، إمّا على الحفاظ على وحدة و تماسك المجتمع من خلال أداء دورها كأداة رابطة بين جيل و جيل، و الكاشف عن عادات المجتمع و مستوياته الثّقافية، إما تؤدي إلى انهياره جراء وجود إشكالية في التّواصل اللّغوي داخل المجتمع باعتباره الركيزة الأساسية في عملية التّواصل والتّفاعل، يقول **تشارلز فيرجسون**: "منذ وقت بعيد أكد رواد علم النّفس الاجتماعي مثل –**جورج هربرت ميد**– على أهمية اللّغة في التّفاعل الاجتماعي. و في مطلع هذا القرن (القرن العشرين) حاول لسانيون مبرزون – مثل: –**أنطوان مييه**– أن يضعوا اللّغة في مكانتها الاجتماعية، وأن يجمعوا بين التّحليل الاجتماعي و بحث التغيّر اللّغوي. وبشكل تقليدي ظلّ للّسانيات مكانتها داخل البحث الأنتروبولوجي و يقترب منه **إدوارد سابير** بقوله:"على الرغم من أنّ اللّغة لا يُنظر إليها –عادة– على أنّها ذات أهمية جوهرية بالنسبة لطلاب العلم الاجتماعي، إلّا أنّها تحكم كلّ تفكيرنا حول المشكلات والعمليات الاجتماعية[2].

نفهم ممّا سبق أنّ اللغة حلقة من سلسلة النّشاط الإنساني، وتبرز أهميتها فيما تؤديه من دور في حركة الحياة والمجتمع، إذ لا يمكن تصور مجتمع بلا لغة، ولا لغة بلا مجتمع، فلكي توجد اللغة لا بد من مجموعة ناطقة بها، فهي وأيّاً كانت لحظتها، فلا توجد خارج الواقعة الاجتماعية، ولا يتحقق وجودها إلا بفضل نوع من التعاقد بين أعضاء المجموعة الواحدة، بدليل أن الإنسان ليس مفصولاً عن العالم الذي يعيش فيه؛ فالإنسان لغة واللغة من كيان الإنسان، فلا إنسانية من دون لغة.[3]

[1]– علي عبد الواحد وافي، اللغة و المجتمع،دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي و شركاؤه، ط1، 1951م، ص6

[2]– sapir edward : the status of linguistics as a science in languge vol 05, n 4, dec 1929, p 207.

[3]– يُنظر هادي نهر،علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرة، بغداد، ط1، 1988، ص ص.(19 -18)

إنّ بنية اللّغة لها علاقة مباشرة في تمثيل البنية الاجتماعية، و معروف أنّ أية لغة لا تظلّ ثابتة، فهي في تغيّر مستمرّ، كما أنّها "تتأثر أيّما تأثّر بحضارة الأمّة، و نظمها، وتقاليدها، و عقائدها، و اتجاهاتها العقلية، و درجة ثقافتها، و نظرها إلى الحياة، و شؤونها الاجتماعية العامة... و كثيرا ما ينجم عن اختلاف النّاس في طبقاتهم وفئاتهم اختلاف في مدلول الكلمات و خروجها عن معانيها الأولى، و يؤدي ذلك إلى ما يوجد بين الجماعات النّاطقة باللّغة الواحدة من فروق في الخواص النّفسية، و في شؤون السّياسة، و الاجتماع، و الثّقافة، و التّربية ، و مناحي التّفكير، و الوجدان، و مستوى المعيشة، و حياة الأسرة و التّقاليد و العادات ... و ما تزاوله كلّ طبقة من أعمال، و تضطلع به من وظائف، و الآثار العميقة التي تتركها كلّ وظيفة ومهنة في عقلية المشتغلين بها، وحاجة أفراد كلّ طبقة إلى دقّة التّعبير و سرعته وإنشاء مصطلحات خاصّة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم[1].إنّ جميع الظّواهر اللّغويّة الاجتماعيّة تُحدث بالضرورة تغيّرًا لغويًا في لغة المجتمع؛ لأنّ هذا التغيّر اللغويَ أو التّطور هو ضرب من ضروب التّغير في التّقاليد والأعراف الاجتماعية.

وكان الجاحظ مثلا ذا نظر عميق في رؤيته للغة وتنوعاتها تبعا لتنوع بيئاتها وأهليها، وله إشارات متناثرة في كتبه:(الحيوان، والبيان والتبيين، والبخلاء، ورسائله الأدبية)؛ فقد تحدّث في أعماله عن لغة الفصحاء والبلغاء والأعراب والمولدين والنبطيين والخرسانيين والحكماء من فلاسفة ومتكلمين والعامة من سواد الناس: وتحدّث عن السّمات العامة للهجات ولغات تلك المجتمعات المذكورة آنفا، ووقف وقفة الباحث المدقق الفاحص عند بعض الظواهر المميّزة لهذه الفئة أو تلك؛ ولاسيما في مجال الأصوات ومستويات النطق، محاولًا بذلك ربط البنية الصوتيّة بالبنيتين الاجتماعيّة والثقافيّة.

ومن كلماته في هذا المجال قوله:"وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربيّة المعروفة، ويكون لفظه متخيّرًا فاخرًا ومعناه شريفا كريمًا، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنّهُ

[1]- علي عبد الواحد وافي، اللغة و المجتمع، مرجع سابق، ص9 ما بعدها.

نبطيّ، وكذلك إذا تكلم الخرسانيّ على هذه الصّفة، فإنّك تعلم مع إعرابه، وتخيّر ألفاظه في مخرج كلامه أنَّهُ خرساني، وكذلك إذا كان من كتاب الأهواز[1].

على إثر ذلك باتت اللّغة واحدة من أشدّ الظّواهر الإنسانية تشعّبا وتعقّدا باعتبارها نظاما معقدا من الرّموز التي تحمل في طياتها معاني مختلفة، فهي من أهم المنافذ المستخدمة من أجل الولوج إلى عمق الثّقافة والبنية الاجتماعية للناس، بل وصياغتها وتوريثها لتكون بذلك واحدة من أهم العوامل الأساسية في تكوين وبناء المجتمع، لتشارك وبشكل أساسي وفعال في تحديد الهُوية الجماعية للمجموعة البشرية التي تتحدّث بها، هذا الذّي يؤكد على وجود علاقة بين كلّ من اللّغة و المجتمع، فهما وجهان لعملة واحدة، فلا مجتمع بدون لغة، ولا لغة بدون مجتمع.، إلا أنّ هذه العلاقة قد تغيّرت نوعا ما في ظلّ التّطور العلمي و التّكنولوجي الهائل الذّي نعيش فيه اليوم، ما ساهم وبشكل كبير في تحوّل منحى اللّغة و انحرافها عن مسارها وسياقها الصّحيح، بالشّكل الذّي طرح إشكالية التّواصل اللّغوي في المجتمع و صعوبة تحديد العلاقة بين اللّغة كوسيلة اتّصال و تواصل، و المجتمع باعتباره الوحدة الأساسية للتفاعل.

ورغم أنّ البعض يحاول أنّ يرصد العلاقة بين اللّغة و التّواصل، بوصف اللّغة وسيلة من وسائل التّواصل، إلّا أنّه يسلّم في الوقت ذاته أنّ الفرد يتوسّل بأكثر من وسيلة في التّعبير عن أحاسيسه، يتجاوز اللّسان إلى الإشارة حين تقصر اللّغة عن التّعبير عن الأفكار وعن العواطف والانفعالات، هذا يعني أنّ اللّغة ليست الوحيدة التّي يعرفها الإنسان، وإنّما هناك بجانبها لغات غير كلامية تُستخدم هي أيضا للتّعبير والتّواصل، ولهذا يتحتّم على من يريد دراسة الإنسان أنّ يعكف على درس لغته وعاداته وتقاليده ونظمه، إذ لا يمكن التّعرف على هذا الكائن خارج هذه الحقول، مثلما يقوم بذلك عدد من علماء الأنثروبولوجيا بين بعض القبائل (**الهوبي** hopi) و(**الشوني** chowneé)، هذه النّظريات التّي تبرهن على أنّ نظرة الإنسان للعالم الخارجي إنّما تحدّدها نشأته الاجتماعية.

[1]- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت 255هـ), البيان والتبيين،تحقيق:حسن السندوبيّ، المطبعة التجارية الكبرى ط1 ،1926 م، 1 /96.

وقد وضع (**إدواردسابير** (edward sapir[1]) بذور هذه النّظرية لأوّل مرّة، ثمّ سرعان ماتطوّرت ونمت على أيدي علماء آخرين، وخاصّة على يد تلميذه (**بنجامين فورف**)، و أصبحت تعرف بـ(**نظرية سابير– فورف**)، والواقع أنّ الدّرس اللّغوي مدين إلى القرن التّاسع عشر، و مدين إلى الرّومانسية الألمانية و إلى داعيتها **غليوم همبولدت** (guillaume homboldt)[2] على وجه الخصوص، لما قدّمه إلى علم اللّغة في زمانه، إلى أنّ حلّ القرن العشرين وحلّت معه النّظريات الشّاملة الكبرى، والمدارس اللّغوية المتعدّدة الأطراف و المتعدّدة الأفكار والمناهج.

ويعدّ كتاب **فيرناند دي سوسير**(1857–1913) محاضرات في الألسنية العامّة " cours de linguistique general"– فتحا مبينا في الدّرس اللّغوي الحديث، وأنّ اللّغة عنده ظاهرة اجتماعية ينبغي دراستها في ضوء علاقتها بالمتحدثين بها، و إصراره على أنّ هناك فرقا واضحا بين اللّغة من حيث هي نظام ثابت، وبين الكلام من حيث هو تغيّر في الأداء ، فاللّغة عنده من طبيعة الاجتماع تخضع لهذا الاجتماع دون سواه، والكلام مجموعة من الأصوات، وهو عمل فردي خاضع لمؤثرات شخصية ونفسية،وأصرّ دي سوسير على ضرورة الفصل القاطع بين دراسة اللّغة حال ثباتها، و بين دراستها حال حركتها، و أنّ كلّ دراسة لهاتين الحالتين لها منهج خاصّ بها، ثمّ أكدّ حقيقة ثانية هي أنّ اللّغة نظام من الرموز لا يمكن أنّ يماثلها نظام تواصلي آخر.

وفي الفترة التّي كان فيها العالم السويسري **دي سوسير** يضع القواعد الأساسية للّسانيات البنيوية التّي تُعنى بالبنيات الدّاخلية للّغة،كان العالم الفرنسي(**أنطوان ميلي**antoine meille)1936/1886، يلحّ

[1] – هو أدوارد سابيرedward sapir (1884- 1949) اختصاصي في اللّغات الهندية الأوروبية، من أشهر كتبه (اللّغة) عام 1921 . له تجارب كبيرة مع شعوب العالم خاصّة الهنود الحمر في أمريكا الشّمالية، عالم من علماء الأنثروبولوجيا، له عدّة نظريات في علم اللغة الاجتماعي.

[2] – هو غليوم همبولت،guillaume humbolt (1767. 1835) داعية ألماني في مجال اللغة و الأدب و السياسة، يتصل همبولت اتصالا وثيقا بالقرن الثامن عشر، بحكم ولادته و نشأته العلمية الأولى، درس عددا من اللغات الكلاسيكية، لغات الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، و اللغة السنسكريتية و الصينية و المجرية و اللغات السامية، بالإضافة إلى البيانية و البرمانية، و غيرها من لغات الأقليات، قرأ له الكثير من العلماء أمثال: ماكس مولر max moller و بريال bréal و جيسبرسن jespersen ، مؤسس علم اللغة الحديث.

في بحوثه اللّسانية على الصّلة الموجودة بين اللّغة و المجتمع، متأثرا بنظريات عالم الاجتماع الفرنسي **دوركايم**، وقد بيّن "أنطوان ميلي" في مقالاته ما للّغة والمتغيرات اللّسانية من تداخل لوقائع الطّبقات الاجتماعية، و وضّح الوقائع التّي تعمل بمقتضاها الوقائع اللّسانية و التّاريخية والاجتماعية في تغيّر معاني الكلمات . وفي نفس الاتجاه الذّي تبناه سابير، ظهرت في بريطانيا نظرية لسانية تزعمها **جون روبرت فيرث**[1] (firth) الذّي تأثر بالعالم الأنثروبولوجي **مالينوفسكي** (malinowskie) فمفهوم المعنى عند **فيرث** يرتكز أساسا على العلاقة القائمة بين الأشكال اللّغوية والسّياق الاجتماعي، ولذا يختلف معنى الجملة باختلاف السّياق الذّي أُنجزت فيه،"فاللّغة في الطّرح السّوسيولوجي كائن اجتماعي حي"[2] يتفاعل مع الظّروف الاجتماعية، ويؤثّر و يتأثّر بالمجتمع، و تحاول اللّسانيات الاجتماعية الكشف عن القوانين و المعايير الاجتماعية التّي توضّح و تنظّم سلوك اللّغة و سلوك الأفراد نحو اللّغة في المجتمع[3].

والازدواج اللّغوي وليد هذا التّفاعل اللّغوي الاجتماعي؛ فهو حالة لسانية اجتماعية تعني تعدّد المستويات اللّغوية داخل اللّغة الواحدة أي " تقابل شكلين أو مظهرين أو مستويين لغويين في إطار اللّغة نفسها... فالفرق بينهما فرق فرعي لا جذري"[4]. فهذان المستّويان يرتبطان ارتباطا وثيقًا في كثير من خصائصهما النّطقية، والتّركيبية، والدّلالية والأسلوبية. ونظرا للظروف التّاريخية والبيئات الجغرافية المختلفة، كان التعدّد اللّهجي ظاهرة طبيعية، وواقعًا لغويًا لا مفر منه، وما العاميّات في حياتنا المعاصرة إلّا امتدادا للّهجات العربية القديمة وهي كثيرة كثرة القبائل العربية، منها مثلا: " الكشكشة" و هي لغة ربيعة و مضر، إذ يجعلون بعد كاف الخطاب شينًا (بكش و عليكش)

[1]- هو جون روبرت فيرث، من مواليد مدينة (يوكشير) الإنجليزية ، درس التاريخ في الدراسة الجامعية،ثم انضم إلى الجيش الملكي البريطاني في الحرب العالمية الأولى، فعمل مدرسا للغة الإنجليزية في جامعة البنجاب بين عامي 1919/ 1928، ليصبح في عام 1944 أستاذا في اللسانيات العامة بلندن، و كان اهتمامه منصبا على جانبي الفنولوجيا و الدلالة.

[2]- جورج زيدان، اللّغة كائن حي ، دار الجيل، بيروت لبنان ط2، 1988م، ص9.

[3]- يُنظر، كمال بشر، التّفكير اللّغوي بين القديم والجديد، مكتبة الشّباب 1998م، ص 52.

[4]- نهاد الموسى، قضية التحوّل إلى الفصحى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ط 1، 1987م، ص 29.

والعجعجة في لغة قضاعة، إذ يجعلون الياء المشدّدة جيمًا فيقولون (تميمج) في تميميّ، ومن ذلك الاستنطاء في قبيلة بكر و هذيل و الأزد و غيرها، تجعل العين السّاكنة نونًا إذا جاورت الطاء، (أنطى) في أعطى و غيرها و من اللّهجات كالوتم في اليمن و الوكم في لغة كلب والفحفحة في لغة هذيل"[1]. هذا هو أثر اللّهجات القديمة في اللّغة العربية اليوم في الوطن العربي.

من هذا المنطلق فرّق العرب في معاجمهم بين اللّغة باعتبارها كلاما يحمل معنى فصيحا، وبين اللّهجة باعتبارها كلاما يحمل معنى عاميّا أو دارجا كما جرت العادة أن نسميهما، وأصبح لفظ اللّغة سائدا بمعنى اللّسان[2] "langue" والعلم الذّي يدرس اللّسان وعلاقته بالمجتمع في العلوم الحديثة هو علم اللغة الاجتماعي أو"اللّسانيات الاجتماعية."

1-مصطلح اللّغة:اللّغة من"اللّغو" ولكلمة اللّغو معنيان: أحدهما: يدلّ على الشّيء لا يعتّد به، والآخر على اللّهج بالشّيء، فالأوّل اللّغوُ[3]. ما لا يُعتد به من كلام وغيره، و لا يُحصل منه على فائدة و على هذا المعنى جاء قوله تعالى:﴿**لايؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم**﴾[4]، وقول الله تعالى:﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[5] أي قولوا فيه باطلا، وقد ورد ذكر اللّغو في القرآن الكريم إحدى عشر مرّة مشتّق من لغا، يلغو، لغوا[6].

والثّاني قولهم: لَغيَ بالأمر إذا لهج به[7]. يقول الفيروز أبادي: و لَغيَ به كرَضي، لهج به[1]

---

[1]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط4، 1960م، ص 122-130 .

[2]- ورد لفظ اللّسان في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرّة.

[3]- ابن فارس، مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط1، 1369هـ، ج5، ص 455-456.

[4]- البقرة، الآية255.

[5] فصلت، الآية 25.

[6]- ورد لفظ اللغو في القرآن ا:ثر من عشر مرات، مختلفة المعاني،اللّغو في القرآن، قال تعالى:" قال الذّين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون" فصلت، 26 و اللغو في الإيمان، قال تعالى: "لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم". البقرة 255/ المائدة 89. الإعراض عن اللغو في قوله: " و الذّين هم عن اللّغو معرضون".المؤمنون 03، و قوله: " وإذا مرّوا باللّغو مرّوا كراما ". الفرقان 72، " و إذا سمعوا اللّغو أعرضوا عنه ". القصص 55، " لا يسمعون فيها لغوا و لا تأثيما." الواقعة 25.

[7] – أحمد بن فارس، مقاييس اللغة ، مرجع سابق، ص256.

فاللّغا هنا ملازمة الشّيء أو الإكثار منه فاللّاهج بالشّيء يُكثر من ذكره، و ربّما يكون معنى اللّغة من هذا المعنى لأنّ الإنسان يلهج بها ويلازم استخدامها، و يرى البعض أنّ الكلمة العربية "لغة" مشتقّة من الكلمة اليونانية "لوغوس" عندما كانت اللّغة اليونانية على صلة بالشّرق. أمّا ابن منظور فيقول: اللّغة هي فعلت، من لغوت أي تكلّمت و أصلها الصّرفي هو لغوة على وزن "كروة" حُذفت لامها "الواو" فصارت لغة، وتُجمع على "لغات" و"لغون" ولم يرد لفظ اللّغة في القرآن الكريم إلّا بلفظ اللّسان باعتباره العضو الأساسي في جهاز النّطق البشري[2]،

كقوله تعالى﴿**لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلحِدُونَ إِلَيهِ أَعجَمِيّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّ مُّبِينٌ** ﴾[3]، وقوله﴿**وَمَا أَرسَلنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَومِهِۦ**﴾[4] وقوله: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِين** ﴾[5]، وقوله تعالى﴿**وَمِن ءَايَٰتِهِۦ خَلقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَٱختِلَٰفُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَٰنِكُم**﴾[6]

2–اللغة اصطلاحا:(الحقيقة الاجتماعية): لقد اختلف الباحثون قديما و حديثا في تعريفهم للّغة و في تحديد مفهومها و ليس هناك تعريف واحد وافق إجماع الباحثين، فتعدّد التّعريفات يوافق تعدّد علوم اللغة نفسها،"فعالم اللغة يُتوقع منه التركيز على قواعد اللغة، وعالم الاجتماع يُتوقع منه التركيز على الجانب الاجتماعي للغة كوظيفة تفاعلية، و علماء التربية و علماء النفس يركزون على اكتسابها و تعلّمها بشكل خاص[7]، ومن المعروف على مستوى العلوم الاجتماعية أنّ إعطاء تعريف لمفهوم معين يكون من ثنايا خصائصه المشتركية، ممّا يعطينا من النّاحية النّظرية إطارا منهجيا و معرفيّا، لرصد حدود الظّاهرة و معالجتها، إلاّ أنّنا في الواقع نصطدم بتعدّد واختلاف التّعاريف، وهذا الاختلاف والتّمايز راجع إلى اختلاف المفكرين ومرجعتيهم الفكرية حول المفهوم الواحد، كما هو

---

[1]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، 1352هـ،1933م،ص386.

[2]– عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، 2010م، ص 16.

[3]– النحل، الآية 103.

[4]– إبراهيم، الآية04 .

[5]– الشعراء،الآية 195.

[6]– الروم،الآية 22.

[7]–علي سامي الحلاق، المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب،لبنان، (د ط)،2010م، ص28.

الحال بالنسبة لمفهوم اللّغة، الأمر الذّي يعكس مدى تعقيد المصطلح، ولعلّ سبب الاختلاف والتّمايز بين تعريف وآخر يعود إلى ديناميكية المفهوم في حدّ ذاته، يقول حلمي خليل: لا شكّ أنّ وضع تعريف جامع مانع للّغة أمر ليس باليسير كما يتبادر إلى الذّهن ولعلّ علماء اللّغة لم يختلفوا – و كثيرا ما يختلفون – حول أمر اللّغة كما اختلفوا حول وضع تعريف دقيق لها، حتى يبدو- أحيانا- أنّ الهدف النهائي من الدّراسات اللّغوية كلّها بمناهجها ومدارسها المختلفة ليست إلّا محاولة لفهم هذه الظّاهرة التّي تُسمّى اللّغة للوصول إلى تحديد مدقّق لها ومن ثمّ تعريفها، ولعلّ أيضا صعوبة تعريف اللّغة على هذا النّحو ناجم عن طبيعة اللّغة ذاتها"[1].

3- اللغة في الفكر الاجتماعي العربي:لعل أشهر التّعاريف التّراثية التّي تناولت حقيقة اللّغة في الفكر الاجتماعي العربي هو تعريف ابن جنّي، الذّي عرّفها في باب القول على اللّغة وما هي :" أمّا حدّها فإنّها أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[2]. والذّي يبدو من هذا التّعريف أنّ ابن جنّي يعرّف اللّغة من عدّة جوانب؛ فمن جانب مكوّناتها وعناصرها فهي عبارة عن أصوات، وإنّها ذات طبيعة صوتيّة سمعيّة، و لعله كان يقصد بالأصوات بنية اللغة المتمثّلة في مستويات التحليل اللساني: الصوتي و الصرفي، و التركيبي والدلالي. فهي تمثّل واقعا ثقافيا واجتماعيا، كما هي الرّكيزة الأساسية التي تقوم عليها ثقافة أيّ مجتمع بحيث لا يمكن صنعها من فرد واحد، وإنّما تتجسّد في طبيعة الاجتماع البشري، وبذلك فهي ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع له هذا المجتمع، فالأفراد لا يستطيعون تغييرها، فهم ملزمون باتّباع نظامها الذّي يقرّه المجتمع، فالاستعمال والعرف الاجتماعي عاملان أساسيان في تحديد معانيها طبقا لحاجات المجتمع ونموّه[3].أمّا غايتها، فهي تحقيق الوظيفة التّعبيرية، وتأديّة العملية التّواصلية، كما يشير التّعريف إلى الجانب التّداولي للّغة وتعدّدها.

[1] –حلمي خليل، اللغة و الطفل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ط1، 1985م، ص 43.

[2] – ابن جنّي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1 ،1952، ص 33.

[3]– ينظر، نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص: 183، 184.

وهذا ما يتوافق مع الآراء اللّسانية الغربيّة ومن ذلك نظريّة الأفعال الكلامية" لأوستين و سيرل. ومن التّعليقات التّي رصدناها على تعريف ابن جني السّالف الذّكر ما قاله محمود فهمي حجازي:"هذا تعريف دقيق، يذكر كثيرا من الجوانب المميّزة للّغة أكّد ابن جني أوّلا الطّبيعة الصّوتية للّغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التّعبير ونقل الفكر، وذكر أيضا أنّها خاصّة لكلّ قوم لغتهم"[1].

وعرّفها ابن حزم [2] بأنّها:"ألفاظ يُعبر بها عن المسمّيات وعن المعاني المراد إفهامها و لكلّ أمّة لُغتهم"[3].

وهذا التّعريف لا يختلف عن سابقه من حيث العناصر المكوّنة له، يبيّن فيه صاحبه عناصر اللّغة و وظيفتها في الإفهام والتّواصل، أمّا الشّريف الجرجاني[4]، فقد عرّفها بقوله:"هي ما يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[5]. هذا التّعريف يشترك مع تعريف ابن جنّي في بيان الوظيفة التعبّيرية للّغة.

ولقد حاول الجاحظ (ت 255 هـ)(*) أن ينظر إلى اللغة نظرة تكشف عن طبيعتها الاتصالية ووظيفتها الاجتماعية وصورتها الإعجازية في القرآن الكريم وصورتها التواصلية في المجتمع. واللغة التي يعنيها هي اللغة المنطوقة Spoken Language. وقد جعلها من وسائل البيان، يقول: « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية

---

[1] –محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار الثقافة ،القاهرة، 1992م، ص 9.

[2] – ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، وُلد بقرطبة 364هـ، وتلقى العلوم على أكابر العلماء بقرطبة، كان فقيها، مفسّرًا، محدّثًا، متكلمًا، من مؤلفاته، الإحكام في أصول الأحكام، توفيّ بالأندلس سنة 456هـ .

[3] – ابن حزم، الإحكام، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة بيروت، ج1، ص46.

[4] – هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف، من كبار علماء العربية، له نحو خمسين مصنفا منها كتاب التعريفات، توفيّ بشيراز سنة 816هـ .

[5] – الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1983م، ص 192.

[*] – ولد أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ بالبصرة وعن مولده تضاربت الآراء: 155هـ، 159هـ ، 164، والأرجح منها هو عام 159 هـ (775 م)، وقد أجمع المؤرخون أن الجاحظ كناني ليثي يعود نسبه إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة. نشأ فقيرا، يتيم الأب، عانى كثيرا من شظف العيش. عرف الرفاهية بعد مخالطته للحكام وإجازاتهم له على رسائله وكتبه،توفي عام (255 هـ)، مخلفا وراءه رصيدا= = أدبيا هائلا من أهمه: " البيان والتبيين"، " الحيوان"، " البخلاء"، وبعض الرسائل منها: " رسالة القيان"، رسالة كتاب النساء"، رسالة الشارب والمشروب"، ... (ينظر: تهذيب حيوان الجاحظ، تح :زهران محمد،دار الجيل ،بيروت ،(د،ت)، ص: 21.).

التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهمُ والإفهام، فبأيّ شيء بلّغت الإفهامَ وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.[1]

ومن هذا القول يعتبر الجاحظ أن البيان يحصل باستخدام اللغة بين المتكلِمين والسامعين، فمن الجانب الأوّل يكون الإفهام لما تحويه المرسلات الكلامية، ومن الجانب الثاني يكون فهمها على حساب ما يريده الأول، فاللغة تقوم بهذه الوظيفة المميزة لا بين أفراد المجتمع في زمن معيّن بل بين أجيال متعاقبة من المجتمع الواحد، وهكذا تحقّق اللّغة التّواصل بين الأجيال وتكون هي الوسيلة الرئيسية للذّاكرة الاجتماعية.أمّا ابن خلدون[2] ؛ قال عنها:"اعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابدّ أنّ تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم"[3]. فاللّغة عنده بهذا التّعريف تجمع بين الوسيلة والغاية، فهو يوضّح أنّ وظيفة اللّغة هي التّعبير عن الأفكار في إشارة إلى الجانب النّفسي للّغة، كما أشار إلى الجانب الاجتماعي للغة بقوله:"و هو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم"، وأنّها اصطلاحية، كما أنّه جعلها ملكة ناشئة عن الفعل اللّساني بقوله: "اعلم أنّ اللّغات كلّها ملكات شبيهة بالصّناعة إذ هي ملكات في اللّسان للعبارة عن المعنى، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات وإنّما هو بالنّظر إلى التّراكيب"[4]. فالملكات عنده شبيهة بالصّناعة يكتسبها الإنسان بالممارسة وهي المؤهل الذّي يمكنّه من التّعبير.

ويُفهم من التّعريفات السابقة أنّ الطبيعة الغالبة على اللغة أنها رموز صوتية، أي أنّ اللّغة المتحدّث بها تتبوأ المكانة الأولى بين سائر علامات اللغة، لأنّ مفهوم اللّغة واسع لا يقتصر على اللغة المنطوقة بل يشمل المكتوبة، والإشارات، والإيماءات، وحركات الجسم التي تصاحب الكلام.

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين:مرجع سابق، ج1 ، ص: 79 .

[2] – هو عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي (732 هـ/ 808هـ)، العالم الاجتماعي، كان مولده ونشأته في تونس، اشتهر بكتابه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر–ومنه المقدمة–، الزركلي، الأعلام، ج3، ص330.

[3] – ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر بيروت، ج1،ط2، 1988م، ص 753- 754 .

[4] – ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر، المرجع نفسه، ص764.

4-اللّغة في الفكر الاجتماعي الغربي:منذ مطلع القرن العشرين عرف الدّرس اللّساني عند الغربيين تحوّلًا عميقًا، وحدثًا لم يشهده تاريخ اللّغة من قبل، حيث تبنّى **دي سوسير** المنهج البنيوي في دراسة اللّغة، وذلك بمعزل عن باقي العلوم الأخرى، وكان يسعى من وراء هذا المنهج إلى استقلالية اللّغة وموضوعيتها، ومن الأسس التّي تَنبَأ إليها، التّمييز بين "اللّغة واللّسان والكلام"، فاللّغة عنده هي مؤسسة اجتماعية ونظام ثابت تتوحّد فيه المعاني والصّور الصّوتية يقول:"اللّغة نتاج اجتماعي لملكة اللّسان، ومجموعة من التّقاليد الضّرورية التّي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة"[1]. ونجد إشارات قوية إلى اللّغة باعتبارها كائنًا اجتماعيًا، فهي نتاج القوى الاجتماعية[2]، وهي "مؤسسة اجتماعية"[3] و"طبيعتها الاجتماعية جزء من خصائصها الدّاخلية."[4]

أمّا اللّسان فيعتبره ملكا للفرد وللمجتمع بقوله:"اللّسان له جانب فردي و جانب اجتماعي، ولا يمكن أن نتصوّر أحدهما بغير الآخر."[5] فاللّسان عند علماء الغرب يتعلّق بجوانب مختلفة؛ كالجانب الفيزيائي و الجانب الوظيفي و الجانب النّفسي، أما الكلّام فهو نتاج فردي يمثل الجانب التّطبيقي، وأنّ التّمييز بين اللّغة وبين الكلّام يستدعي "التّمييز بين ما هو جوهري وبين ما هو عرضي لأنّ الكلّام يعتريه التّغيّر من شخص لآخر، فهو لا يتّصف بالثّبات مثل اللّغة."[6] وله مجموعة كبيرة من الأفكار تبلوّر حقيقة اللّغة وعلاقتها بالمجتمع منها ثنائية الدّال والمدلول، وهو ما يُعرف في الفكر اللّساني عند علماء التّراث باللّفظ والمعنى، وتكمن هذه الثّنائية في العلاقة بين الصّوت والصّورة الذّهنية، وهو ما عبّر عنه دي سوسير بالعلامة اللّغوية والرابط بينهما هو الدّلالة. أمّا البنيوية السّلوكية عند(بلومفليد Bloomfield) فاللّغة عنده استجابة كلامية لحافز سلوكي ظاهر."[7]

---

[1]- فرديناند دي سوسير، الألسنية العامة، تر: وئيل يوسف عزيز، آفاق عربية، 1985م، ص27.

[2]-دي سوسير، الألسنية العامة، ص108، نقلا عن محمد عشيري مفاهيم وقضايا سيسو لسانية، مرجع سابق ،ص 37 .

[3]- محمد عشيري مفاهيم وقضايا سيسو لسانية، مرجع سابق، ص 37 .

[4]- المرجع نفسه، ص 38 .

[5]- المرجع نفسه، ص 26.

[6]- فرديناند دي سوسير، الألسنية العامة، مرجع سابق، ص 32.

[7]- أحمد عمايرة، في نحو اللّغة وتراكيبها، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدّة، ط1، 1984م، ص 47.

وقد حاول **دوغلاس براون** تتبّع التّعريفات الشّائعة للّغة، وتوصّل إلى تعريف مركّب يضمّ ثماني مقولات هي: "أنّ اللّغة نظامية توليدية، وأنّها نسق من الرّموز الاعتباطية، وتعدّ تلك الرموز صوتية في أساسها، وتدلّ تلك الرموز على معان متواضع عليها، وتُستعمل اللّغة في التّواصل، وتعيش في جماعة، وهي إنسانية، ولكنّها قد لا تكون مقصورة على البشر، ويكتسب النّاس جميعهم اللّغة بطريقة واحدة، ومن ثمّ، فإنّ اللّغة وتعليمها لها خصائص كلّية."[1]

يقول **إدوارد سابير Edward sapir 1949/1884**: "اللّغة ظاهرة إنسانية وغير غريزية لتوصيل العواطف والأفكار والرّغبات بواسطة نظام من الرّموز الصّوتية الاصطلاحيّة"[2]. في هذا التّعريف يشير "سابير" إلى جلّ خصائص اللّغة فهو يعرّفها على أنّها نظام، وأنّها رموز وأنّها اصطلاحية، وأنّها مكتسبة غير غريزية، وأنّها أصوات ، وأنّ وظيفتها التّواصل والتّعبير. وبناءً على الأبحاث التّي قام بها **سابير** حول مجتمعات الهنود الحمر تبيّن مدى ارتباط اللّغة بالمكوّنات السّوسيو ثقافيّة، من ذلك دعا إلى إخراج البحث اللّغوي إلى العوامل المؤثرة فيه، وربط اللّسانيات بالعلوم الأخرى التّي تشترك معها في عامل الموضوع أو المنهج. و ربّما كان يقصد بالعلوم الأخرى؛ علم الاجتماع.

5-الوظيفة الاجتماعية للّغة:اللغة ظاهرة اجتماعية- على ما قرّره الباحثون في علم اللّغة و علم الاجتماع- والتّغيّرات التي تعرفها هي أيضاً ذات طابع اجتماعي، وهي بهذا الوصف تشكّل موضوعاً من موضوعات علم الاجتماع، شأنها شأن المواضيع الاجتماعية الأخرى، فهذه الظّاهرة من حيث دراستها فيما تؤدّيه من غايات ووظائف تجاوزت التّفسيرات الوصفية والصّورية الّتي سادت في بداية الدّرس اللّساني الحديث ، لتنتقل تلك النّظرة من المسلك الوصفي إلى المسلك الوظيفي للغّة، وهو ما قرّره رواد المدرسة الوظيفية في أنّ وظيفة اللّغة هي التّبليغ والتّواصل ويعتبر مخطّط جاكبسون في بيان وظائف اللّغة من أهمّ منجزات هذه المدرسة، حيث ربط كل عنصر من عناصر التواصل بوظيفة معيّنة للغة، (الوظيفة التّعبيرية مرتبطة بمرسل الرسالة، الوظيفة الإفهامية

[1]- صفاء محمد محمود إبراهيم، مهارات التفكير في تعلّم اللغة العربية، مؤسسة هورس الدولية، ط2، 2011م، ص 53.

[2]- نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القديم و الحديث، مرجع سابق، ص 16.

مرتبطة بمتلقي الرسالة، الوظيفة المرجعية مرتبطة بالسّياق الذّي قيلت أو أنجزت فيه الرّسالة، الوظيفة الانتباهية ولها ارتباط بقناة الاتّصال، الوظيفة الشعرية وتتعلق بالرسالة نفسها، وظيفة ما وراء اللغة ولها ارتباط بتشفير الرسالة، وما يتعلق بتفسير و توضيح قصدية الرسالة).

على أنّ الحيّز المكاني لوجود هذا النظرية هو المجتمع بكل أطيافه ومنظوماته المتعدّدة، وهو حقل خصب تظهر فيه فاعلية اللّغة في الإفصاح عن العلاقات الاجتماعية والثّقافية للمجتمع، زيادة على كونها القناة الّتي يتعلّم بها الأفراد معارفهم ويبنون بواسطتها شخصياتهم ويحقّقون نجاحاتهم العلمية والعملية، ومن منطلق الاتجاه الاجتماعي لا تعتبر اللّغة أداة للتواصل من حيث وظيفتها فقط، بل تكون قاسما مشتركا لأبناء المجتمع وعنصرا من عناصر ذلك الانتماء الّذي يشعر به كلّ فرد داخل مجتمعه، وفي ذلك يرى أحد العلماء الباحثين أنّ"اللّغة نشاط اجتماعي باعتبارها استجابة ضرورية لحاجة الاتّصال بين النّاس جميعا، ولهذا السّبب يتّصل علم اللّغة اتّصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية " فاللغة حتّى في بنيتها و أصواتها و تراكيبها و دلالاتها لا تخرج عن العرف اللّساني الاجتماعي، لذلك نجد من القضايا اللغوية في هذا السّياق ثنائية الوضع والاستخدام التي تحيل على مدى ارتباط اللغة بالجماعة التي تستعملها.

كما أنّ من وظائف اللغة التّعبير عما يجول في الخواطر والنّفوس وكلّ ما له أثر نفسي فردي أو اجتماعي، ويذهب **سابير** في رؤيته الوظيفية للغة أنّها أعظم قوة تجعل الإنسان كائنا اجتماعيا "وأنّ مفرداتها تعكس بصورة واضحة المحيط الطّبيعي والاجتماعي للقوم الذّين يتكلّمونها، ليس هذا فحسب، بل إنّها تعكس بعض المميّزات النّفسية للمتكلّم أو الجماعة، ومن الخطأ أن نتصوّر أنّ الإنسان يمكن أن يتكيّف مع واقعه دون استخدام اللّغة"[1]، ذلك أنّها ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين، وإنّما تنشئها طبيعة الاجتماع ومقتضياته. وفي سياق العلاقة السوسيو لسانية تؤدّي اللّغة وظيفة كبرى في التّنشئة الاجتماعية بدءا من الإحساس الفردي المتعلّق بالانتماء الأسري إلى أبعد

[1]- نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القديم و الحديث، مرجع سابق، ص 16.بتصرف.

من ذلك ؛حيث الشّعور بالهوية الجماعية ومشاركة الآخرين في نظامهم وأفكارهم وعوائدهم وقيمهم، وهو مكمن البعد التّواصلي لها في شقّها الاجتماعي .

ثانيًا:علم الاجتماع أو السّوسيولوجيا:

يقول أحد فلاسفة الماركسية: إنّ الجنس البشري –في نظرنا– لا يشارك أبدا في أي مبدأ أبدي خالد، وإنّما البشرية –في صميمها– متحوّلة منقلبة، مادام التّاريخ هو بأكمله مجرد تحوّل مستمرّ للطّبيعة البشرية، فليس بدعًا أن تكون لكلّ حقبة تاريخية "طبيعة بشرية" تختلف عن مثيلتها لدى غيرها من الحقب التّاريخية الأخرى[1]، وهذا ما عبّر عنه **كارل ماركس** حينما قال عبارته المشهورة " ليس وعي النّاس هو الذّي يحدّد وجودهم، وإنّما وجودهم الاجتماعي **–** على العكس من ذلك**–** هو الذي يحدّد وعيهم"[2]، ولقد شهد العصر الحاضر وصول علم الاجتماع إلى مرتبة علم مستقل له موضوعه ومنهجه وقوانينه كغيره من العلوم الأخرى، وله مختبره كبقية المختبرات البيولوجية والطبيعية و الكيمياوية، ومن الطبيعي أنّ علم الاجتماع نشأ كغيره من العلوم بين أحضان الفلسفة، ثمّ كوّن فرعا خاصّا به، ومستقلا بذاته عن المباحث الفلسفية والمناهج الميتافيزيقية، وكان اجتيازه لهذه المرحلة شاقّا، حيث واجهته تحدّيات بين المؤيدين و المعارضين لاستقلاله.

ومن الجهود البارزة في نشأة هذا الاتّجاه ما جاء في الدّراسات التّي قام بها مفكروا المسيحية والإسلام عندما تناولوا الإنسان والمجتمع بالدّراسة والبحث."ففي الفكر المسيحي الاجتماعي نجد أنّ الدّراسات التّي قام بها دعائم هذا الفكر وهم: **أوغسطين** (الذي يمثل الفلسفة المسيحية في قرونها الأولى)، والقديس **توماس الأكويني** (الذي يمثل أوج الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى)، و**حنا كلفن** (الذي يمثل المسيحية المتطورة في عصر الإصلاح الدّيني)، حيث كانت دراسات هؤلاء

[1]– زكريا إبراهيم، الطبيعة البشرية في فلسفة كارل ماركس، مقال في مجلة عالم الفكر،وزارة الإعلام في الكويت، المجلد الثاني، العدد الأول، يونيو1971م ص 255.

[2]– المرجع نفسه، ص 261.

العلماء وغيرهم تحمل صبغة فلسفية في ثوب ديني خالص"[1]. أمّا في الفكر الإسلامي فهذه الظّاهرة واضحة في دراسات الكثير من المفكرين أجدرهم بالذكر **الفارابي** في كتابيه (السّياسات المدنية) و (آراء أهل المدينة الفاضلة) والكتاب الأخير غايته تكوين مجتمع فاضل أو جمهورية مثالية على غرار ما ذهب إليه **أفلاطون** في كتابه (الجمهورية الفاضلة).

وإلى جانب الفارابي نجد فكرا دينيا فلسفيا في الدّراسات الاجتماعية في رسائل **إخوان الصفا**، و هي مجموعة من الآراء التي تصوّر الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري، في تحليل طبيعة المجتمع، كبنائه الطبقي وتقسيم العمل والوظائف الاجتماعية، ودراسة مظاهر السّلوك بما فيها السّلوك اللّغوي والعوامل المؤثرة فيها، وربطوا بين السّياسة والدّين، كما أقاموا التّربية والتّعليم على أسس دينية، واستمرّ هذا الاتّجاه حتّى ظهر العلّامة العربي **ابن خلدون**–1332م 1406م– فأنشأ علم العمران. وبقي الجدل قائما بين الفلسفة و الاتّجاه الجديد في دراسة الظواهر الاجتماعية إلى أن ظهر الفيلسوف الفرنسي" **أوجيست كونت**(1798 م 1857م) فأعلن من جديد عن قيام علم وضعي مستقل لدراسة المجتمع وظواهره و نظمه يهتم بالضبط الاجتماعي.

1–تعريف علم الاجتماع: من التّعاريف الواردة في شأن هذا العلم أنّه: "محاولة وصفية تاريخية لتفسير المجتمع بالنظر إليه كواقع ملموس، وهو علم عام يدرس كافة فئات الظواهر الاجتماعية ويركز على السمات المشتركة بين الظواهر الفرعية"، وهذا المصطلح Sociology من حيث بنيته مركّب من جزأين؛ منكلمة Socio وتعني المجتمع ،ومنكلمة Logy والّتي تعني العلم، على معنى دراسة المجتمع دراسة تخضع لمعايير و ضوابط علمية، مقترنة بالتعميم و التجريد، فهو العلم الّذي يقوم بدراسة الظّواهر و النّظم و العلاقات الاجتماعية دراسة علمية تأصيلية قائمة على المنهج العلمي، بقصد الوصول إلى معرفة حقيقة الظّاهرة و أسبابها و نتائجها، ومختلف الإشكاليات المحيطة بها ومدى معالجتها واقتراح حلولها.

[1]– د.مصطفى الخشاب، الفلسفة و علم الاجتماع، مقال في مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام الكويتية، المجلد2، العدد2،سبتمبر 1971م، ص86.

وقد عرّفه ابن خلدون بأنّه: ما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحّش والتأنس والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وأثر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال،... وما لذلك من العلل والأسباب.

وعلى العموم تتصف الظواهر الاجتماعية التي تشكل الموضوع الرئيس لدراسة علم الاجتماع بعدد من الخصائص والسّمات، تتمثل في نظم عامّة يشترك في اتّباعها أفراد مجتمع ما، ويتخذونها أساساً لتنظيم حياتهم الجمعية، وتنسيق العلاقات التي تربط بعضهم ببعض وبغيرهم من الجماعات. كما تتصف بأنّها ليست من صنع الأفراد، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع البشري، وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات ومقتضيات العمران البشري .وهذا ما يعنيه علماء الاجتماع بأنّها من نتاج العقل الجمعي. وأن خروج الفرد على أي نظام منها يلقى من المجتمع مقاومة تأخذه بعقاب مادي أو معنوي، أو تلغي عمله وتعتبره كأنّه لم يكن، أو تحول بينه وبين ما يبتغيه من وراء مخالفته وتجعل أعماله ضرباً من ضروب العبث، أو تسلط عليه أكثر من جزاء واحد من هذه الجزاءات.[1]

يقول **بيير باولو جيجليولي**paologijlioli[2] –وهو عالم اجتماعي إيطالي–: منذ بداية هذا القرن (العشرين الميلادي) تطوّر علم اللّغة وعلم الاجتماع في عزلة متبادلة، فقد اختارت اللّسانيات غضّ النّظر عن تحليل الجوانب الاجتماعية للّغة، في حين عُدّ علم اجتماع اللّغة مجالا متخلّفا– لفترة طويلة – عن مجالات علم الاجتماع، و قد اعتمدت هذه اللامبالاة على سببين متناقضين إلى حدّ ما، **أوّلهما**: أنّ علماء الاجتماع نظروا إلى اللّغة باعتبارها متطلبا ضروريا لكلّ جماعة إنسانية، فقد اعتقدوا

[1]– علي عبد الواحد وافي :اللغة والمجتمع، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، أبريل 1983، ص5.

[2] – بيير باولو جيجليولي أستاذ علم اجتماع الثقافة و عمليات التّواصل في قسم علوم الاتّصال بجامعة بولونا polona الإيطالية، و الفائز بجائزة سكانوscanno prize في علم الاجتماع لعام 2010م، و هي الجائزة التي يعدّها بعضهم (نوبل الإيطالية)، و هو أوّل من أدخل اللسانيات الاجتماعية إلى إيطاليا في السّتينيات (حيث تعدّ قراءته حجر أساس في دراسة العلاقة بين اللغة و السياق الاجتماعي). له عدّة أعمال في المشهد العالمي لهذا الحقل العلمي، على غرار كتابه اللغة و السياق الاجتماعي، الذي أخذنا منه أفكارا قيّمة حول الموضوع.

أنّها غير ذات أهمية في تغيير السّلوك الاجتماعي، ومن ثمّ أهملوا دراستها. و**السّبب الثّاني**: هو التّمييز الذّي وضعه دي سوسير بين اللّغة و الكلام (parole et langue)، يبدو هذا التّمييز من الوهلة الأولى يربط بين اللّسانيات وعلم الاجتماع، إلّا أنّه في الواقع أدى إلى نتيجة عكسية – عن قصد أو عن غير قصد – أصبح من غير الضروري الانشغال بدراسة الكلام في التّفاعل الاجتماعي، وكان الأكثر جدوى هو دراسة قواعد اللّغة المجردة الثّابتة المتجانسة.[1]

ويرجع عدم اهتمام علماء الاجتماع بدراسة الظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية–على الرغم من الدور الجوهري الذي تلعبه اللغة في المجتمع – بسبب النظر إليها بوصفها متطلباً لكل جماعة إنسانية، وبالتالي فقد اعتقدوا أنها غير ذات أهمية في تغيير السلوك الاجتماعي ولهذا فقد أهملوا دراستها[2]كما أشرنا إلى ذلك منذ قليل، إلا أنّ إهمال دراسة اللغة من قِبَل العلوم الاجتماعية لا ينبغي أن يؤخذ بمعناه الحرفي، فقد كان تحليل الدور الاجتماعي للغة، محل اهتمام الأنثروبولوجيا منذ أمد طويل، حيث عالجوا السلوك اللغوي للشعوب التي كانوا يدرسونها، باعتبار أن المادة اللغوية وسيلة للاستدلال على قضايا أنثروبولوجية أكبر مثل: اللغة والثقافة، وتأثير الكلام على التنشئة الاجتماعية والعلاقات الشخصية، وتفاعل الجماعات اللغوية والاجتماعية؛ بمعنى آخر وسيلة نقل الثقافة التي تعتبر من وجهة نظر علم الإنسان مجموعة تقاليد الشعوب وأوجه استعمالاته للغته. وعلى الرغم من استقلال بعض العلوم على بعضها الآخر فلسفة ومنهجا، بقيت اللسانيات تحظى، محافظة على أصولها، من غير أن تحدث قطيعة معرفية مع بقية العلوم. وكان من نتاج هذا التّطور ظهور **علم اللغة الاجتماعي**، الذّي يعد فرعاً مهما من فروع علم اللغة العام أي علم اللسانيات، فهو يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ لأنّهُ ينظّم كل جوانب بنية اللّغة وطرائق استعمالها، التّي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثّقافية.

---

[1] – يُنظر، محي الدين محسب، في اللسانيات الاجتماعية، ترجمات، دراسات، مقالات، مرجع سابق، ص 26.

2– محيى الدين محسب :اللغة والسياق الاجتماعي، مجلة الخطاب الثقافي، جمعية اللهجات والتراث الشعبي في جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الثاني، خريف 2007، ص.(238).

وفي السّنوات الأخيرة القليلة أخذت الهوة بين العلمين تضيق ، فأصبح بعض اللّسانيين يهتم بالتّكييف الاجتماعي للظّواهر اللّغوية، و أصبحت اللّسانيات بمثابة الأنموذج في العلوم الإنسانية، وبذلك ازداد اهتمام علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا والجغرافيا بدراسة اللّغة، وظهر ميدان معرفي جديد مركب يجمع بين علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا واللّسانيات، سُمي فيما بعد **بعلم اللّغة الاجتماعي** أو **علم الاجتماع اللغوي**؛ وهو العلم الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، فهو ينظر في التغييرات التي تطرأ على بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعيّة المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديدها .

ولا شك في أن العلاقات بين الظواهر الاجتماعية والظواهر اللغوية، وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنّظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين قائمة منذ أن وجدت اللغة ووجدت الحياة الاجتماعية، فجوهر الإنسان إنّما يكمنُ في لغته وحساسيته وحياته الاجتماعية. فاللغة بهذا المعنى كائن حي؛ لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية، تحيا في أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، كما أنّها تتطور بتطور هذا المجتمع، فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه.

والنظر في هذه العلاقات قديمٌ لا ريب فيه، غير أنه لم يدرس كما يجب أن يكون كماً ونوعاً وتنظيراً ومنهجاً، إلا في عصرنا الحالي في ظلّ فرع جديد من فروع علم الاجتماع العام ألا وهو"**علم اللغة الاجتماعي** "Linguistic Sociology الذي يعالج الظاهرة اللغوية بطريقة تكشف عن العلاقات التي تربطها بمختلف الظواهر الاجتماعية[1]. ، والحديث على اعتبار اللّغة ظاهرة اجتماعية يسوقنا إلى البحث عن جوهر العلاقة بين المصطلحين، (اللغة/ المجتمع)، حيث إبراز أهمية هذه اللّغة فيما تؤديه من دور في المجتمع، وما يقدّمه المجتمع- باعتباره منظومة بشرية- لهذه اللّغة من قيود أو صفات أو ملامح تمثّل قدرا مشتركا بين مستعمليها؛ هذه الثّنائية (اللغة/ المجتمع) تمخّض عن البحث فيها علم

[1]- يُنظر، علي عبد الواحد وافي :علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، 2004، ص.(13)

يهتمّ بحيثيات تلك العلاقة القائمة بين المجتمع ولغته، وهو ما يُعرف كما ذكرنا سلفا بعلم اللغة الاجتماعي أو اللسانيات الاجتماعية.

2- الضّبط الاجتماعي Control Theory:

يعد موضوع الضبط الاجتماعي من أهم الموضوعات التي تبادلها العلماء والمفكرون، واهتم به علماء التربية والاجتماع، وعلماء النفس؛ لصلته الوثيقة بتنظيم المجتمعات، وحياة الأفراد داخل هذه المجتمعات، وقد أشار ابن خلدون إلى موضوع الضبط الاجتماعي بقوله: «أن الإنسان مدني بطبعه إلّا أن ميوله العدوانية تتطلب بالطبع قيام أداء لضبط سلوكه»[1]، ويرى أن وسائل الضبط التي تحقق هذه الغاية تتمثل في الدّين والقانون والآداب العامة والأعراف والعادات، والتقاليد.[2]

وفكرة الضبط الاجتماعي ظهرت على يد علماء الاجتماع و منهم "أوجست كونت" السّالف الذكر عندما أشار إلى أهمية الدراسة الاجتماعية للنظام الاجتماعي، والدور الذي يمارسه الدّين والأخلاق والمعرفة في تدعيم النّظام، كما أشار إلى فكرة الضبط من خلال دراسة الرموز، والقيم، والمثل، والنظم الأخلاقية والسياسية والقانونية التي تُعتبر قواعد للسلوك، أما بالنسبة لمن استعمل مصطلح الضبط الاجتماعي لأوّل مرة فهو العالم البريطاني"هربرت سبنسر"[3]،وتنطلق هذه النظرية من أن الدماغ البشري هو مصدر السلوك، ويعمل كنظام ضابط لكلّ النّشاطات، أمّا بالنسبة إلى تفسير سلوك المتعلّم فهي تنطلق مما ثبت عند "وليام غلاسر" William Classer من أنّ الاضطرابات النّفسية هي سلوكات متعلمة منشؤها أساليب التّنشئة الاجتماعية والتّربوية، والتي تتطلب مبادئ العلاج الوقائي وذلك بتحويل وظيفة المدرسة من نقل المعارف إلى تربية التّفكير الإبداعي، ويرى أنّ الفرد أثناء تنشئته الاجتماعية يكتسب خلال مراحل نموه ملايين الصّور، وتحفظ في دماغه كنظام سلوكي يستخدمه لإشباع حاجاته، وإزالة توتراته واضطراباته، بحيث يقابل كل حاجة آلاف الصّور

[1]- نقلا عن: أحمد الخشاب، الضبط الاجتماعي، أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة القاهرة الحديثة، 1968 ص45.

[2]- يُنظر: محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 1995، ص530.

[3]-عبد الله رشدان، علم الاجتماع التربوي، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1999، ص189.

الذّهنية لإشباعها فحين يحصل حرمان من إشباع حاجة استثيرت لدى الفرد؛ فإنّه تحدث حالة من التّوتر والاضطراب عند الفرد تستدعي سعيه لخفض أو إزالة ذلك التّوتر، وذلك باستدعاء الصّور الذّهنية المناسبة لإشباع تلك الحاجة من المستودع الدّماغي، وإذا فشل في ذلك؛ فإنه يبدأ بالإبداع في إيجاد صور أخرى لإشباعها، فإذا ما تم إشباعها تحدث حالة الارتياح النفسي، والعكس في حالة الفشل تحدث حالة القلق والإحباط وسوء التّكيّف[1].

وحسب نظرية الضّبط فإنّ عمليتي النّجاح والفشل في تحقيق الإشباع النّفسي والاجتماعي والعقلي والحركي تعود إلى الأساليب التّربوية، فالفشل في تحقيق الانتماء وتحقيق الذّات يعود إلى حالات الملل والنّفور وفتور علاقات التّواصل الاجتماعي والوجداني داخل القسم، وهي حالات ناتجة عن الطّرائق التّربوية التلقينية القائمة على الضّغط والإكراه، وأما الدّور الوظيفي للمعلم فهو كذلك يعمل كنظام فرعي ضابط، إذ يحاول أن يحقق صور الإشباع لحاجاته العامة من الانتماء وتقدير الذات والحرية والنّجاح[2].

من خلال ما سبق نخلص أنّ هذه النظريات تباينت في تفسيرها للتفاعل الاجتماعي، وذلك تبعا لتفسيرها ، فالسّلوكية تختصر الفعل الإنساني في آلية المثير والاستجابة، ونظرية التحليل النفسي ترتكز على نمط الشخص المركزي ودوره في صياغة وتحديد نمط التفاعل، أمّا نظرية الضبط فتؤكد على أهمية نظام الضبط الدماغي للإنسان في تحقيق إشباع الفرد واستحداث التفاعل الايجابي داخل المجتمع، وأما المدرسة البنائية فترى ضرورة التّوازن في استحداث التفاعل الايجابي داخل المنظومة الاجتماعية.

3-علم اللّغة الاجتماعي (اللّسانيات الاجتماعية) :

لقد شهدت التطورات المتلاحقة ظهور مجالات علمية رئيسة تنضوي تحت عنوان **سوسيولوجية اللغة**،وأول هذا المجالات" **اللسانيات الاجتماعية الوصفية** ."ويمثل هذا العلم ما يمكن أن نسميه مرحلة جمع المادة، فيما يتعلق بالنماذج الموجودة فعلاً في التنظيم الاجتماعي للاستعمال اللغوي،

[1]-ينظر:العربي فرحاتي، أنماط التفاعل وعلاقات التّواصل في القسم الدراسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010، ص33.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص33-35.

وكذلك نماذج السّلوك المتبع تجاه هذا الاستعمال. ويطلق علماء اللسان الاجتماعيون على مجموع الاستعمالات اللغوية لدى مجتمع معين، أو لدى جماعة معينة مصطلح" **الحصيلة اللغوية**linguistic score"، ولكي يتم التّعرف على هذه الحصيلة اللغوية، فإنّ مهمة اللساني الاجتماعي هي استقراء المتغيرات اللغوية الموجودة في مجتمع ما، وتحديد المواقف التي يُستعمل فيها كل متغير من هذه المتغيرات ومتى يتحوّل فيها كل متغير منها، ومتى يتحوّل أعضاء هذا المجتمع من متغير إلى آخر حسبما يقتضيه سياق الموقف الاجتماعي[1]. و هو الذي أطلقنا عليه اسم الازدواج اللغوي في هذا البحث، أما عن المجال الثاني من مجالات السوسيولوجيا اللغوية، فهو **اللسانيات الاجتماعية الحراكية** (الديناميكية) التي تبحث في أسس تغيّر الذّخيرة اللغوية التي تنقسم بدورها إلى نموذجين: أوّلهما الذخيرة اللغوية المتغيرة أو المتحركة. ويعد المهاجرون إلى بلد ما نموذجاً واضحاً للتّحوّل عن ذخيرتهم اللغوية السابقة إلى اكتساب لغة البلد المهاجر إليه واستعمالها في كل مجالات العمل والحياة العامة. ويرجع ذلك إلى العامل الاجتماعي المتمثل في أن استعمال هذه اللغة هو المدخل الضروري للنشاط الاقتصادي، ولاحتلال مكانة مرموقة في الحياة الثقافية للبلد المهاجر إليه. أما النموذج الثاني، فهو الذخيرة اللغوية الثابتة، حيث تتمثل في بلد يتميز بالتّعدد اللغوي مثل كندا، فنجد أن سكان مقاطعة كوبيك الكندية ظلوا يتحدثون الفرنسية محافظين عليها على الرغم من ضغط بقية المجتمع الكندي الإنجليزي عليهم. كما تطور هذا المجال إلى اللسانيات الاجتماعية التطبيقية، ليجمع بين موضوعات علم الاجتماع التطبيقي وموضوعات اللسانيات التطبيقية ومن أهم مجالاته نشر معرفة القراءة والكتابة وإيجاد الدوافع والحوافز والتخطيط اللغوي[2].

وبذلكتبوّأت اللّغة مكانة رفيعة لدى علماء الاجتماع، لكونها مكوّنا من مكوّنات المجتمع الّذي يسعى هذا العلم إلى تحليله و دراسته دراسة علمية، فكانت إحدى الأنظمة الاجتماعية الّتي حظيت بالتّفكير و البحث في ماهيتها و ما يتعلّق بها من قضايا جوهرية و أبعاد سوسيو لسانية، و مع تطوّر

[1] -علي عبد الواحد وافي، اللغة و المجتمع، مكتبات عكاظ للنشر و التوزيع، ط4، أبريل 1983م، ص:239/238

[2] – المرجع نفسه، ص(239).

علم اللّغة الحديث الّذي أرسى معالمه اللّغوي دي سوسير؛ فقد ظهر في حقل اللّسانيات علم يعرف باللّسانيات الاجتماعية ، هذا العلم الّذي يعدّ فرعا من فروع علم اللّغة العام، يرى أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية، يشترك فيها المكوّن الجمعي التّوافقي الّذي يخضع له الأفراد المنتسبون له، حيث اعتبار اللّغة جسرا تواصليا تتحرّك فيه الحياة على مقتضى مقاصد المجتمعات و أنظمتها، و منه حصول التّوافق و التّواصل الّذي يلبّي رغبات الأفراد و الجماعات و متطلّباتهم المختلفة، وقد أحال ابن جنّي على ذلك حينما تكلّم عن اجتماعية اللّغة و بيان حدّها، و ذلك بأنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم .

والسؤال الذي يطرح نفسه، و يجدر بنا أن نجيب عليه هو ما نوع الدراسة التي ينتجها علم اللغة الاجتماعي؟ و في هذا السّياق يُعرّفه **برنارد صبولسكي** Bernard Spolsky على"أنّه المجال الذي يدرس العلاقة بين اللغة و المجتمع، وبين الاستعمالات المتنوعة للغة والبُنى الاجتماعية التي يعيش فيها متحدثو هذه اللغة،ويوضح صبولسكي بأنّ الغاية من الاستخدامات اللغوية هي تحقيق فعل التواصل والترابط بين أفراد هذه المجموعة."[1].وهذا ما يؤكد على تجاوز الأحكام اللغوية الخالصة التي تشكل المحور الرئيس للدراسات اللغوية الوصفية والنظرية لدراسة أثر السياق الاجتماعي في التعامل مع النصوص الحقيقية التي تشكل عملية التواصل الإنساني والمواقف الاجتماعية التي تستخدم فيها[2].وهو بهذا التعريف يركز على العلاقة التي تربط اللغة بالمجتمع والعلاقة التي تربط بين مختلف الاستخدامات اللغوية، وبين مختلف الطبقات الاجتماعية المتدرجة ضمن المجموعة اللغوية، وهو إقرار بوجود تباينات وسلوكيات ثقافية واجتماعية ولغوية مختلفة تؤثر وتتأثر ضمن المجموعة.

أما**جون لويس كالفي** John Louis Calvi، فيعرّف علم اللغة الاجتماعي: بأنّه دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ويقول:لا مجال للمقارنة بين اللسانيات العامة التي تدرس اللغات وبين علم اللغة الاجتماعي الذي يولي اهتماماً بالغاً للجانب الاجتماعي لهاته اللغات. بعبارة أخرى، إنّ علم اللغة

[1]– Bernard Spolski: sociolinguistics, Oxford University Press, First Published, 1998, p(03).

[2]-Bernard Spolski: sociolinguistic–Ibid, p(14).

الاجتماعي هو اللسانيات بعينها. فمن هذا التعريف يمكن تحديد غايته في دراسة اللغة وفي اكتشاف كيف يمكن للعوامل الاجتماعية والحياة ضمن المجموعة اللغوية أن تحدّد جملة التباينات ضمن اللغة كنظام قائم بذاته وضمن جانبها التّداولي من قبل المتكلمين بحسب تباين منابع ثقافاتهم وبحسب مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية[1].

كما يعرفه **جوشوا فيشمان:** بأنّه ذلك العلم الذي يسعى إلى تحديد من يتكلم، و إلى تحديد أيّ نوعية من أيّ لغة، ومتى وحول أي موضوع، ومع أيّ المتكلمين؟ وفي حقيقة الأمر نجد أن هذا التعريف يتصف بدقته وتركيزه على قضايا مثل مميزات التّنوعات اللغوية ضمن المجموعة اللغوية، الأمر الذي يساهم في تحديد وتعيين مجموعة التنوعات الاجتماعية والثقافية التي تمخضت عنها تلك المميزات والسّمات اللغوية"[2].

ويذهب **هودسون:** "بأنّ علم اللغة الاجتماعي هو دراسة المجتمع في علاقته باللغة برمتها، وهو ما يعد مجالاً مهمّاً للدراسة من منظور علم الاجتماع؛ لأنّه يثير قضايا مثل أثر تعدد اللغات على النمو الاقتصادي، وما يمكن أن تتبناه الحكومات من سياسات لغوية"[3]. فعلم الاجتماع اللّغوي يدرس اللّغة و يعالجها من حيث كونها مصدرا و مكونا وحدثا و نظاما على اختلاف صورها، ومدى تأثيرها و تأثّرها في علاقتها بالمجتمع، كما يدرسها من حيث الاستخدام في ضوء أحاديتها أو تعددّها، ويرى بعض الباحثين أنّ من اهتمامات هذا العلم أنّه يبحث في خصائص التّباين اللّهجي على مستوى الأصوات والبنيات الصّرفية والدّلالية، بالإضافة إلى قضايا الازدواج اللّغوي وتعدّد المستويات اللّغوية مثل الفصحى والعامية وطبيعة العلاقة بينهما، ولغة الإذاعة و الصّحافة ولغة الدّين ولغة السياسة .

[1]– انظر: عبد القادر سنقادي :نافذة على علم الاجتماع اللغوي، مجلة معارف، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، العدد: السابع، ديسمبر 2009، ص.(214)

[2]– المرجع نفسه، ص.(214)

[3] – د. هدسون :علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990، ص ص.(18-17)

4-نشأة علم اللغة الاجتماعي:

يُذكر أنّ بداية هذا العلم كانت مع تلك المساءلة الّتي طرحها الفلاسفة و المفكّرون في القرن الثّامن عشر حول علاقة اللّغة بالشّعب الّذي يتكلّم بها، ومنهم (يوهان فوتغيرد) و (هيلدر)، حيث يرون أنّ اللّغة ذات شكل داخلي خاص، و هي منظّمة للعالم الخارجي للجماعة النّاطقة، و إنّ مفهوم الجماعة اللّغوية يتضمّن عندهم مفهوم الأمّة، ومن الجهود الّتي ساهمت في نشأة هذا العلم و تعزيز مباحثه جهود (همبولدت) الألماني السّالف الذكر في القرن التّاسع عشر، حيث رأى أنّ اللّغة وسيلة الفكر، والمترجم للرّوح القومية، واختلاف اللّغات دليل على اختلاف الذّهنيات أو العقليات، وفي ذلك أهميّة كبيرة للتّحليل الدّقيق لعضوية كلّ لغة لكي تتمّ المقارنة بين مزايا بنياتها ومزايا بنيات اللّغات الأخرى، ومآل ذلك أنّ تفوّق البنية اللّغوية دليل على تفوّق الذّهنية والعرق، وهي خلاصة دراسة همبولدت الّتي أُنتقد فيها بسبب تحيّزه إلى العرق الجرماني، كما يرى همبولدت أنّ اللّغة إنتاج فردي واجتماعي في آن واحد، وهي شكل ومضمون، وآلة وموضوع في آن واحد، وهي نظام ثابت وسيرورة متطوّرة، وهي ظاهرة موضوعية وحقيقة ذاتية في آن واحد.

كما ساهمت المدرسة الاجتماعية الفرنسية لدوركايم في أوائل القرن العشرين في تعزيز البحوث والدّراسات الاجتماعية اللّغوية، من خلال بيان أثر المجتمع وما يحمله من معتقدات وأعراف وحضارات وغيرها في الظّواهر اللّغوية، هذه الرّؤية الفلسفية الاجتماعية كان لها الأثر في تصوّر دي سوسير لطبيعة اللّغة واجتماعيتّها ،لذلك كان من وجهة نظر رائد اللّسانيات الحديثة بالنّسبة للّغة أنّها مؤسّسة اجتماعية، وهذا ضمن منهجه الوصفي الّذي قامت عليه دراسته العلمية، وما ثنائية الدّال والمدلول واعتباطية العلاقة بينهما إلّا صورة من صور التّرابط بين المجتمع واللّغة، ثمّ توالت أبحاث طلّابه أمثال **مايبه وبالي وفندريس** الّتي تمخّضت عنها عدّة فروع لغوية ومنها علم الجغرافيا اللّغوية الّذي ظهر بقوّة من خلال ظهور الأطالس اللّغوية لمختلف اللّهجات الّتي أجريت عليها دراسات ميدانية، بالإضافة إلى مختلف النّظريات اللّسانية الأخرى،كنظريات التواصل وعلم الأصوات وعلم وظائف الأصوات ومدى صلتهما باللهجات وسياقات التّلفّظ الاجتماعي

والاستعمال اللّغوي، ممّا له علاقة بعلم اللغة الاجتماعي الذّي يعنى بدراسة واستكشاف علاقة المجتمع باللغة بهدف دراسة التداخل القائم بين التنوعات اللغوية المختلفة، وبين بنية مختلف الفئات الاجتماعية؛ أي دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ودراسة الحياة الاجتماعية من خلال اللغة .

وفي الحقيقة،أنّ علم اللغة الاجتماعيأبصرالنور بصفته فرعا من فروع علم الاجتماع العام في نهاية الستينيات و أوائل السبعينيات من القرن العشرين المنصرم، "حيث أخذت الهوة ما بين علم الاجتماع وعلم اللغة تضيق إلى حدّ كبير كما أشرنا أليه مع العالم الإيطالي **جيجليولي** السالف الذكر. فأصبح اللغويون يهتمون بالتّكيف الاجتماعي للظواهر اللغوية، كما أصبح بعض علماء الاجتماع أكثر إدراكاً للطبيعة الاجتماعية للغة. ومن ثمّ، فقد ظهر علم اللغة الاجتماعي ليؤكد هذا التقارب المتبادل"[1]."ويطمح هذا العلم إلى اكتشاف الأسس والمعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي، ومن ثمّ توضيح موقع اللغة في الحياة الاجتماعية"[2]إلّا أن هذا التّخصص بكل تأكيد مازال حديث العهد للبحث نوعاً ما، إذا ما قُورِنَ بعلم اللغة العام أو اللسانيات، في دراسة اللهجات، والدراسات التي تتناول العلاقات بين معاني الكلمات والثقافات المختلفة[3].

بذلك تمت تهيئة الأرضية المعرفية لعلم اللغة الاجتماعي للتعبير عن قدرته السوسيولوجية على كشف التداخل بين طبيعة اللغة والمجتمع والعلاقة الجدلية القائمة بينهما، فأصبح هدفه تحديد قيمة الذخيرة اللغوية الكلية لمجتمع ما، بالنسبة للتفاعل بين الشبكات الاجتماعية الصغرى داخل هذا المجتمع؛ وذلك لأنّ هذه الذخيرة اللغوية الكلية لأي مجتمع من المجتمعات ربما تكون أكثر شمولاً من الذخيرة اللغوية التي تمتلكها الجماعات الفرعية داخل هذا المجتمع[4].كما يهدف إلى تتبع تأثيرات

[1] – محي الدين محسب :علم الاجتماع اللغوي، مجلة الفيصل، دار الفيصل، الرياض، العدد: 178،تشرين1 –تشرين2، 1991، ص.(44)

[2]– هادي نهر :علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرة، بغداد،ط1، 1988م، ص.(24)

[3] – د. هدسون :علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص.(12)

[4]–محي الدين محسب، في اللسانيات الاجتماعية، ترجمات، دراسات، مقالات، كنوز المعرفة، عمان، ط1،2018م،ص.44

التنوعات اللغوية فيما بينها، وإلى كشف القواعد والأنماط المجتمعية التي تفسر وتقيّد السلوك اللغوي والسلوك المتبع تجاه لغة ما؛ لأنّها تشكل سجلاً حافلاً بكل جوانب الحياة الاجتماعية وخصائصها . وعليه، فإنّ مهمة السوسيولوجي دراسة اللغة في ضوء وجودها الاجتماعي؛ أي من خلال علاقتها بالظواهر الاجتماعية.

5-اتّجاهات علم اللغة الاجتماعي :

يقف الباحث أو الدّارس في هذه المجال على بعض التّساؤلات بغية معرفة أهمّ المحاور الّتي يعالجها هذا العلم، ومن ذلك؛ السّؤال عن اتّجاهات واهتمامات هذا العلم، والبحث عن العلاقة بين اللغة والمجتمع في ضوء علم اللغة الاجتماعي، فاتّجاهاته تتمثّل في شقّيه النّظري والعملي فالنّظري يحوي جملة المصطلحات الّتي تربط بين اللغة والمجتمع؛ كمصطلح اللغة، ومفهوم الكلام والمتكلّم ومعنى اللهجات والتواصل اللغوي وغير ذلك، أمّا العملي أو التطبيقي فهو الجانب الإجرائي الميداني الّذي يسعى إلى مناقشة وتحليل مختلف القضايا النظرية التي حدّدها هذا العلم، ومن أبرز اهتماماته: الازدواجية اللغوية، التّعدّد اللّغوي، علم اللّهجات، السّياسة اللغوية و التّخطيط اللّغوي اللّسان و المجتمع، النّظرية الوظيفية ونظام اللغة، اكتساب اللغة وتطوّرها لدى الأطفال علاقة اللغة بالجنس (لغة الرجل/ لغة المرأة)، اللغة وعلاقتها بالطبقات الاجتماعية، العامل الجغرافي وعلاقته باللغة.

وعليه يمكن حصر مواضيع اهتمام علم اللغة الاجتماعي كالآتي:[1]

- التّخطيط اللغوي والتنمية اللغوية
- الازدواجية اللغوية وتعدد اللّهجات.
- ظواهر التّنوع اللّغوي.
- علم اللهجات الاجتماعي(المنوعات غير المعيارية).

[1]- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، مرجع سابق، ص16،

- الدراسة الوصفية للأوضاع اللغوية (طريقة و أسلوب الكلام).
- السّجلات و الفهارس الكلامية والانتقال من لغة إلى أخرى.
- العوامل الاجتماعية في التغير الصوتي و النحوي.
- اللسان و المجتمع والتّواصل الحضاري.
- النّظرية الوظيفية و النّظام اللغوي.
- تطوّر اللغة عند الطفل.
- دراسة النّصوص.

من خلال هذه المواضيع يظهر لنا أنّ اللسانيات الاجتماعية تجمع في دراستها بين النظري و التطبيقي

6-اللّغة و المجتمع و الثّقافة:

الثّقافة نظام متكامل يشتمل على كلٍّ من المعرفة، والفن، والقانون، والعادات والتقاليد، والأخلاق، وغيرها من الأمور التي يكتسبها الإنسان بوصفه أحد أفراد المجتمع. ويعرّفها أحد علماء الأنثروبولوجيا على أنّها: صفة يتّصف بها الإنسان، يكون مصدرها الإرث الاجتماعي، أو أنّها مجموعة من الأفكار والمعلومات والخبرات التي تنتشر في مجتمع ما بسبب التّأييد الاجتماعي لها، ويكون أساسها التراث،كما أنّها مجموعة من الأفكار التي تدور حول الحياة والاتجاهات العامّة ومظاهر الحضارة التي يتميّز بها شعب ما، وتُكسبه مكانة خاصّة في العالم، وهي بهذه المفاهيم جزء من الكلّ، ومكوّن من مكوّنات المجتمع، حيث تقدّم ثنائية اللّغة و الثّقافة ترجمة وبيانا لمختلف المنجزات والإبداعات الإنسانية الفردية،كما تبرز قدرات الإنسان ومهاراته وخبراته وانتماءاته الحضارية الاجتماعية، فكما أنّ اللّغة نتاج جماعي فالثّقافة لا تخرج عن هذا الأصل؛ لأنّ سلطة العرف الموروث تفرض نفسها في مختلف أنماط الحياة، وهو ما يكشف عن علاقة التأثير والتأثر بين هذه الثّلاثية على اختلاف طبيعتها (المجتمع/ اللّغة/ الفكر)، على معنى أنّ كلّ ارتقاء أو انحطاط يصيب واحدا منها إلّا وينعكس على البقية إيجابا أو سلبا، حيث تتدخّل جملة من العوامل -على اختلافها سياسية، اجتماعية، اقتصادية، فكرية- في تطوّر أو تدهور المجتمع من حيث لغته وثقافته. يقول أحد الباحثين الغربيين:"إنّ الثّقافة

البشرية والّسلوك الاجتماعي والتّفكير لا توجد في غياب اللّغة، فاللّغة هي وعاء الفكر ومظهر الثّقافة والأداة الّتي يتمّ بها التّفاهم بين الأفراد، ومن الطبيعي أنّ الأساس الّذي يقوم عليه هذا التّفاهم هو الاتّفاق على معنى واحد، فهي عماد الكيان الثّقافي بمفرداتها وتراكيبها و أساليب التّعبير عنها"،ومن أهمّ التّقاطعات التّي تعكس التأثر والتأثير بين اللّغة والمجتمع والثّقافة ما يلي:

– التّنوّع اللّغوي له علاقة بالتنوّع الثّقافي سواء على صعيد الأفراد أو المجتمعات،كما أنّ اللّغة كاشفة عن الثّقافة ومختلف المعارف؛ لذلك قد لا نفهم بعض الثقافات بسبب الاختلاف اللّغوي أو بسب تغيّر السّلوك اللّغوي وما ينطوي عليه من إيماءات وتعبيرات غير معهودة في ثقافتنا الخاصة.

– كلّ لغة لها بيئة اجتماعية، وهذه البيئة لا تخلو من وجود رابطة ثقافية تنتمي إليها من حيث الماضي و الحاضر و المستقبل.

– تهتم اللّسانيات الاجتماعية بمستعمل اللّغة من حيث وضعه الاجتماعي والفكري و الدّيني وغير ذلك، مع مراعاة أنواع الخطابات اللّغوية والمخاطبين ومستوياتهم الثّقافية .

– تسعى الأنثروبولوجيا اللّغوية إلى دراسة اللّغة في ضوء بيئتها الثّقافية.

– تعدّ القيم الاجتماعية و الثّقافية قيودا أمام كلّ سلوك لغوي يخالفها أو يدنّسها، كما أنّ المعجم اللّغوي للمجتمع من حيث استعماله و شيوعه يعكس علاقته بثقافة أفراده ، يقول عفيف الدين الدمياطي: "وتظهر العلاقة واضحة بين التغيّر المعجمي للّغة و الّتغيّر الثّقافي في اكتساب النّاس للمفاهيم الجديدة عن طريق الاختراع و الاستعارة بكيفية ما." وفي تاريخ تطوّر اللّغة العربية نجد الإسلام قد أفضى مصطلحات جديدة على الثّقافة العربية، وإن كانت لها دلالات معروفة لديهم لكن لما صارت تلكم المفردات ذات صبغة شرعية تحوّلت تلك المعرفة الّتي وجدت في لسان العرب و ثقافتهم إلى دلالات خاصّة بلسان الشّرع، و يصوّر لنا ابن فارس بعض مظاهر الثّقافة العربية قبل الإسلام وكيف تعامل معها بالتصرّف في ذلك الموروث القولي و الذّهني وما تمخّض عنه من مفاهيم ، حيث يقول:"كانت العرب في جاهليّتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم، فلمّا جاء

اللّه–جلّ ثناؤه – بالإسلام حالت أحوال، و نقلت من اللّغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأوّل" و هذا ما يعرف بالتطوّر الدلالي للمفردة ؛ لأنّه انتقال المعنى من طور إلى آخر حسب حالات المجتمع في جميع مجالاته وبكلّ مستوياته، و في ضوء العلاقة بين اللّغة و الثّقافة نجد اللغة العربية لغة حركية تطورية تتماشى ومقتضيات العصر ومستجدّاته، فهي مواكبة للسان العصر و اكتشافاته و ثقافته.

7–السّياسة اللغوية: اتّسع استعمال مصطلح السّياسة من حقل الحكم و السّيادة و النّظام إلى مجالات أخرى، حيث يتحدّد معناها على مقتضى ما أضيفت إليه تركيبا أو ما تعلّقت به توصيفا ومن ذلك مصطلح السّياسة اللّغوية، وهو مصطلح مركب من السّياسة واللغة، فاللّغة على حدّ تعبير ابن جني هي أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وهو تعريف يحيل على عدّة جوانب متعلّقة بماهيتها وجوهرها و وظيفتها وبعدها الاجتماعي، فهي ظاهرة صوتية سمعية من حيث طبيعتها، أمّا غايتها فهي تحقيق الاتّصال والتّواصل بين المتخاطبين، كما يشير تعريف ابن جنّي إلى البعد التّداولي للغة و الّذي يكمن في تصرّف مستعمليها في التّعبير بها عن مقاصدهم و أغراضهم.

ومصطلح السّياسة اللّغويّة مصطلح غربي ظهر في السّتينيات من القرن الماضي يقابل المصطلح الفرنسي Politique linguistique حيث عرفه **لويس جان كالفي** بقوله: "نحن نعتبر السّياسة اللّغوية هي مجمل الخيارات الواعيّة المتخذة في مجال العلاقة بين اللّغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللّغة والحياة والوطن."[1] فالّسياسة اللّغوية هي مجموعة من الخيارات المتعلقة باللغة.

ويعرّفها صالح بلعيد: "بأنّها موقف رسمي ضمن مبادئ، وتوجهات، وقرارات تستهدف إقليم الدولة، أو الإقليم الخاضع للحكم المحلي، أو الكنفدرالي، كما أنّها تدخل في باب الحقوق اللّغوية"[2]. و يعرفها آخرون "بوصفها الإطار القانوني، والتّهيئة اللّغويّة كمجوعة الأعمال التي تهدف إلى ضبط

[1]– لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللغوية، تر:حسن حمزة، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، ط1، 2008م ص:221.

[2]– صالح بلعيد، في الأمن اللّغوي، دار هومة للطباعة و النشر،الجزائر (دط)، 2010م، ص60.

وضمان منزلة للغة ما، أو عدّة لغات"[1]، فالسّياسة اللّغويّة تهدف إلى ضبط استعمال اللّغات في المجتمع الواحد، وضمان موقع كلّ لغة.

وفي علاقة اللغة بمصطلح السياسة نقف على بواكير ظهور مصطلح السّياسة اللغوية عند اللساني (أنطوان ميي) في دراسته للقوانين الّتي تحكم وضع اللّغة في مجتمع متعدّد اللّغات، حيث اعتمد في ذلك منهجا مفاده "أنّه من الواجب أن نحدّد مع أيّ بنية اجتماعية تتّفق ببنية لغوية معيّنة، كما أنّه من الواجب أن نحدّد كيف تتمثّل تغيّرات البنية الاجتماعية بطريقة عامّة مع تغيّرات في البنية اللغوية "، ولعلّه ممّا مهّد للدّراسات المتعاقبة في مجال السياسة اللغوية هذا المصطلح الّذي ظهر في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، وظهرت فكرة النّشاط المتعلّق أساسا بالمظاهر الداخلية للغة، و الّذي يكمن في إعداد الكتابة المعيارية والنّحو والمعجم لتوجيه الكتاب والمتكلّمين في الجماعة اللّغوية، ثمّ توالت البحوث بعد ذلك وتطورت من حيث دخولها ساحة البحوث العلمية والأكاديمية في الثمانينات من نفس القرن.

وزاد الاهتمام به تنظيرا و تطبيقا بعد ذلك لارتباطه بالهوية والقومية والمعتقد والإيديولوجيا، مع الإشارة إلى وجود هذا المصطلح كإجراء عملي في مراحل الحملات الاستعمارية الغربية على بلاد العرب بخلفية طمس معالم دينهم و هويّتهم، وهو ما تجسّد في فرض لغات الاستعمار و محاربة اللغة العربية ومعاقبة معلّميها ماديا و معنويا، أمّا من حيث حقيقة هذا المصطلح فقد ورد مفهومه لدى بعض الباحثين الغربيين بمعنى الاختيار المدروس من قبل الحكومة – أو أيّ سلطة– فيما يخصّ العلاقة بين اللّغة و الحياة الاجتماعية ، بينما تُعرّف بأنّها: مجمل الخيارات الواعية المتّخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية و بالتّحديد بين الحياة واللّغة والوطن،كما أنّ مفهوم هذا المصطلح يتّسم بالتوسع ليشمل تلك الإجراءات و الغايات و الوظائف المنتخبة من وراء هذا المفهوم، بمعنى أنّ السّياسة اللغوية لا تقتصر على السياسات و الأنظمة و اللّوائح الرّسمية المتعلّقة باللغة، بل يضم كذلك

[1]– لويس كالفي،حرب اللغات و السّياسات اللغوية، مرجع سابق، ص:11.

الأهداف و المقاصد و الأفعال المتعلقة بالسّياسة اللغوية والجانب التطبيقي، و انعكاسات السّياسات على الواقع.

ومن مرادفات هذا المصطلح عند بعض المتخصّصين ؛مصطلح التّخطيط اللغوي، حيث يماثل مصطلح السّياسة باعتبارهما مفهومين لهما منطلقاتهما العلمية فبحقل اللغويات الاجتماعية فالتّخطيط اللّغوي كما يعرّفه صاحب كتاب نحو نظرية التّخطيط اللغوي على أنّه" ليس نشاطا لغويا صرفا، بل تتداخل فيه عوامل مختلفة سياسية واقتصادية وإدارية، كلّها تصبّ في حلّ الإشكالات اللغوية في المجتمعات "، ويذهب البعض إلى أنّ التخطيط جزء من السياسة، ومنهم من يرى العكس، إلّا أنّ ثمّة تقاطعا و تقاربا بين المصطلحين من حيث الاهتمام باللغة في مستواها التنظيمي و التقنيني و الرسمي، و في مستواها الإجرائي أو الواقعي. يعتبر التّخطيط اللّغويّ" le Planification linguistique"فرع من فروع اللّسانيات الاجتماعيّة"[1] ويقصد به"مجموعة التّدابير الّتي تُتّخذ من أجل تنفيذ هدف معين، وهذا يعني أنّ مفهوم الخطّة يحدّدها عنصران، أوّلهما وجود هدف أو غاية، وثانيها وضع تدابير محددة، ووسائل مرسومة من أجل بلوغ هذا الهدف"[2]، فالتّخطيط اللّغويّ هو مجموعة الآليات المعتمدة لبلوغ الهدف المسطر ويعرّفه لويس كالفي بأنّه"البحث عن الوسائل الضّرورية، لتطبيق سياسة لغويّة، وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ"[3]

8–أهداف السّياسة اللّغوية:تهدف السّياسة اللّغوية باعتبارها لوائح تنظيمية وقرارات مصدرها السّلطة إلى:

– تحديد اللغة الرسمية –بحكم أنّها رمز للسيادة– و تفعيل استعمالها في المؤسسات والإدارات بموجب قرار رسمي (التّنصيص القانوني على هيمنة اللغة الوطنية على اللغات الأخرى)، وهو ما يهدف إلى تثبيت الهوية اللغوية، و ممّا يندرج في ذلك؛التّوجيه الفعّال للغة الواقع التّعليمي بكلّ أطواره ومستوياته، دون إهمال للتّحوّلات العالمية في مجال السياسة و الاجتماع و الاقتصاد و التعليم والثّقافة؛ ومدى ارتباطها باللغة الأم و مظاهر التّعدّد اللغوي، حيث مواكبة المستجدات العلمية

[1]– لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللّغوية، سابق، ص08.

[2]– صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التّطبيقيّة، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر (دط)، 2003م، ص12.

[3]– لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللّغوية، سابق، ص221.

والتطورات العالمية الحديثة ، وهو مجال لنشر اللغة و فرض قيمتها على المستوى العالمي من خلال الابتكارات و ترجمة مختلف المصطلحات العلمية، كما تهدف السّياسة اللغوية إلى حلّ المشاكل اللغوية وكل ما يتعلق بمعوّقات التّواصل بأشكاله، وفي هذا السياقي حدّد ميشال زكريا بعض الأهداف المتعلقة بالسّياسة اللغوية و التي أوجزها في :الإبقاء على اللغة الرسمية وإزالة التّعدّد اللغوي وذلك عبر جملة من المراحل (الاختيار والنمذجة) بمعنى اختيار النموذج القياسي من هذه اللغات، ثم مرحلة التقنين وتوسيع الوظائف؛ وهي التنصيص على وظيفة اللغة تشريعا، لتليها مرحلة المواضعة على النوعية ؛وهي تقبّل المجتمع لهذه اللغة كما يقرّر في خطوة ثانية تبنّي التّعدّدية اللغوية و الاعتراف بها وذلك بالمحافظة على اللغات الأساسية داخل الدولة وانتخاب لغة واحدة أو أكثر كلغة رسمية لأجل تكريس التعايش الثقافي و تنوّعه، وتبني لغتين رسميتين والاعتراف بهما لكونهما تتفقان مع التركيبة اللغوية الوطنية.

8-1-توصيف الوضع اللغوي الاجتماعي:

يتمّ هذا الإجراء من خلال البحث الميداني وأخذ العيّنات لتحليلها وفق عناصر المنهج الاستقرائي الإحصائي، على أن تكون الدراسة في ذلك مطبقة على ميادين مختلفة تمثّل طبقات المجتمع، ومنها المدارس و المراكز التعليمية والإدارات وأماكن التجمعات الشعبية، والاطلاع على الصحف و المجلات و الصّحف المقروءة من حيث نسبة استعمالها، وكذا المحادثات وكلّ أشكال التواصل الاجتماعي، وهو ما يؤسّس أهم مرتكزات السّياسة اللغوية و يعزّز من سبل فهمها وتحليلها، و يتمّ ذلك على عدّة مستويات منها: معرفة مصدر السّياسة اللغوية والسلطة الّتي تحدّد القرارات والمراسيم الخاصّة بها، أو ما يسمّى بالحوكمة اللغوية، وهي تصرّف قانوني له تفعيل على المستوى الاجتماعي فيما يخصّ المعنيين أو المستهدفين بالسياسة اللغوية لكلّ فئة مجتمعية، خاصّة مجال التّعليم والتربية و تحديد المناهج وضبطها، وهي مرحلة تسبق التّطبيق، حيث الإجراء العملي المتمثّل في ترجمة هذه السياسة واقعيا، من خلال الجمع بين مصدرها و واقعها الّذي لا ينفكّ عن ماضيه وسياقه التّاريخي من حيث إدراك الحقائق التاريخية سواء في النظام والحكم أو الدين

والأخلاق، أو الثقافة و الهوية وغير ذلك، ممّا له علاقة وشيجة بهدف رصد سياسة لغوية ناجعة في الحاضر و المستقبل .

8-2-رصد المشكلات اللغوية و تحديد الغايات:

تقدّم الدّراسات والبحوث الميدانية للسياسة اللغوية منطلقا لفهم واقعها الاجتماعي وفحص كل الجوانب المتعلّقة بها، سواء على سبيل الأفراد أو الجماعات، وهو ما يمكّن من تشخيص المشكلات اللغوية و تفسيرها تفسيرا علميا في ضوء معطيات الحياة الاجتماعية ؛ مع الاعتبار بالتّجارب اللغوية والعمل على الاستفادة منها، وما ترتّب عن العولمة و تأثيراتها على كافة مناحي الحياة من سياسة واقتصاد و إعلام وثقافة و غير ذلك، حيث يرى جون كالفي أنّ تطوّر علم اللغة الاجتماعي ارتبط بتطوّر السياسة اللغوية، وأنّ اشتداد هذا العلم كان نتيجة الاهتمامات الأولى بالسياسة اللغوية، وفي هذا السياق تلعب الإشكالات اللغوية دورا أساسيا و محوريا في النّهوض بسياسة لغوية ذات مستوى رفيع، تركّز على اعتماد اللغة الرسمية للدولة، و لغة التعليم و وسائل الإعلام و التّخاطب و التواصل بشكل عام، ومن مخرجات هذا العنصر تتحدّد جملة الأهداف و الغايات التي تسعى السّياسة اللّغوية لتحقيقها، حيث تحديد مجالاتها الموزّعة على عدّة فروع كالتّرجمة و التدريب اللغوي، و التقنيات اللغوية.

8-3-التّنشئة الاجتماعية:مفهومها: من التعاريف الواردة في بيان هذا المصطلح أنّها: عمليّة إكساب الفرد الخصائص الأساسية للمجتمع الّذي يعيش فيه ممثّلة في القيم والاتّجاهات والأعراف السّائدة في مجتمعه و معايير السّلوك الاجتماعي المرغوب في هذا المجتمع، وهي عملية مستمرّة عبر زمن متّصل تبدأ من اللّحظات الأولى من حياة الفرد إلى وفاته، كما تُعرّف في علم الطب النّفسي على أنّها: العملية الّتي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة و المهارات الاجتماعية الّتي تمكّنه من أن يتكامل مع المجتمع و يسلك سلوكا تكيفيا فيه، وهي أيضا عملية اكتساب الفرد للأدوار والسّلوك والاتجاهات التي تتوقع منه في المجتمع، أمّا رائد علم الاجتماع (دوركايم) فيرى بأنّها: استبدال الجانب البيولوجي بأبعاد اجتماعية وثقافية لتصبح هي الموجّهات الأساسية لسلوك الفرد في المجتمع.

8-3-1- أهمّية التنشئة الاجتماعية و سماتها: الاندماج الاجتماعي ضرورة لا مناص منها، و التّعارف بين الناس أفرادا و شعوبا سنة ربانية، فمقصد التّعارف معتبر شرعا لما يحقّقه من مصالح دينية ودنيوية.

قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[1]، ذلك أنّ توفير المطالب الفردية و الجماعية متعذّر حال الانعزال، وقد قال أبو العلاء المعري واصفا هذا التّكامل الاجتماعي:

النّاس للناس من بدو وحاضرة... بعض لبعض و إن لم يشعروا خدم

فكان من لوازم هذا التّعارف المجتمعي الّذي ينشأ الفرد في ظلّه؛ أنه يكسبه القيم الإنسانية والعوائد الجماعية قولية كانت أو فعلية، وممّا يندرج في ذلك الاكتساب اللّغوي الّذي يتواصل به مع بني جنسه، ويعبّر به عن مكنونات نفسه، ويحصل به التّوافق والتّعايش الّذي تستمر به الحياة وتتبادل به الشّعوب والأفراد المعارف والعلوم و الثّقافات، و في ضوء هذه المقاصد يمكن اختصار سمات التّنشئة الاجتماعية في النّقاط التّالية:

- فهي من حيث طبيعتها، ذات طبيعة جماعية.
- و من حيث زمنها فهي مستمرّة .
- من حيث أهدافها فهي تعليمية توجيهية، حضارية، جالبة للمصالح الفردية والجماعية، تحقق التّفاعل الاجتماعي وإصلاحه وضبط تصرّفاته وأخلاقه وثقافته ممّا يعزّز صلاح المجتمع و هويّته.

8-3-2-أهميّة اللّغة ودورها في التّنشئة الاجتماعية:

من خلال التّعاريف السّابقة يتجلّى دور التّفاعل القائم بين اللغة و التّنشئة الاجتماعية – بكلّ ما يحمله المصطلحان من تصورات و نظريات مختلفة– في تغيير أو نقل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وهو تحوّل من الانتماء الجيني الوراثي إلى انتماء لساني جماعي، تتجسّد فيه

[1]- الحجرات، الآية 13

الرّوابط الاجتماعية من لسان وثقافة وتاريخ ومستقبل، وتتلاقى فيه الأفكار والقيم والعوائد، ويتوحّد الشّعور بالانتماء إلى الهوية الاجتماعية الّتي تمنحه العضوية في هذا المجتمع.

يعتبر السّلوك اللغوي في هذا الشّأن مظهرا من مظاهر التأثير و التأثّر القائم بين المجتمع واللغة، ومدى استجابة الفرد لذلك، وهو ما أشار إليه دوركايم في قضيّة نقل الفرد من طبيعة بيولوجية إلى طبيعة سوسيولوجية، وهذا بدءا من الأسرة إلى المحيط الخارجي بكلّ أشكاله ومستوياته، حيث تعلّم اللغة صوتيا و تركيبيا ودلاليا، فمن التّعاريف الخاصّة بالتّنشئة الأسرية- باعتبارها الخلية الأولى في تكوين والأساليب الّتي يتّبعها الوالدان في تطبيع أو تنشئة أبنائهما اجتماعيا، أي تحويل الفرد من مجرّد كائن إلى كائن اجتماعي و ما يعتنقه من اتّجاهات توجّه سلوكه في هذا المجال"؛ والسّلوك اللّغوي هو واحد من هذه السّلوكات الّتي تسعى الأسرة إلى تعليمها للطّفل، وهذا من خلال التّواصل اليومي بين أفرادها، فيتعلّم المفردات و أساليب الكلام و فهمها، و هي عمليّة يومية تكسبه القدرة على الارتقاء في تحصيل اللّغة، ثمّ يتطوّر هذا المستوى بنموّه و انتقاله من مرحلة إلى أخرى، فيكتسب مستوى لغوي آخر في أسرته التّعليمية عبر مراحل تعليمه، كما يرتبط الاستعمال اللغوي بمواقفه الاجتماعية و المقامية على اختلافها، وفي علاقة اللغة بالتنشئة الاجتماعية التي تضمّ التّفكير نجد الطّرح الّذي جاء به (سابير و ورف) حيث مبدأ الحتمية اللغوية و الّذي مفاده أنّ اللّغة تحتّم الطّريقة الّتي نفكّر بها، و هو ملمح يكشف عن مدى فاعلية اللغة في التوجيه الفردي أو الجماعي في عالم الأفكار، يقول - محمد عفيف الدين الدمياطي: "يعود اهتمام علماء النّفس بتأثير اللّغة في الفكر إلى زمن بعيد، فقد عرف منذ زمن طويل أنّ الذّاكرة و الإدراك الحسّي يتأثّران بتوافر الكلمات و التّعابير المناسبة، فعلى سبيل المثال، بيّنت التّجارب أنّ النّاس ينزعون إلى أن يلاحظوا ويتذكّروا الأشياء الّتي يمكن تحويلها إلى رموز في لغتهم"، وعندما قام علماء النّفس باختبار فرضية سابير و ورف في الخمسينات من القرن العشرين تبيّن لهم أنّ تفوّق لغة معيّنة على لغة أخرى في تحويل اختلافات معيّنة في اللّون إلى رموز كان له التّأثير المتوقّع على الذّاكرة والإدراك الحسّي.

9- اللغة والطبقة الاجتماعية: إذا كان البحث في تركيبة المجتمع وبنيته من اهتمامات علم الاجتماع وأهدافه؛ فإنّ هذا الأمر له علاقة وشيجة باللغة باعتبارها عنصرا من عناصر المجتمع، ذلك أنّ طبيعتها وبنيتها ومفرداتها لا تنفك على مستعمليها و واقعهم بشكل عام، من حيث طبقاتهم الاجتماعية على اختلاف أشكالها، في معتقداتهم ووظائفهم، وجنسهم، ومستواهم التّعليمي والمعيشي وغير ذلك، وفي ذلك يذكر العلماء عدّة اعتبارات لها تعلّق باللغة وطبقات المجتمع، حيث يؤدّي الاختلاف فيها إلى الاختلاف اللغوي، معتبرين اللغة مميّزا للفرد والجماعة، يقول أحدهم" في الجماعة الكلامية الواحدة تختلف لغة المتعلّمين عن لغة الأميين، والمتعلّمون يختلفون لغة فيما بينهم باختلاف درجة تعلّمهم، وباختلاف مهنهم، وباختلاف درجة ثرائهم، ولغة الصيادين تختلف عن لغة النجارين وعن لغة الحدادين، ...ولغة المسيحيين في جماعة كلامية تختلف عن لغة من يدينون بالإسلام أو اليهودية، فاللغة قيد من القيود، أو هي أشبه مع شيء من الفارق ببصمات الأصابع، أو الزي "، فهذا التّباين الطّبقي يحول في الكثير من الأحيان بين الفرد وبين تعلّم لغة غيره الّذين تميّزوا عنه في المجتمع، لأنّها تحتاج إلى اعتياد و تجاوز العقبات النّفسية والاجتماعية في الغالب، حيث يقّرر محمود السعران أنّ حديثي الثّراء قد يستطيعون تقليد طبقة الأغنياء في الملبس والمأكل والمشرب وفي كلّ ما هو مادي، لكن عند استعمال لغتهم لا يستطيعون، ممّا يجعلهم محلّ سخرية و استهزاء،ممّا يبيّن أنّ الاختلافات اللغوية تحيل على تعددّ طبقي اجتماعي، طبقة عليا، وطبقة وسطى، وطبقة دنيا، طبقة مثقّفة، وأخرى من العوام، والبعض محافظ و ملتزم، فيما نجد الأخرى منحرفة ومتعدية عن النّظام الأخلاقي والقانوني، ومن حيث البيئة، فهذا من الحاضرة وذاك من البادية لا يعرف من المفردات إلّا ما وجده في محيطه البسيط الّذي يتغنّى فيه بخيمته و إبله وفرسه وصحرائه، ومن الطّرائف في هذا السّياق؛ أنّ علي بن الجهم وهو أحد شعراء العهد العباسي لما دخل على الخليفة في زمانه مدحه ببيت شعري كان قد استلهم مفرداته و معانيه من طبيعته و بيئته، فقال فيها :

أنت كالكلب في حفظك للعهد... و كالتّيس في قرع الخطوب

فأنكر عليه الجلساء، إلّا أنّ الخليفة أدرك أنّ الشاعر ما أراد ذمّه، بل قصد إلى مدحه بما يستحضر من مفردات بيئته التي ترعرع فيها. ويذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي أنّ: "اختلاف الطّبقات في بعض الأمم، وما يفصلها من فوارق في مظاهر الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، كلّ ذلك يؤدّي بها إلى التّمييز بين المفردات الّتي تطلق على شؤون كلّ طبقة منها" معنى ذلك أنّ البنية اللغوية من حيث مستواها المعجمي والصوتي قرينة دالة على تحديد الانتماء الطّبقي للفرد أو للجماعة اللّسانية، فالمعجم اللّغوي لطبقة الفقراء والكادحين غير المعجم اللغوي للأغنياء، ونفس الشّيء لمختلف الطّبقات الأخرى،كما أنّ السّياقات والمواقف لها أثر في انتخاب اللغة الحوارية أو التخاطبية، بحيث تتغيّر لغة الفرد حسب مهنته ومركزه الاجتماعي وأسرته وغير ذلك، ممّا يدلّ على التأثر والتأثير بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية، و كثير من علماء الاجتماع الّذين اهتموا بدراسة اللغة والطبقات الاجتماعية، حيث قامت دراستهم حول أهميّة الانتماء الاجتماعي والبنية اللغوية مثلا لدى الأطفال من خلال مقاربة سوسيو لسانية موسومة بالرموز اللغوية، فالرموز اللغوية المقيدة تمثل لغة التلاميذ الذين ينتمون للطبقة الفقيرة، وهي لغة تتّسم بالبساطة والسّهولة، بينما تمثل الرموز المفصلة–وهي لغة عليا ومحكمة– تلاميذ الطبقة الغنيّة، والحاصل من ذلك أنّ تلاميذ الطبقة الغنية لم يجدوا عقبات في تعلّمهم المدرسي، بل تفاعلوا مع ما يدرسونه، فيما وجد تلاميذ الطبقة الفقيرة صعوبات خلال تعلّمهم، على معنى أنّ التباين الاجتماعي له أثر في التباين اللغوي والتعليمي، كما له أثر في بقية المجالات الأخرى.

الفصل الأول

الازدّواج اللّغوي مفهومه ونشأته و تاريخه.

توطئة:

أصبح الحديث عن اللّغة في المجتمعات الحديثة متشعّبا ومعقّدا تعقّد الحياة، نتيجة التّغيرات التّي تطرأ على بنية المجتمعات، وما يُصيب الهُوية من تبدل وانزياح بسبب العوامل التّي يتعرّض لها الفرد، كما يتعرّض لها المجتمع، فالحديث عن اللّغة العربية، و ما يتعلق بها من قضايا جوهرية في الوطن العربي سيكون أكثر تشعّبا وتعقيدا، فالعربي يواجه ازدواجية لغوية داخلية بين اللّهجة الدّارجة و اللّغة العربية الفصيحة، و ثنائية لغوية خارجية بين اللّغة العربية و اللّغة الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرهما). ويواجه فوق ذلك انسحابا حضاريا للعناصر الجوهرية التّي تشكّل هُويته و خصوصيّته التّاريخية و القومية والإنسانية، في ظلّ ما يُسمى عولمة التّعليم في المجتمعات النّامية، التّي تتجه بالعالم نحو ما يُسمى بالتّجانس الثّقافي الذّي تتلاشى فيه الفروق و الخصوصيات الثّقافية للشّعوب، إنّ ما أصاب الحياة الحديثة من تعقّد و من ضيق التّخصص في مختلف الميادين، قد نشأ عنه الكثير من "اللّغات" الخاصّة التّي يجب أن يعنى بها الباحث اللّغوي، ثمّ إنّ اشتداد التّواصل بين المجتمعات بعضها ببعض على صورة لم تحدث من قبل في التّاريخ، جعل كلّ مجتمع لا يخلو من التأثير و التأثّر بلغة غيره.

واللّغة ظاهرة اجتماعية تترابط وظيفيا مع الأنظمة الاجتماعيّة الأخرى، فهي تقوى و تضعف تبعا لمقتضيات الحال، وهي في تغيّر دائم مع كلّ ما يعتري المجتمع من تحوّل في البناء الاجتماعي. وقد عبّر عن هذه الحقيقة " **كريستوفر نيروب** K. nyrob "، في مقدمته العامّة لتّاريخ نحو اللّغة الفرنسية بقوله: "سواء أكان السّبب اختراعا علميا، أم تطوّرا صناعيّا، أم حركة فكرية، أم طريقة جديدة للإحساس أو الفهم، أم إثراء للمجال الأخلاقي، أم تحويرا في الحياة الاجتماعية، فإنّ الإبداع اللّغوي مطلوب جدّا، و كلّ إنسان يخترع ألفاظا جديدة، سواء أكان عالما أو جاهلا، عاملا أم عاطلا، طبيبا أم فنانا"[1]

[1]Nyrob (k).grammaire historique de la langue française, paris piccard 1930, volume 1 p 03.

إنّ التّعدّد اللّغوي ظاهرة تشترك فيها كلّ الشّعوب والأمم، بالرغم من تفاوتها الحضاري و الثّقافي، الأمر الذي جعلها مركز اهتمام الباحثين و الدّارسين من مجالات و حقول معرفية متعدّدة، كاللّسانيات و اللّسانيات الاجتماعية و علم الاجتماع اللّغوي و غيرها، و هي أيضا ظاهرة مغرقة في القدم، وضاربة بجذورها في أعماق التّاريخ الإنساني، حيث احتفظت لنا الكثير من الثّقافات بعدد من الأساطير والحكايات التي تخصّ هذه الظّاهرة، فأسطورة بابل التّي تحكي عن أوّل بناء أثري تفسّر الاختلافات اللّغوية على أنّها لعنة الخالق أنزلها على عباده . ففي الزّمن القديم كان النّاس يتحدّثون لغة واحدة، فبلبل الرّب لغتهم، و جعلهم يتحدّثون لغات مختلفة، و عليه فإنّ مشكلة التعدّد اللّغوي قديمة جدّا، لكنّها تمتد إلى عصرنا الرّاهن في أشكال أكثر تعقيدا و تشعّبا .

إنّ أغلب الدّول الحالية دول متعدّدة أو ثنائية اللّغة، الأمر الذي يستوجب وضع سياسات لغوية وتخطيط لغوي يأخذ بعين الاعتبار خصوصيّة كلّ مجتمع، حيث أصبح عدد اللّغات يفوق بكثير عدد الدّول، فإذا تأملنا الوضع اللّغوي الدّولي الحالي، نجد أنّ 80%من دول العالم هي دول متعدّدة اللّغات، كما أكدّت إحصائيات أخرى أنّ أكثر نصف سكان العالم ثنائي اللّغة، فالتّعدّد اللّغوي ظاهرة واسعة الانتشار، لأنّه قلّما توجد دولة أحادية اللّغة، و الحقيقة الأكثر انتشارا هي التعدّدية اللّغوية ، وهي ليست وضعا خاصا بمنطقة دون أخرى، ولا هي سمة تخصّ دول العالم الثّالث فقط، بل هي قدر مشترك بين كلّ الشّعوب والأمم؛ فليس اختلاف الناس نقمة،لقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1]،و لكلّ قوم لسان لقوله: ﴿ **وَمَا أَرسَلنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَومِهِۦ**﴾"[2] واختلاف الألسنة و اختلاف الألوان آية من آيات الله كخلق السّموات و الأرض لقول الله تعالى:﴿**وَمِن ءَايَٰتِهِۦ خَلقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَٱختِلَٰفُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَٰنِكُم**﴾"[3]، و للظاهرة التعدّدية أسباب عامّة و أخرى خاصّة بكلّ مجتمع على حدة، انطلاقا من أنّ لكلّ مجتمع ظروفه التّاريخية

[1]- الحجرات، الآية 14.

[2]- إبراهيم، الآية 4.

[3]- الروم، الآية 22.

والسّياسية التي مرّ بها، فالتّحوّلات السّياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، و الفكرية، و الدينية، و التّكنولوجية، و الحروب و الصّراعات المسلحة هي الأسباب الأساسية في حدوث هذا التّعدّد اللّساني . وكما ذكرنا سالفا، فإنّ أغلب دول العالم تعيش حالة تعدّد لغوي، و الواقع أنّه حتّى في حال استعمال لغتين، أي في حالة ثنائية لغوية، فإنّ المجتمع يعيش تعدّدية لغوية، لذلك نجد أنّ أغلب الباحثين يعالجون ظاهرة الازدواجية و الثنائية في سياق حديثهم عن التّعدّدية.

إنّ المشهد اللّغوي العالمي المعاصر وما يكتنفه من مواجهات وتحدّيات، يستوجب معالجة معينة ووضع تصورات لتطوير اللّغات الأمّ و جعلها رسمية و وطنية عندما تزاحمها اللّغات الأجنبية الدّخيلة، و ترقية اللّهجات الوطنية و عدم تهميشها، لأنّها تجسّد جانبا مهما من هُوية الشّعوب و الجماعات، ذلك لأنّ القضايا السّياسية المتعلقة بالأقليات تحوّلت إلى قضايا إستراتيجية، تسبّبت في الكثير من النّزاعات والانقسامات وأصبح العالم أمام حتمية التّعايش أو الصّراع، على غرار ما حدث لبعض الدّول العربية مع نهاية القرن الماضي، وما حدث في يوغسلافيا سابقا لذلك كان لزاما اعتماد سياسات لغوية و تخطيط لغوي سليم للوصول إلى نتائج ناجعة، فهو المجال الوحيد الذي بمقدوره منع اشتعال الحروب اللّغوية ،كما أنّه الحائل دون انقراض اللّغات .

إنّ التّخطيط كان دوما عملا استراتجيا، دأبت عليه القوى العظمى، واستطاعت من خلاله أن تتحكم في النّظام العالمي على كافة المستويات السّياسية، والاقتصادية، والثّقافية، والأمثلة حيّة في تأثير اللّغات الأوروبية والأمريكية، لذلك وجب على الدّول السّائرة في طريق النّمو، تنظيم فضائها اللّغوي كقضية اللّغة الرّسمية وعلاقتها بمسألة الهُوية، وفضاء تعليم اللّغة وتعلّمها، والفضاء اللّغوي للمهاجرين، وفضاء علاقات التّراتب اللّغوي بالتّراتب الاجتماعي، وقضايا التّنوعات اللّغوية والهُويات الطبقية، إذن نحن أمام مستجدات وتحوّلات بالغة الأهمية سواء على مستوى السّياسة اللّغوية والتّخطيط اللّغوي، أو على مستوى القضايا والمشكلات التي يتصدى لها هذا التّخطيط.

فيجب أن يكون التّعدّد مغنيا لا مفقرا، يجب أن يكون تراكميا بتراكم الوظائف، لا تكراريا حشويا، يجب أن يكون في خدمة المواطن إذا كان متعلّما، أو إذا كان مستمعا، لنصل من خلاله إلى

التّواصل، إذا علمنا أنّ التّواصل مبني أوّلا على التّنازل والتّعاون، فهو بالضرورة يقتضي التوحّد و التنازل للآخر، فهو مرتبط بكثرة و تنوّع وسائل التّفاهم و التّخاطب، كمقاربة تحدّد عدد المنظومات اللّغوية المستعملة في البلد الواحد، ويتجلى في جانبين منفصلين: الأوّل يتعلق باللّغة ولهجاتها كالعربية، وهو ما يُطلق عليه بالازدواج اللّغوي، والثّاني يتعلق بالنّسيج اللّغوي الذّي يحكم تفاعل لغات وطنية وأجنبية، وهو ما يُسمى بالثّنائية اللّغوية، فما هو الفرق بينهما؟

وهل هما ظاهرتان لغويتان أم ظاهرة لغوية واحدة؟

إشكالية المفاهيم المصطلحية في اللّسانيات الاجتماعية:

يشكّل مصطلح الازدواج اللّغوي منذ بداياته الأولى، مجالا خصبا ومرتعا ملائما لجدل محتدم تضاربت فيه الآراء وتعددت، وتباينت فيه أساليب التّعريفات وتنوّعت، لأسباب يصعب التّكهن بطبيعتها في مفهومين كالازدواج والثّنائية اللّغويين اللّذين يتميزان بتشعبهما البالغ وصعوبة الإحاطة التّامة بالقوانين التّي تتحكم فيهما، وتضبط سبل اشتغالهما في المجالين النّظري والتّطبيقي على حدّ سواء، ومن جملة الإشكالات التي علقت بالمفهومين، وتضاربت حولها الآراء واختلطت بإزائها وجهات النّظر، ولم يهتد العلماء عبر العصور إلى فكّ مبهمها، وحلّ غامضها لكثرة ما شابها من لبس وما اعتورها من إشكال، مسألة معرفة حدّيهما.

إنّ أوّل ما يواجهنا هو الاضطراب المصطلحي الذّي ينتج عنه الخلط بين المفهومين– الثّنائية والازدواجية –حيث تباينت الآراء في بيان حدّيهما وأطلق اللّغويون مصطلح الازدواجية على الثّنائية، والثّنائية على الازدواجية.[1] ونتج عن هذا التّداخل نوع من الغموض بشأن مكوّنات كلّ منهما، ولا يقتصر الأمر على السّاحة العربية فقط، بل يمتدّ ليشمل الثّقافة الغربية نفسها، ولعلّ محاولة تقديم تحديد واضح للمصطلحين وكيفية ظهورها، قد يكون من الصّعوبة بمكان، لما وجدناه من اختلاف في

[1]–*نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التّحوّل، دار الشروق، عمان الأردن،ط1،2007،ص137.
* محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص253.

ضبطهما بين العلماء في كتبهم ومقالاتهم، فمن جهة ثمة صراع بين اللّغة الأمّ واللّغات الوافدة، و من جهة أخرى تفرّعات لهجية للّغة الأم نشأ عنه صراع بين الفصحى والعاميّة، وعليه فإنّ هذه الدّراسة قدمت رؤيتها لمصطلح الازدواجية وما يميّزه عن مصطلح الثّنائية الذّي بدا هو الأخر متداخلا معه ومشتبكا به، وإن كان كلاهما يمثل وجهين متبادلين لمشكلة الصّراع اللّغوي الذّي بدا أحدهما داخلي، ويمثله صراع الفصحى مع العاميّات المختلفة، والثّاني خارجي وَيمثله صراع الفصحى مع اللغات الأجنبية الوافدة، وقد أفضى الأول إلى ما راح يعرف بالازدواجية اللغوية، موضوع هذا البحث، فيما أفضى الثاني إلى ما يُعرف بالثنائية اللغوية.

وهو صراع لم يكن يومًا جديدًا ولا طارئا، وإنّما يضرب بجذوره في أعماق الماضي اللّغوي للفصحى نفسها، لكن شأنه لم يكن يومًا خطيرًا كما يبدو هذه الأيام، حين راح يتحوّل إلى مشكلة حقيقية توشك أن تعصف بالمشترك الحضاري والعقدي للأمة جراء عصفها بلسان الأمة وتلاعبها به، وهو ما بدا واضحا في مآل لسان الأمّة هذه الأيام، فقد طغت عليه العاميّات واللّكنات الوافدة بشكل فظيع ومؤذ في عصر العولمة، فوضع تعريف دقيق وسليم، سيحمّل هذه المفردات مسؤولية القيام بالمهمة التي تقع على عاتقها، للإفصاح عمّا يدور في المجتمع من مشكلات في الثّقافة والأدب وتجيبنا عن سؤال ما إذا كانت اللّغة تستطيع أن تستلهم الحياة الاجتماعية وما فيها من اتجاهات وما تمرّ به من تطورات.

ولنا أن نتساءل هل الازدواج اللّغوي ازدواج لسان فقط؟، أم هو ازدواج ثقافي بجميع معايير الهُوية؟ فأيّهما ثنائية لغوية؟ وأيّهما ازدواجية لغوية؟، فاللّغة ليست رموزا ومواصفات فنية فحسب، ولكنّها إلى جانب ذلك منهج وفكر وأسلوب وتصوّر لواقع الأمّة ورؤية شاملة لقضاياها ومشاكلها، "و الحياة اللّغوية تخضع لمؤثرات شتى، قديمة وحديثة، طارئة ومناخية، مزاجية وبيولوجية متشابكة في نسيج معقّد" [1]، وهو ما أشار إليه **"أندري مارتينيه"** حينما رأى حدود هذه المصطلحات غير واضحة المعالم بحكم أنّها ظواهر لاتهمّ علماء اللّغة وحدهم، بل يشترك فيها الكثير من العلماء على اختلاف

[1]-عائشة عبد الرحمان، لغتنا والحياة، درا المعارف، مصر، 1978م، ص 95.

تخصّصاتهم، نظرا لتعقيدات الازدواج اللّغوي بين الثّقافات وتمركزه بين علوم شتى منها علوم اللّسان، وعلم النّفس، وعلم الاجتماع، وعلم الأعصاب اللّغوي و البيداغوجيا إلخ، فحقًّا هناك صعوبة في تحديد مفهوم واضح و شامل بسبب هذه التّعقيدات.

أوّلًا: الازدواج اللّغوي كظاهرة مصطلحية:

لم تعرف الثّقافة العربية مصطلح الازدواج، بالرغم من أنّ مضمونه لم يكن غائبا عن هذه الثّقافة، و هو ما كان يعرف في الفكر العربي القديم بأسلوب الخاصّة وأسلوب العامّة " فمن خلال الدّراسة النّحوية القديمة يمكن أن نلمح الجهد العظيم الذّي عرض للّغة الفصحى محاولا بجهد لا يعرف الكلل تصويرها في جميع مظاهرها و بيئاتها و أشكالها،(الأكثر والكثير، والأقل والنّادر والشّاذّ)، إلى ما هنالك من مستويات"[1]. فبين أيدينا عشرات من الكتب التي تعالج ظاهرة اللّحن ومظاهره في اللّغة، كلّها تشكّل مظهرا من مظاهر الازدواج اللغوي في الدّرس اللّغوي القديم، ويعد الكسائي (ت189هـ) رائدا في هذا المجال، فهو أوّل من وضع كتابا في اللّحن، ضمنه مجموعة من المفردات التي شاعت في زمانه تناقض المأثور من لغة فصحاء البادية، ومن قبله سيبويه (180هـ) فقد أشار إلى أسباب اللّحن، وعقد الجاحظ (256هـ) في البيان والتّبيين بابا بعنوان: "ومن اللّحّانين البلغاء"، وعقد ابن جني (392هـ) في كتابه الخصائص فصلا سمّاه "اختلاف اللّغات وكلّها حجّة"أشار فيه إلى بعض الصّفات المشهورة عن لهجات القبائل، وأنّ بعض الصّفات أشهر من البعض الآخر، وأكثر شيوعا في اللّغة، ولكنّها جميعا ممّا يُحتج به[2].

1- الازدواج لّغة: تقع لفظة "**الزوج**"على الذّكر والأنثى، وعلى واحد منهما بغير هاء وهما زوج

وذلك أفصح عند العلماء، "فلقد تعرّض سيبويه للجنس في أكثر من موضع وتناوله بعدّة أفكار لسانية أكثر منها نحوية، وهذا هو الأصل في الدّراسات اللّغوية المبكرة بما فيها الدّراسات التّي سبقت سيبويه نفسه، وهذه الرّؤية العربية لهذا النّوع من التّركيب هو عين ما غدت تميل إليه الدّراسات

[1]- هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، (د ط)، 2010، ص 149.
[2]-إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2003م ، ص 42.

اللّسانية المعاصرة حيث أضحت تدرس هذا الصّنف من اللغة الإنسانية ضمن التركيب بشكل لساني واسع لا بشكل نحوي ضيّق"[1] حيث قال سيبويه "واعلم أنّ المذكر أخفّ عليهم من المؤنث لأنّ المذكر أوّل، وهو أشدّ تمكّنا وإنّما يخرج التّأنيث من التّذكير"[2] و"الزوج يقع على المرأة والرجل، وهو قول أهل الحجاز، واستدل بقوله تعالى:﴿أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ﴾"[3] وأهل نجد يقولون زوجة، وهو أقل فصاحة، قال الشّاعر:

وإنّ الذّي يمشي يحرش زوجتي كساع إلى أسد الشّرى يستبيلها.[4]

فمن قال زوجة، قال في الجمع زوجات، ومن قال زوج، قال في الجمع أزواج:

قال الله عزّ و جلّ" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾[5]

قال ابن السّكيت في قوله تعالى:﴿وَزَوَّجنَٰهُم بِحُورٍ عِين﴾[6] أي قَرَنّاهم، وقال الفرّاء هو لغة في أسد شنوءة. قال تعالى:﴿فَٱسلُك فِيهَا مِن كُلّ زَوجَينِ ٱثنَينِ﴾[7].

قال الشاعر: **خرجن اثنتين، اثنتين و فردةً يبادرن تغليسًا سمال المداهن**[8]

والزوج اللون، قال تعالى:﴿ مِن كُلِّ زَوجِ بَهِيج﴾[9] أي من كلّ زوج من النبات الحسن اللون.

وقال الأعشى: **و كلّ زوج من الدّيباج يلبسه أبو قُدامة محبّوّ بذاك معًا.**[10]

---

[1]- عبد الجليل مرتاض، الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة (دراسة لسانية)، دار هومة للطباعة ، الجزائر،2013م ، ص 93.

[2]- سيبويه، الكتاب، تحقيق، عبد السلام هارون، ج1، ط1، دار القلم، 1966م، ص 22.

[3]- الأحزاب، الآية 37.

[4]- عبد الجليل مرتاض، الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة، ص 102.

[5]- الأحزاب، الآية 28.

[6]- الدّخان ، الآية 54.

[7]- المؤمنين، الآية 27.

[8]- أبو منصور الأزهري(370هـ)، تهذيب اللغة، ج 11، تحقيق محمد أبو الفضل، مطابع سجل العرب، القاهرة، ، ص151.

[9]-ق، الآية 7.

[10]- ديوان الأعشى 86.

وكان الحسن البصري يقول في قوله تعالى:﴿وَمِن كُلِّ شَيءٍ خَلَقنَا زَوجَينِ﴾[1]، يقول السّماء زوج، والأرض زوج، والشّتاء زوج، والصّيف زوج، واللّيل زوج، والنّهار زوج، ويُجمع الزّوج أزواجا، ومنه الازدواج على صيغة الافتعال، ازدوجت الطّير ازدواجا، فهي مزدوجة.[2]

قال الزّجّاج في معنى قوله تعالى:﴿ ٱحشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزوَٰجَهُم﴾[3] معناه نُظراءهم، وفي معنى قوله: "أو يُزوّجهم ذكرانًا وإناثًا" معنى يزوّجهم: يُقرنهم، قال الفرّاء: التّزويج في الآية السّابقة، التّصنيف، والزّوج الصّنف"[4]. فالذّكر صنف، والأنثى صنف، فكلّ ما جاء في المعاجم اللغوية أنّ كلمة الزّوج والازدواج هو الاقتران، والتّصنيف والتّنويع والتّلوين، وكلّها معان تدور حول معنى الازدواج. ويذكر صالح شلهوب أنّ مادة زوج خلاف الفرد و الازدواج هو اقتران شيئين من أي جنس لتشابه بينهما أو لعلاقة تجمعهما.[5]

2- الحقيقة الاصطلاحية:

إنّ الدّراسات حول ظّاهرة الازدواج اللغوي دائما ما تذكر العمل التّقليدي لشارل فيرغسون (Charles fergason) يقول:" الازدواجية اللّغوية وضع مستقر نسبيا توجد فيه، بالإضافة إلى اللّهجات الرّئيسية للّغة –التي قد تشتمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعدّدة– لغة تختلف عنها، وهي مقنّنة بشكل متقن –إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللّهجات–، وهذه اللّغة بمثابة نوع راق يُستخدم وسيلة للتّعبير عن أدب محترم، سواءً أكان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضارية أخرى، ويتمّ تعلّم هذه اللّغة الرّاقية عن طريق التّربية الرّسمية (المدارس و المعاهد)، ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية"[6]. ظهر مصطلح الازدواج

---

[1] -الذاريات، الآية 49.

[2] – الأزهري، تهذيب اللغة، مرجع سابق ج 11، ص153..

[3] – الصافات، الآية 22.

[4] – الأزهري، تهذيب اللغة، ج 11، ص 154.

[5] –صالح شلهوب، الكشّاف، دار أسامة للنشر، الطبعة 1، (دت)،ص، 337.

[6] – علي القاسمي، العربية الفصحى وعاميتها ، أعمال النّدوة الدولية، المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، 2008م، ص 200.

اللغويَ (Diglossie) في اللسانيات الاجتماعية عام 1959م، حين استعمله اللسانيّ الأمريكي شارل فيرجسون وهو مصطلح إغريقي، وتعني الازدواجية اللغوية عند شارل مقابلة بين ضربين من ضروب اللّغة، ترتفع منزلة إحداهما، وتُعد المعيار الذّي تكتب به لغة الأدب، ولكن يبقى التّحدث بها عند الأقليّة المتخصصين، وتحطّ منزلة الأخرى التي يتحدّث بها الأكثريّة.

كان ذلك في مقال نشره في مجلة Word وقد تعرض في مقاله لعدة لغات تتمثل فيها ظاهرة الازدواج، ومنها اللغة العربية، ووضع تسعة معايير لازدواجية اللغات، هي:(الوظيفة. والمقام، والتّراث الأدبي، والاكتساب، والتّقييس، والثّبات، والقواعد، والمعجم، والفونولوجيا) ويعني وجود ضربين من الاستعمال اللغوي عند جماعة لغوية واحدة أحدهما فصيح والآخر عاميّ، ويختصُ كل منهما بوظيفة اجتماعية لا يؤديها الآخر.

من هنا حاول العالم الألماني **فيرغسون** أن يجمع كلّ الخصائص المميزة للازدواج اللّغوي، فإذا تمثلنا هذا التّعريف في اللّغة العربية قلنا أنّ الازدواج اللغوي:"لغة فيها مستويان: مستوى للكتابة، و مستوى للخطاب الشّفوي في الشّؤون اليومية، وندلّ بها على الوضع اللّغوي الماثل في اللّغة العربية من تقابل بين الفصحى والعاميّة"[1].هذا بالإضافة إلى مستوى ثالث وهو العربية الوسطى، " فنحن فيما جرى به العرف – هذه الأيام– نستعمل الفصحى حين نكتب ونقرأ، ونستعمل العاميّة في الشّؤون اليومية الخالصة، ونستعمل العربية الوسطى في المواقف الثّقافية الرسمية[2].كما أنّ البعض يشير إلى مستوى رابع من أنماط اللّغة العربية هو العربية الحديثة، أو ما يُسمّى في الغرب Neo-Classic Arabic أو Modern Standard Arabic، وهذا النّمط هو ما يشيع في وسائل الإعلام من لغة تلتزم قواعد النّحو والصّرف، وأصوات الفصيح" والفرق الوحيد الذي يستحق الذكر هو الميل إلى استخدام الشائع من الألفاظ، والبعد عن الإغراب، والمرونة الزائدة أحياناً اتّجاه استعمال العبارات المترجمة[3]. فالتحوّل إلى العربية

[1]– نهاد الموسى، ندوة الازدواجية في اللغة العربية ، ط1، مجمع اللغة العربية الأردني، الجامعة الأردنية، 1987، ص83.

[2]–يُنظر، نهاد الموسى، نحو نموذج فصيح للخطاب العامي،(بحث مقدم لمؤتمر قضايا اللغة العربية)، ماليزيا، 1992 ،ص1.

[3]– الزغول،محمد راجي،ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية "مجلة مجمع اللغة الأردني "السنة 3،العدد المزدوج 9 ،10 آب كانون، 1980م،ص 104 إلى 310.

الفصحى هو الحل المثالي والأنموذج المعياري الذي يتعيّن توخيه والالتزام به، لكن مثل هذا التحوّل قد يكون بالغ الصّعوبة أيضًا، أو متعذرًا، وفي هذه الحالة يلزم المقاربة ما أمكن، والتحوّل إلى العربية الوسطى مع ضرورة التنبيه إلى استخدام أساليب حديثة وواقعية وعملية، تتماشى والمعطيات الحضارية الحديثة، فتستمد من الواقع فكرتها ورؤيتها ووسيلتها.

كما عرّف الباحث الفرنسي **وليام مارسية** (Wiliam Marcais) الازدواج اللغوي في كتاب سمّاه "**الازدواجية العربية**Diglossie Arabe"حدّد فيه الازدواجية اللغوية "بحالة لغوية يتعايش فيها نظامان لغويان في مجتمع واحد، فيؤديّان وظائف تواصلية مختلفة، وهو ما يمكن أن نعبّر عنه في جميع اللّغات بوجود لغة مشتركة، وقد تُسمّى فصيحة أو رسمية، ولغة خاصّة، وقد تُسمّى لهجة أو عاميّة، فينتج عن ذلك وجود مستويين لغويين: واحد رفيع، والآخر وضيع. حيث"تمثل الفصحى والعامية في سياق اللغة العربية مستويين بينهما فرق أساسي حاسم، يتمثل في أن الفصحى نظام لغوي مُعْرب، أما العامية فقد سقط منها الإعراب بصفة شبه كلية"[1].ويُعد **وليام مارسيه** أوّل من استعمل مصطلح الازدواجية اللغوية في الأدبيات اللغوية الفرنسية، كما كان أوّل لغوي تطرّق في ثلاث مقالات إلى ازدواجية اللغة العربية (الفصحى والدّارجة) في شمال إفريقيا ذلك بمناسبة الذّكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر.

وقد عرّف الازدواجية بأنها التوارد بين لغة مكتوبة و لغة شفهية. يقول: "تبدو لنا اللغة العربية في شكلين مختلفين، لغة أدبية: وهي المسماة بالعربية المكتوبة أو القياسية أو الكلاسيكية، والتّي كانت اللغة المكتوبة الوحيدة في الماضي، تُكتب بها حاليا الأعمال الأدبية والعلمية والمقالات الصحفية والوثائق القانونية والرسائل الخاصة... ولكن لا يُتحدّث بها في كل المقامات، ولغة شفهية: والتّي لم تُكتب أبدا.حيث تشكّل منذ وقت طويل لغة المحادثات في كل الأماكن العامّة. هذا ليس قدرا خاصّا في العربية فقط، بل هو قدر كلّ اللّغات "إنّ هذه الحقيقة تنطبق على جميع المجتمعات والبيئات، ومؤدّاها استحالة وجود بلد أحادي اللّغة، وهذا معناه أنّ مصير الإنسان أن يكون في

1 – محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين " الثنائية اللغوية"، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط1، 1988م، ص20.

مواجهة اللّغات المتعدّدة، لا أن يكون في مواجهة اللّغة الواحدة"[1]. وبهذا المفهوم تبدو الازدواجية مقابلا عربيا لمصطلح (Diglossia)، فيما تبدو الثّنائية المقابل العربي لمصطلح (Bilingualism)، وعند ترجمة هذين المصطلحين إلى العربية يبدوان كأنّهما يحملان المعنى نفسه، فمصطلح (Diglossia) يتركّب من سابقة يونانية (Di) والتي تعني مثنى أو ثنائي، و(gloss) التي تعني لغة، و لاحقة هي (ia) للحالة، وحاصل التّرجمة (حالة لغة مثناة) وهذا يعني الثنائية اللغوية، ومصطلح (Bilingualism) يتركّب من سابقة لاتينية هي (Bi) وتعني مثنى أو مضاعف (lingual) وتعني لغوي، ولاحقة (ism) الدّالة على الحالة، وحاصل التّرجمة (سلوك لغوي مثنى أو مضاعف) وهذا يعني الثّنائية اللّغوية[2]. وبذلك فإنّ المصطلحين يؤديان المعنى نفسه، لكن واقع الاستخدام لكلّ المصطلحين، يؤكد عكس ذلك، فيبدوان متغايرين، والخلط بينهما يرجع إلى اضطراب الغربيين في تحديد مفهوم كل من المصطلحين[3].

وقد انتقلت عدوى هذا الاضطراب إلى الدارسين العرب، وساعدت عليه الترجمة، إلّا أنّنا نأخذ بوجهة نظر العالم العربي نهاد الموسى الذي يرى في المصطلح الغربي (Diglossia) مفهوم الازدواجية[4]

والذي يعني بحسب وليام مارسية[5] "تنافسا بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة، أي بين الفصحى والعامية، أو بحسب فيرغسون[6] وصفًا لغويًا مستقرًا نسبيًا، يوجد فيه بالإضافة إلى اللهجات المستعملة في المحادثة العادية نمط فوقي عال التّشفير، يُستعمل في معظم الأغراض المكتوبة والأحاديث الرسمية.

1- الحبيب النصراوي، في الازدواجية اللغوية و الهُوية العربية، مجلة الإذاعات العربية ،العدد 4، 2013م،ص 09.

2- محمود كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية والثنائية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل،م3 ،ع1، آذار 2002م،ص55.

3- المرجع نفسه، ص 55-57.

4- الموسى نهاد، الازدواجية في العربية،ندوة الازدواجية في اللغة العربيةنمط الجامعة الأردنية ،عمان،1988م،ص84.

5- الزغول،محمد راجي، ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة الغربية، سابق، ص120،121.

6- عبد الرحمن محمد، القعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية ،مطابع الرياض ط1، 1997م،ص104.

ويعرفه (أندري مارتينه):بأنّه موقف لغوي اجتماعي، تتنافس فيه لهجتان لكلّ منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكوّن الأولى شكلا لغويًا مكتسبًا ومستخدمًا في الحياة اليومية، وتكوّن الثانية لسانًا يفرض استخدامه في بعض الظروف، ويستعمله الممسكون بزمام السلطة[1].وعليه تبدو الازدواجية اللغوية تنوّعًا لغويّا أو لسانيا ضمن اللّغة الواحدة حيث تبرز الفصحى والعاميّة، أو العاميّات المتعددة، فتُخصّص الفصحى للاستخدام الرسمي، فيما تُخصّص العاميّة للاستخدام العادي واليومي، وهي حالة مستقرة نسبيًا، لكنّها قد تخلق صراعًا بين المستويين قد يتحوّل تدريجيا إلى مشكل كبير يهدد الفصحى بالانقراض.

ويرى **جوشوا فيشمان**[2]: أنّ المفهومين وجهان لعملة واحدة، ولا فرق بينهما إلّا من حيث الاستعمال فقط على مستوى الفرد و المجتمع. في حين يشير مصطلح الثّنائية "Bilinguisme" في معجم روبير الصّغير إلى الفرد الذّي يتكلم لغتين، أو الدّول التي توجد فيها لغتان كبلجيكا و كندا"[3]. ويعرّف **جون ديبوا** وآخرون الثّنائية اللّغوية بأنّها:"الوضعية اللّسانية التّي يكون فيها المتكلمون مدفوعين إلى استعمال ثنائي "Alternatif" بحسب المكان والسّياقات للّغتين مختلفتين، وهذه الحالة الشّائعة للتّعدد اللّغوي"[4]. وأجد نفسي أميل إلى أنّ الازدواج اللغوي يمثل شكلا من أشكال الصّراع الداخلي بين مستويين لغويين من أرومة واحدة، أو التّقابل اللّغوي بين الفصحى والعاميّة.

---

[1]– أندري مارتيني ، الثنائية والازدواجية الألسنية، دعوة إلى رؤية ديناميكية للوقائع، تر: نادر سراج،مجلة العرب والفكر العالم" ، العدد11 ،1990م،مركز الإنماء القومي،بيروت،ص24.

[2]–جوشوا فيشمان (1926 2015) واحد من رواد اللسانيات الاجتماعية الذين لهم إسهامات جوهرية في صياغة نظرية هذا العلم، بلغت مؤلفاته ثمانين كتابا و ألف مقالة علمية وهو مؤسس (المجلة الدولية لعلم اجتماع اللغة) – International Journal of the Sociology of Language ومن أظهر المجالات البحثية التي استغرقت جهد فيشمان علاقة اللغة بالسلوك، و بخاصة فيما يتصل بالوعي العرقي اللغوي، وبالثنائية اللغوية، وبلغات الأقليات، وبالتخطيط اللغوي، والسياسات اللغوية، و من أشهر مجالاته البحثية أيضا دراساته للغات اليهود وتاريخها الاجتماعي وهو ما يلتقي مع ديانته.

[3]–Voir le petit robert, p125.

[4]- dubois et autres: Dictinnaire de linguistique, paris, larousse, 1973, p 368.

أمّا مجموعة المعاجم المتخصّصة فإنّها تشير إلى الازدواج اللّغوي في إطار التّخصص والوظائف الاجتماعية للّغات، حيث يعرّفه **جون ديبوا** (Dubois) بأنّه:"الوضع اللّغوي الذّي يستعمل فيه المتكلمون لغتين مختلفتين حسب البيئة الاجتماعية والظّروف اللّغوية"[1]. ممّا يستوجب تحديد الوضع القانوني والمركزي للّغات. وقد حاول وليام فرنسيس ماكاي (William Francis mecKey) الخبير في الازدواجية اللغوية تجنب هذه المفاهيم واقترح مفهوما شاملا للازدواجية اللّغوية واعتبرها:"مفهوما نسبيّا وليس مطلقًا."[2]

فإذا تعلّق الأمر بقانون النّسبية كما هو الحال في العلوم الاجتماعية –لأنّها ليست علوما دقيقة– فإنّه يتوجّب تحليل الظّاهرة من خلال تحليل العوامل الفاعلة فيها ومن هذه العوامل: الوظيفة القانونية والوظيفة الاجتماعية للّغات الفاعلة في المجال اللّساني، والاستعمالات لكلّ لغة من مثل:

- المدّة، والتّكرار، والضّغط الاجتماعي (التّواتر).
- التّواصل الشّخصي في الوسط العائلي (الأصدقاء، العبادات، حالات الفرح والحزن والقلق)
- درجة الكمال والإتقان بالنسبة للّغتين، ونسبة التّداخل والاقتراض للّغتين عند الفرد والجماعة.

من خلال هذه التحليلات المختلفة لظاهرة الازدواج اللغوي نلاحظ مدى الصّعوبة في تحديد مفهوم عام وتعريف شامل لها، ومع ذلك نقول: إنّ الازدواجية اللغوية هي الوضع اللغوي الذي يستعمل فيه الفرد أو الجماعة لغتين بالتناوب؛ وحسب الظروف، والوظائف الخاصة، ويكون القياس فيها خاضعا لأهداف التعليم والسياسة اللغوية لهذا البلد أو ذاك وهنا تظهر محورية النسبية وعدم الإطلاق فيها. أمّا الاقتراض اللّغوي فهو عبارة عن تبادل بين نظامين لغويين مختلفين مع الإشارة إلى استقلالية النظامين عند الفرد المزدوج.

ويُسجَل أنّ الازدواجية اللغوية قد حظيت بنصيب وافر في الدّراسات السّوسيو لسانية الغربية والأمريكية لارتباطها بالهوية اللغوية والثّقافية وولوجها إلى عالم الاستثمار كما تؤكد ذلك المؤتمرات

[1]–Dubois Jean et, Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris 1973, p 26.

[2]–William Francis MacKey, Bilinguisme et contact des langues,Paris 1976, p 111.

المنعقدة للاقتصاد اللغوي في كلّ من كندا والولايات المتحدة الأمريكية حيث أكد العلماء والأساتذة الحاضرون في الملتقى الدولي في أوتاوا (**كندا**):"أنّه قد حان للازدواجية اللغوية أن تتجاوز الأبعاد اللسانية المحضة والبعد السّياسي إلى البعد التّجاري والاستثمار في مجال اللغات"[1].

– **أسبابها**: ترتبط الازدواجية اللغوية بمستعملها الّذي يخضع لمؤثّرات داخلية أو خارجية، فمن الأولى ما يتعلّق بالجانب النّفسي وما ينطوي تحته من شعور وإحساس وانفعالات، أمّا الثاني فيكمن في البيئة بمفهومها الواسع الّذي ينظر فيه إلى اللّغة على أنّها ظاهرة اجتماعية لها تعلّق بعوائد الناس واعتقاداتهم و طبقاتهم و تاريخهم الماضي والحاضر والمستقبل، لذلك نجد لهذه الظاهرة اللغوية في حقلها الاجتماعي عدّة عوامل منها:

–أنّ للّغة سيادة يجب حفظها و صيانتها، و المساس بها هو تعدّي على أحد أركان الأمّة ومقوّماتها؛ لذلك تسعى الدول القوية إلى فرض لغتها على الدول الضعيفة و إجبارها على استعمالها و تدريسها حتّى تكون خصما للغة الأصلية، وهو ما يكشف عن علاقة اللغة بقوّة المجتمع سياسيا و عسكريا واقتصاديا.

– الاختلاف المجتمعي من حيث النّظام والثّقافة والمستوى الفكري والمعرفي،كما يدخل في ذلك التّكوين الطّبقي والعرقي للمجتمع ممّا له أثر في ازدواج التّواصل اللّغوي بين أفراده، أو حتّى مع غيره.

– العامل الجغرافي أو البيئي وما يحيل عليه من اختلافات لغوية، و قد تجسّد ذلك في تاريخ العرب اللّغوي من خلال اللّهجات العربية التي تباينت على مقتضى بيئات العرب ومواطنهم.

– الاحتكاك مع الشّعوب، حيث يكون سببا في تعلّم لغة أخرى غير اللّغة الأم في الكثير من الأحيان، سواء من خلال الهجرة إلى بلد آخر للعمل أو اللّجوء إليه لسبب سياسي، أو للتبادل التّجاري أو غير ذلك.

[1]–Colloque international tenu le 05 mai 1995 à Ottawa, les langues officielles et la perspective économique: Nouvelles réalités et nouveau discours.

– السّبب الدّيني و العلمي و المعرفي ؛ فقد شهد التاريخ أنّ اللغة العربية بلغت في وقت مضى مبلغا كبيرا بسبب الفتوحات الإسلامية وتعلّمها غير العرب، كما سجلّ التاريخ حركة الترجمة التي حظيت بها المصنفات العربية والإسلامية لدى الأوروبيين الذين كانوا يتخبّطون في عصور الظلام، ومن تجليات الدافع العلمي تلك الهيمنة اللغوية التي تبوّأت فيها بعض اللّغات العالم مكانة عالية في البحث العلمي كالانجليزية مثلا.

– العامل الوراثي و الجنسي الكائن بين أفراد المجتمع الواحد أو عدّة مجتمعات، حيث تختلف اللغات باختلاف الأعراق والجنسيات، وهو سبب من أسباب الازدواج اللغوي.

– التغيّر اللغوي وأثره على مختلف مستويات اللغة (الصوتي، الصّرفي، التّركيبي، الدلالي، المعجمي) و علاقته باللغة في جانبها الوظيفي الاجتماعي.

ومن آثارها: مزاحمتها للغة الأم، وبالتّالي منافستها في الاستعمال والشّيوع، فإذا كانت بين الفصحى و العامية، كان ذلك على حساب الفصحى–كما هو الواقع اليوم– وهو أحد الأسباب الّتي تؤول إلى تدنّي المستوى التّعليمي، خاصّة و أنّ اكتساب العامية سابق على تعلّم العربية الفصحى لدى الطّفل بحكم الممارسة الأسرية و المجتمعية لها، وهو ما يحتاج إلى بذل الجهد – المادي و النفسي– في تلقين النّاشئة العربية الفصحى، أمّا إذا كانت الازدواجية بمعنى اللغة الأم مع لغة أجنبية أخرى؛ فهذه ظاهرة ينجم عنها الصّراع اللّغوي الّذي له خلفيّاته التّاريخية و أبعاده الحالية و المآلية، ويذكر أحد الباحثين جملة من المشكلات التي نجمت من الازدواجية اللغوية وقد حصرها في: مشكلات تعليم اللغة العربية للعرب والأجانب، ومشكلات الترجمة والتّعريب في العصر التّقني الحديث، ومشكلات اللغة في وسائل الإعلام، ومشكلات الحوار في الأدب(كالمسرح و الرّواية و القصّة).

3– تعالق الازدواج اللّغوي مع بعض المصطلحات اللّسانية:

3–1– اللهجة:اللّغة ظاهرة اجتماعية، تنمو وتتطوّر أو تختلف وتندثر بفعل التّعامل الإيجابي أو السلبي الذي تحظى به من أفراد المجتمع السائدة فيه، وهي تميل في حياتها إلى اتجاهين: الأوّل يقودها

إلى الانقسام فتتفرّع عنها الكثير من اللّهجات والثاني إلى التوحّد فتتكوّن اللّغة المشتركة، التي تقوم على لغة موجودة بالفعل، كاللّغة العربية في العصر الجاهلي التي قامت على لغة قريش بعد أن تكوّنت من لغات قبائل شبه الجزيرة العربية. ودراسة اللّهجات هو من الأبحاث اللّغوية الحديثة، ويسمّى العلم الذي يبحث فيها: علم اللّهجات dialectologie، إذ يهتمّ هذا العلم بدراسة اللّهجة باعتبارها تنوّعا لغويّا تفرّعت عن اللّغة المشتركة، فهو بذلك يساعد على معرفة مراحل التطوّر اللّغوي، كما يساهم في فهم اللّغة والكشف عن أسرارها.

وقد عرف العرب قديما هذا النوع من الأبحاث وأوْلوه عناية فائقة منذ القرن الأول الهجري، ولم يهتم المحدثون العرب بدراسة علم اللّهجات لاعتبارهم أنّ الخوض في هذا النوع من الدّراسة يشكّل مصدر خطر على اللّغة العربية، رغم أن الغربيين بحثوا في التّنوعات اللّغوية في الجامعات الأوروبية خلال القرنين التّاسع عشر و العشرين "وأسست لها بعض الجامعات الراقية فروعاً خاصة بدراستها تعنى بشرحها وتحليل خصائصها وتسجيل نماذج منها تسجيلا صوتيا يبقى على الزمن"[1]. ولم يكن اهتمام العلماء الغربيين مقصورا عن لهجاتهم في الأقطار الأوربية، بل قدّموا أبحاثا كثيرة في اللّهجات العربية قديمها وحديثها، كبعض اللّهجات الجزائرية والتونسية والمغربية والمصرية والعراقية على غرار ما قام به (فيليب مارسي) في لهجة بوسعادة وجيجل، و(وليام مارسي) في لهجة تلمسان، و(مارسيل كوهين) في لهجة اليهود في الجزائر العاصمة، مما حفز مجمع اللّغة العربية بالقاهرة على إصدار نصوص قانونية سنة 1932م لتنظيم دراسات علمية للّهجات العربية الحديثة في مختلف الأقطار العربية، وعُقدت الندوات حول الموضوع، وانتشر هذا المستوى اللّغوي في الكثير من المجالات التي كانت تشغلها العربية الفصيحة، كالإعلام والاقتصاد والإشهار والفضاءات العامة.

والمتصفّح للمعاجم العربية القديمة، يظفر ببعض التّعاريف لمصطلح (اللّهجة)، وقد عثرنا على بعض الآراء التي تضع كلمة (اللّهجة) مرادفة لكلمة اللّغة أو اللّسان أحيانا، أو مرادفة للّحن أحيانا أخرى؛ فهي منوّعة ناقصة لم تنضج بعد.

[1]- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، مقدمة الطبعة الأولى، مرع سابق، ص 9- 10.

3-1-1-اللّهجة لغةً:

جاء في مختار الصّحاح للرّازي: واللَّهْجة بوزن البَهْجة اللّسان، وقد تُفتح هاؤه يقال: فصيح اللّهَجة و اللّهْجة"[1]. وكثيرا ما نقرأ في مؤلفاتهم قولهم هذه لغة رديئة، وهذه لغة قبيلة كذا ..."[2] لكن معاجم عربية أخرى استدركت هذا الأمر، وعرضت لبعض المعاني اللّغوية للجذر(ل.ه.ج.) فقد جاء في القاموس المحيط للفيروزبادي ما نصّه: "ومن ذلك قولهم لهج الفصيل ثدي أمّه: إذا رضعها، ولهوج اللّحم إذا طبخه ولم ينضجْه، ولَهَجَ به كَفَرِحَ أُغْرِيَ به ... ولهوج أمرَه لم يبْرِمْه والشواءَ لم ينضجْه..."[3]

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشريّ:"أنّ اللّهجة مرادفة للّحن."فهي منوعة ناقصة لم تنضج بعد.وخصّص معجم "لسان العرب" عدّة صفحات استعرض فيها عدّة معاني لهذه المادة "ل.ه.ج." ومن بين هذه المعاني قوله: " واللَّهْجة واللَّهَجة: طرف اللّسان، واللّهجة واللَّهَجة: جَرَسُ الكلام، ويُقال فلان فصيح اللَّهْجة، وهي لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها... ولهوج الشّيء، خلطه ولهوج الأمرَ، لم يُحْكمْه ولم يُبْرِمْهُ."[4]

أما المعاجم العربية المعاصرة، فجاء في الوسيط "اللَّهْجة اللّسان أو طرفه، ولغة الإنسان التي جُبلَ عليها فاعتادها، يُقال: فلان فصيح اللَّهْجة، وصادق اللّهجة، فهي طريقة من طرق الأداء في اللّغة وجرس الكلام."[5] نلاحظ من خلال هذه التّعريفات اللّغوية أنّ اللّهجة تعبر عن اللّسان وتصفه بالفصاحة، وأنّ المعاني التي تحملها كلمة " اللّهجة " استقرت دلالتها منذ عصر التّدوين إلى العصر الحالي، ويمكن أن نستخلص ثلاثة أمور تخصّ مفهوم اللّهجة قديمًا.

1- اللّهجة هي اللّغة الأمّ التي جُبلَ الإنسان عليها، فاعتادها ونشأ عليها .(طريقة الاكتساب)

2- اللّهجة خليط غير منسجم من حيث طبيعتها التكوينية. (الطبيعة التكوينية)

---

[1]- أبو بكر الرّازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، ط1، 1976م، ص 286.

[2]- لم يكن هذا التمييز واضحا في الثقافة العربية القديمة، إذ كانوا يستعملون مصطلح لغة للدلالة على اللّهجة.

[3]- الفيروزبادي مجد الدين، القاموس المحيط المجلد 1، ج1، تح حسن عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، 2005م، ص 206.

[4]- ابن منظور جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد 2، ص 260،259، باب لهج.

[5]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار أحياء التراث العربي، ط2، د ت، ص 841.

3- اللّهجة ترادف اللّحن، فهي منوعة ناقصة لم تنضج بعد. (القيمة الاجتماعية)

ومهما يكن من أمر فإنّ اللّهجة شكل من أشكال اللّغة التي تنتمي إليها.

3-1-2- الحقيقة الاصطلاحية:

يعرفها إبراهيم أنيس بأنّها: "مجموعة من الصّفات اللّغوية، تنتمي إلى بيئة خاصّة، و يشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضمّ عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللّغوية، التّي تيسّر الاتّصال بين أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وتفهم ما قد يدور بينهم من حديث، يتوقف على قدرة الرابطة التّي تربط بين هذه اللّهجات."[1]

ويرى الدكتور عبد الواحد حجازي: "أنّ اللّهجة لا تزيد عن كونها طريقًا في النطق، وإخراج الأصوات، وتفضيل بعض قواعد البناء اللّغوي فتتمايز القبائل وتختلف تبعًا لذلك، ولكن ليس من الحق في شيء أنّ تقول عن اللّهجة أنّها لُغة، ثمّ تجعل من اللهجات المختلفة لغات."[2]

أما عبده الرّاجحي فيرى ما يلي:"أنّ العرب القدامى حين كانوا يشيرون إلى الفروق بين لهجات القبائل، لم يستعملوا مصطلح اللّهجة على النحو الذي نعرفه في الدرس اللّغوي الحديث ... وغايّة ما وجدناه عندهم ما تردده معاجمهم من أنّ اللّهجة هي اللّسان أو طرفه، أو جرس الكلام، ولهجة فلان لغته التّي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها ... وكانت كلّ ملاحظاتهم تصبّ على هذه الفروق اللّهجية التّي دخلت الفصحى."[3]

يقول محمد أديب السّلاوي: " اللّغة العربية الفصحى لهجة من لهجات العرب العديدة، ارتقت إلى مصاف اللّغات الأدبية بفضل نزول القرآن الكريم بها، ومن الطبيعي أن تحرص الأمّة الناشئة أن يكون لها لغة قومية معترف بها، وصيغت أحكامها وضُبطت قواعدها، فوقفت في نحوها وصرفها في

[1]- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، مرجع سابق، ص 16.

[2]- محمد عبد الواحد حجازي ، أثر القرآن الكريم في اللّغة العربية، مرجع سابق، ص 15.

[3] - عبده الراجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (دط)، 1996م، ص 50.

نقطة معينة من الزمان والمكان، أمّا لغة الناس التّي لم تخضع لقوانين الصرفيين والنحويين، فقد سارت سيرها المحتوم مجزأة إلى لهجات، لأنّ اللّغة مجرى لا يعرف الجمود."[1]

أمّا في الثقافة الغربية، فإنّ البحث في اللّهجات بدأ يشق مساره منذ أن نشر(**دانتي**) الإيطالي كتابه" بلاغة الدّارجة" ثمّ ازدهر في بداية القرن التاسع عشر الميلادي...وأصبح يشكّل أحد أهم مباحث علم اللّغة العام linguistique generale."[2] وقد أشار دي سوسير إلى صعوبة وضع معايير صارمة بين اللّغة واللّهجة، خصوصًا أنّه غالبًا ما يُطلق على اللّهجة اسم اللّغة لأنّها أنتجت أدبًا.

أمّا أندري مارتيني فيرى أنّها "مصطلح مستعمل في الغالب كمفهوم لتنوّعات لغوية توجد في مكان جغرافي خاص.[3] أي أنّ اللّهجة هي مجموعة من الصّفات اللّغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، ومع ذلك حاول الكثير من اللّسانيين التّمييز بين اللّغة واللّهجة.كما هو عند اللّغوي مارسيليزي، (j.b. marcellési) في كتابه اللّسانيات الاجتماعية:" بإمكاننا تحديد ميدان المصطلح انطلاقًا من الرقعة الجغرافية (لهجة بمفهوم المصطلح العام)."[4]

أمّا جون ديبوا (jaune dubois) يرى أنّ اللّهجة شكل من أشكال اللّغة، لها نظام خاص على المستوى الإفرادي والتركيبي والصوتي وتستعمل في محيط ضيق بالمقارنة مع اللّغة نفسها".[5] وإذا تأملنا التعريفات السّابقة العربية منها والغربية، نجد أنّها تشترك في كثير من النقاط، فلفظة (بيئة خاصة) ولفظة (القبائل) ولفظة(الرقعة الجغرافية) و(محيط ضيق) تشير كلّها إلى المرجعية الجغرافية في دراسة التنوع اللّهجي، فالاتّفاق حاصل بين العرب والغرب حول خصوصية اللّهجة بمنطقة معينة معروفة المعالم والحدود.

---

[1] –محمد أديب السلاوي، الصراخ اللّغوي في لهجات الوطن العربي (مقال) مجلة اللّسان العربي، المنظمة العربية للثّقافة، ج2، الرباط، 1975، ص72.

[2]– محمد نافع العشيري، مفاهيم وقضايا سوسيو لسانية ، مرجع سابق، ص 120.

[3]– أندري مارتيني، مبادئ في اللّسانيات العامة، تر: سعدي زبير، الجزائر، دار الآفاق، د ط، ص 158.

[4] –jaune du bois. marcellési, la linguistique sociale, la rousse, paris, 1974, p, 207.

[5]– jaune du bois, dictionnaire de la linguistique, la rousse, paris, p, 149.

3-2- الأحاديّة اللّغوية (unilinguisme):

تتّخذ الأحاديّة اللّغويّة عدّة تسميات منها الأحاديّة اللّسانيّة، والتّفرد اللغوي (uniligue) حيث تستعمل هذه المصطلحات حين وصف مجموعة، أو مجتمع يستعمل لغة واحدة لا غير. وتتميز الأحاديّة اللّغويّة بحضور واحد وأوحد في التّعبير و التّواصل، في مجتمع ما، إذ تعرّف:"بأنّها الوضعيّة الّتي تصدق على توظيف اللّغة الواحدة في المجتمع اللّغوي الواحد"[1]؛ أي حين يستعمل البلد الواحد، لغة واحدة للتّعبير والتّواصل والتّفاهم في جميع مجالات الحياة، فهو مجتمع أحادي اللّغة.و هذا الأمر لا ينقاد إليه الواقع هذه الأيام، في ظلّ، استشراء الهجين اللغوي.

وعليه فإنّ الأحاديّة اللّغويّة هي خلق فضاء لغويّ موحّد، يشترك فيه جميع الأفراد في لغة واحدة فقط، ولا يتعاملون بلغة غيرها في جميع الميادين.وتجدر الإشارة إلى أنّ الحديث عن الأحاديّة اللّغويّة يتجاذبه جانبان، وهما أنّ وصف أحادي اللّغة يطلق على الفرد الذي يتحكم في لغة واحدة، أمّا الأحاديّة اللّغوية فهي الحالة الّتي يتفاعل فيها الفرد مع مجتمعه بلغة واحدة، أو بمعنى آخر هي الحالة الّتي يوجد فيها الفرد في مجتمع لغوي، بحيث يقتصر التّعامل فيه على استعمال لغة واحدة، في تعاملاته اليوميّة، وفي تواصله في جميع الميادين، وينبغي أن نشير إلى أنّ بعض الدّول تعيش أحادية لغوية مثل البرتغال، والبعض الآخر يحرص على أن يبقى أحادي اللّغة، رغم وجود التّعدّد اللّغويّ في مجتمعه كدولة فرنسا. وللإشارة "أنّه نادرا ما يوجد مجتمع أحادي اللغة"[2]، لأنّ هذا الوضع كان ينطبق على حال القبائل العربيّة في القديم، لقلة اختلاطهم بالأمم الأخرى، وكانت هذه الحالة هي الأكثر طبيعة بحكم أنّها تستجيب لفطرة الأفراد، أكثر من غيرها، بالأخذ في الاعتبار أنّ اللّغة الواحدة هي الأصل، وما عدا ذلك فهو خروج عن هذه الطبيعة، لأنّه من خلال إلقاء نظرة على الواقع اللّغويّ في العالم فإنّه لا يوجد "بلد متوحد اللّغة ومصير الإنسان أن يكون في مواجهة اللّغات

---

[1]- محمد الأوراغي، التعدد اللغوي، انعكاساته على النّسيج الاجتماعيّ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرباط مطبعة النجاح، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م، ص28.

[2]- ينظر هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، نصر حامد، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ط2، 1990م، ص25.

المتعدّدة، لا أن يكون في مواجهة اللّغة الواحدة"[1] حيث يؤكد **جاك دريدا** هذا بقوله:"لا يمكننا أن نتكلّم أبدا لغة واحدة، وهذا مؤداه أن ليس هناك إلاّ التّعدّدية اللّغوية"[2]،لأنّ الواقع العملي في العالم يشهد على أنّ الأحاديّة اللّغويّة أصبحت استثناء، والتعدّد هو القاعدة.

3-3- الثّنائية اللّغوية: الثّنائيّة مشتقة من كلمة (ثنى)، حيث ورد في معجم المقاييس لابن فارس بأنّ:"ث،ن،ي" أصل واحد، وهو تكرير الشّيء مرتين، أو جعل شيئين متواليين وذلك كقولك ثنيت الشّيء ثنيا، والاثنان في العدد[3].

أمّا الراغب الأصفهاني فيقول:"ثنى والاثنان أصل المتصرفات لهذه الكلمة، ويقال ذلك باعتبار العدد، أو باعتبار التّكرير أو باعتبارهما معا"[4]، ومنه قوله عزّ وجلّ "**ثاني اثني**﴾[5] وقال أيضا، والثّني ما يعاد مرتين لقوله عليه الصّلاة والسّلام "**لا ثني في الصّدقة**"[6] أي لا تؤخذ في السّنة مرتين، وبذلك فالتّشابه يكون في الاثنين أي الشيئين المتشابهين.

3-3-1-الثّنائيّة اللّغوية اصطلاحا:

يُطلق على وضعيّة لسانيّة، تتميز بأن يتواجد في البلد الواحد لغتان من نمطين مختلفين »[7] ، ويعرّفها صالح بلعيد بقوله: « الثنائية اللّغوية le bilinguisme هي وجود لغتين مختلفين عند فرد ما في آن واحد، أو هي استعمال نظامين لغويين في آن واحد للتّعبير أو الشّرح وهي نوع من الانتقال من لغة إلى أخرى، وهذا موجود كظاهرة لغوية اتصاليّة في الشّعوب التي خرجت من الاستعمار »[8] ،إذن

[1]-جان كالفي،حرب اللّغات والسّياسات اللغوية، تر:حسن حمزة، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، ط1، 2008م،ص62.

[2]- جاك دريدا، أحادية الآخر اللغوية، ترجمة عمر مهيبل، الدّار العربيّة للعلوم، الجزائر، ط1، 2008م، ص49.

[3]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السّلام هارون، دار الفكر للطباعة،بيروت،دط،/1979م،ج1، ص391.

[4]- الراغب الأصفهاني، مفردات الألفاظ، تحقيق، عدنان داوود، دار القلم،دمشق،ط1، 1430هـ/2009م، ص136.

[5]- التّوبة،الآية 40.

[6]- أخرجه أبو عبيد، في غريب الحديث، 98/1.

[7]- محمد الأوراغي، التّعدّد اللّغويّ انعكاساته على النّسيج الاجتماعيّ، سابق، ص11.

[8]- صالح بلعيد ،في الأمن اللّغوي ، مرجع سابق، دار هومة للطّباعة و النشر، الجزائر (دط)، 2010م، ص222.

الثنائية اللّغويّة هي تعايش نمطين مختلفين كالفرنسيّة والعربيّة في بعض دول المغرب العربي، والعربيّة والإنجليزيّة في دول المشرق.

ومن خلال عرض هذه التعريفات للازدواجيّة والثنائية نستنتج أنّ الازدواجيّة اللّغوية تقابل la diglossie، والتي تمثل اللّغة الفصحى والعاميّة، والثّنائيّة اللّغوية تقابل bilinguisme والّتي تمثل وجود لغتين مختلفتين كالعربيّة والفرنسيّة.

3-4- التّعدد اللّغويّ : التّعدّد والتّنوّع سنة الله في الكون، ومن أهم ألوان التّنوع في حياة البشر تنوّع اللّغات وتعدّدها، والتّعدّد اللّساني، والتّفرّع اللّغوي، والتّنوّع اللّغوي، كلّها مصطلحات استعملت من قبل الباحثين للدّلالة على التّعدّد اللّغوي، و التّعدّد اللّغوي معناه استعمال الفرد الواحد لأكثر من لغة أو تداول أكثر من لغة واحدة في المجتمع الواحد"[1].إذ يُعتبر التّعدّد من المصطلحات الهامّة، التّي تناولها الباحثون بالدّراسة والتّحليل ولذلك يندرج هذا المصطلح، ضمن علم اللّغة الاجتماعي لعلاقته بالمجتمع ووضعه السّوسيولوجي، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بلفظ الاختلاف ﴿ **وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ**﴾[2].

ويعدّ مصطلح **التّعدّد اللّغوي** في جانبه اللّغوي من المصطلحات المركبة من كلمتين: التّعدّد واللّغوي، فالتّعدّد يُشير إلى المصدر الأصلي تعدّد، أي صار ذا عدد، أو صار عديدا أي كثيرا، يقول ابن فارس:"العدّ إحصاء الشّيء، تقول عدّدت الشيء أعدّه عدّا، فأنا عادّ، و الشّيء معدود، و العديد الكثير"[3]. فالمصطلح فيه إشارة إلى الزّيادة .

أمّا في اللّغة الأجنبية فيقابل مصطلح التّعدّدية مصطلحان: Plurilinguisme و Multilinguisme، وما يبرر هذا التّرادف هو أنّ (multi) و(plural) تحملان المعنى نفسه والدّلالة نفسها، فكلاهما يدلّ على

[1]– ميمون مجاهد، التخطيط اللّغوي لحالات التعدّد، مقال في كتاب لسانيات، تخطيط، محمد حفيظ وآخرون، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، 2016م، ص 318.

[2]– الروم، الآية 22.

[3] – أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د ت، ج4، ص29.

أكثر من شيء واحد، فلعل لفظ التّعدّد يضفي مفهومه إلى استعمال أكثر من لغة داخل دولة أو مجتمع، فالتّعدّد اللّغوي عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد، و المثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسية والإيطالية والألمانية هي لغات رسمية بها.

ويشير مفهوم التّعدّد اللّغوي في" الأدبيات اللّسانية العامّة إلى وضعيات تواصلية لغوية مختلفة تختلف فيها اللّغة المستعملة حسب الوضعية والسّياق، أو الحاجيات، أو الغايات والأهداف، أي أنّنا نتحدث بأكثر من نظامين مختلفين"[1]. وبصورة أخرى هي حالة تتمظهر على مستوى الفرد كما تتمظهر على مستوى المجتمع، و هو ما يصدق على الوضعية اللّسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد "إمّا على سبيل التّساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة كالإنجليزية و الألمانية و الفرنسية في الجمهورية السويسرية مثلا، وإمّا على سبيل التّفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لهجاتها."[2] فالتّعدّد اللّغوي هو استعمال مجموعة ألسن متباينة أو متقاربة في مجتمع واحد، وهذا ما يوجد في الدّول التّي عرفت الاستعمار، وبالخصوص استعمال لغة المستعمر إلى جانب اللّغة الوطنية كالعربية والفرنسية في شمال إفريقيا و المغرب العربي، والعربية والإنجليزية في الشّرق الأوسط.

ويتجلى التعدد اللغوي في جانبين منفصلين: الأوّل يتعلق باللّغة ولهجاتها كالعربية، وهو ما يُطلق عليه بالازدواج اللّغوي، والثّاني يتعلق بالنّسيج اللّغوي الذّي يحكم تفاعل لغات وطنية وأجنبية، وهو ما يُسمى بالثّنائية اللّغوية.

4- أهمية دراسة اللهجات العربية:

على الرغم من كثرة ما ألفه علماء العربية القدامى في كل فرع من فروع اللغة فإنّ اللهجات العربية لم تظفر منهم بمؤلف مستقل يجمع شتاتها ، ويشرح غامضها ، وإنّما ظلّت متناثرة في روايات نجدها في بطون كتب اللغة والأدب والقراءات والتاريخ وغيرها، وأصبحت عنصرا مهما في الدّراسات

[1]- عبد الحميد بوترعة، واقع الصّحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعدّدية اللّغوية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 08، 2014، ص 201 .

[2]- محمد الأوراغي، التعدّد اللّغوي و انعكساته على النسيج الاجتماعي،مرجع سابق، ص 11.

اللغوية الحديثة، وأُسست في بعض الجامعات الراقية فروع خاصّة بدراستها تعنى بشرحها، وترجع أهمية دراسة اللهجات العربية إلى ما يلي:

– تعين الباحث على فهم التّطور اللغوي للعربية وتأصيل الدّرس اللغوي، ولذا يجب أن تُدرس اللهجات العربية القديمة من مصادرها المختلفة ، من القراءات القرآنية ،ومن الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها ، ومن الآثار المنقوشة في شبه الجزيرة العربية للوقوف على تصوّر التّطور اللغوي فيها.

– تفيد دراسة اللهجات العربية القديمة في ما إذا كانت العربية الفصحى عبارة عن حصيلة لهجات عدّة اجتمعت في لهجة قبيلة معينة سادت واتخذها الشعراء قالبا لأشعارهم.

– تفيد دراسة اللهجات العربية القديمة في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة التي رويت لنا غير منسوبة إلى لهجة معينة ممّا يزيد لغتنا ثروة ويمنحها قوة.

– البحث في اللهجات العربية في الوطن العربي يرشدنا إلى معرفة مصادر هذه اللهجات وإنّ كثيرا منها يرجع إلى لهجات القبائل العربية القديمة، فالنطق الدّارج في البلاد العربية مثلا لكلمة سكرى هو سكرانة يرجع إلى لهجة بني أسد، والنطق لكلمتي مدين ومعيب هو مديون و معيوب يرجع إلى لهجة تميم، و هو اسم المفعول من الفعل الثلاثي الأجوف اليائي، والنطق لكلمة شعير وكلمة رغيف هو شعير ورغيف (بكسر الفاء) يرجع إلى لهجة تميم حيث يكسرون أول فعيل إذا كان ثانيه حرفا من أحرف الحلق.ونطق لام الجر بالكسر في نحو: المال لك وله، يرجع إلى لهجة قضاعة .والنطق الدارج للضميرين هو وهي (بتشديد الواو والياء) يرجع إلى لهجة همدان[1].

–دراسة اللهجات الحديثة في الوطن العربي تمكننا من الوقوف على الانحرافات المختلفة في النطق والتحوير في الأداء، وبذلك يسهل توحيد اللهجات في لغة مشتركة والقضاء على اللهجات[2].

[1]– محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، دار التركي للطباعة، طنطا، (دط)، 1996م، ص44

[2]– د.رمضان عبد التواب فصول في فقه العربية ، نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة 1977م ط1، ص59.60.

– يمكننا عن طريق دراسة اللهجات العربية الحديثة أن نتعرف على ما جدّ فيها من مادة، وعلى المصدر الذي دخلت منه، خصوصا بعد أن أصبح لعلم اللغة الحديث مناهجه في جمع المادة اللغوية وتحليلها، وبعد أن ظهرت المخترعات المختلفة التي تمدّنا بوسائل حديثة ودقيقة للتّسجيل والتّحليل.

– اللهجات العربية الحديثة هي المستودع الذي ترسبت فيه ظواهر لغوية كثيرة، قد يكون بعضها عربيا فصيحا ندر استعماله، وبواسطة المادة اللغوية المختلفة في اللهجات الحديثة ودراستها يمكن أن نهتدي إلى أصل بعض مواد اللغة العربية أو نتعرف على الطريق الذي سلكته ظاهرة لغوية ما حتى تطورت واتخذت مظهرا أخر.ولذا فإنّ الأبحاث اللغوية التاريخية تعتمد أساسا على اللهجات الحديثة.[1]

ولأنّ البحث العلمي من وجهة النّظر الحديثة يعترف بالتّطوّر باعتباره مظهرا اجتماعيا يحدث للّغة كما يحدث لغيرها من الظواهر الاجتماعية، في حين لا نقبل أن تكون العاميات أداة أدبية، لأنّ الانتقال من لهجة محكية إلى لهجة محكية أخرى أصعب من الانتقال إلى اللغة الفصحى. لاسيما في عصر النّهضة، رغم أنّ الظّاهرة ضاربة في جذور التّاريخ. فمنهم من اعتبرها كارثة حقيقية يصعب حلّها، و منهم من دعا إلى إحلال العاميّة و اللّغات الأجنبية محل الفصحى. ومما لاشك فيه أنّ جمع اللّغة المشتمل على جمع اللّهجات على الرغم من الجهود الجبارة التى بذلها علماء اللّغة القدامى لم يقم على الاستقراء التام، فقد ضاع كثير من مفردات اللغة وأساليبها، بسبب المقاييس الزّمانية والمكانية المتشدّدة التّي طبقها علماؤنا القدامى –رحمهم الله– في جمع اللّغة، حرصا منهم على سلامتها وتوخيّا منهم للحذر والحيطة من أن يدخل في اللّغة فساد، ليتمكن من الألسنة بسبب الاختلاط بالأعاجم، لاسيما بعد انتشار الإسلام، ودخول كثير من الأمم فيه، ولذا كان قول أبى عمرو بن العلاء في غاية الصدق حين قال :((ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلّا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير))[2].

[1]– د.عبد الرحمن أيوب، العربية ولهجاتها، مطابع سجل العرب، 1968 ، ط1 ، ص 35.

[2]– جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، مصدر سابق، ص 23.

ثانيًا: الازدواج اللّغوي كظاهرة تاريخية:

يُعتقد أنّ أوّل من تحدّث عن هذه الظّاهرة هو اللّغوي الألماني **كارل كامبرخر** في كتابه المشهور "مشكلة اللّغة اليونانية" عام 1902م، إذ تطرّق إلى طبيعة هذه الظّاهرة وأصولها وتطوّرها وأشار بشكل خاصّ إلى اللّغتين اليونانية والعربية، وفي نهاية البحث يخلص إلى أن يقترح على اليونانيين ترك "ازدواجيتهم الشرقية " واللحاق بالعالم الغربي بتبني العامية لغة قومية، كما يدعو العرب إلى ترك فصيح لسانهم، وتبني إحدى اللهجات مفضلا المصرية لغة قومية[1].

1- الازدواج اللغوي في التّاريخ الغربي:

تشير بعض الدّراسات إلى أنّ العالم الفرنسي **وليام مارسية** هو أوّل من نحت هذا الاصطلاح بالفرنسية (La Diglossie) و عرفّه في مقالة له عام 1930م، بمناسبة الذّكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر بقوله: هي التّنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عاميّة شائعة للحديث. ولكن المشهور في أدب هذه الظّاهرة أنّ مصطلح الازدواج اللّغوي(diglossie) لم يُشر إليه بشكل صريح، إلاّ عندما نشر اللّساني الأمريكي **فيرغسون** (Ferguson) بحثًا له في مجلة (Word) الأمريكية في عام 1959م.

1-1- نظرية تشارلز فيرغسون*[2]:

يقول في بداية مقالته" هناك في العديد من المجتمعات اللغوية منوعتان أو أكثر في اللغة نفسها تُستخدمان تحت ظروف مختلفة – كما هو الحال في اللغة الإيطالية و اللّغة الفارسية – حيث إنّ الكثيرين يتكلمون لهجتهم المحلية في المنزل وبين العائلة، أو الأصدقاء الذّين ينتمون إلى منطقة اللّهجة المستخدمة نفسها، في حين أنّهم يستخدمون اللّغة النموذجية في الاتّصال مع المتكلمين بلهجات

[1]- محمد الزغول، ازدواجية اللغة، دراسات في اللغة، ط1 ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986 ،ص 95 .

- تشارلز فيرغسون (1921-1998) لساني أمريكي، أحد المؤسسين للّسانيات الاجتماعية، تتلمذ على يدي العالم زيليخ هاريس، كان عضوا مرموقا في الرّابطة الأمريكية لمعلمي اللّغة العربية، و اللغة العربية في مجال اهتمامه العلمي في قضاياها التّاريخية (الدّياكرونية) و الصّوتيمية (الفونولوجيا)، و غيرها من القضايا العامّة، أوّل من عُين رئيس قسم اللسانيات سنة 1966م،وعمل أستاذا فخريا للسانيات في جامعة ستانفورد الأمريكية منذ 1988م إلى سنة وفاته عام 1998م.[2]

أخرى، أو في المناسبات العامّة، و مع ذلك فهناك أمثلة مختلفة تماما في استخدام منوعتين في اللّغة الواحدة داخل المجتمع اللّغوي الواحد..."[1]

يقصد **فيرغسون** بالمجتمعات ما تستطيع تحديده عن طريق الحدود التي تفصل بين البلدان، في إشارة إلى تحديد جغرافيا اللّغة الواحدة، وهو ما يمثل له بإيطاليا و بلاد فارس، أمّا هذه الأشكال اللغوية التي يجب أن تعود إلى لغة واحدة، هي إشارة واضحة إلى أهم سمات الازدواجية و تاريخها، ثم أنّ هاتين المنوعتين تتبادلان المواقف تحت ظروف مختلفة وأسباب متباينة، هو ما يحدّد وظيفة كلّ شكل حتّى لا يتعرض صاحبها إلى السّخرية، أو يكون محل استنكار من المجتمع. ثمّ يقرّ فيرغسون نفسُه أنّ المصطلح الإنجليزي (diglossia) " الازدواج اللّغوي" الذّي يُطلق على هذا الوضع مصوّغ في هذا البحث في ضوء المصطلح الفرنسي (diglossie)، لأنّه لا يوجد في الإنجليزية كلمة لها مثل هذه الدّلالة، وتَستعمل اللّغات الأوربية الأخرى بوجه عام كلمة (diglossia) عوضا عن كلمة (bilingualism) " الثّنائية اللّغوية" في نفس المعنى الخاص أيضا.

يقول فيرغسون: "من المرجّح أن يكون هذا الوضع الخاص في المجتمعات اللّغوية واسع الانتشار على الرغم من ندرة الإشارة إليه، و لا بدّ من النّظر إلى هذه الدّراسة بوصفها تمهيدا من منظور أنّها تتطلب تجميع الكثير من المعطيات التّاريخية و الوصفية، إذ أنّ هدفها تشخيص الازدواج اللّغوي عن طريق اختيار أربعة مجتمعات لغوية و لغاتها (ما سنطلق عليه فيما بعد اللّغات المحدّدة)،التّي تنتمي انتماء واضحا إلى هذه المنظومة المجتمعية، ثمّ وصف الخصائص المشتركة بين هذه اللّغات، واللّغات المحدّدة المختارة هي اللّغة العربية،واليونانية الحديثة، والألمانية السّويسريّة swiss german، و الكريولية الهايتية haitian créole.[2]

و عن تطوّر الازدواج اللغوي يقولفيرغسون: "والازدواج اللغوي ربما يتطوّر من أصول متنوعة و ينتهي إلى أوضاع لغوية مختلفة، و فيما يخصّ اللّغات الأربع المحدّدة يعود الازدواج في اللّغة العربية –

[1]- محي الدين محسب، في اللسانيات الاجتماعية ، ترجمات، دراسات، مقالات، كنوز المعرفة ، عمان، ط1،2018م،ص 45.

[2]– يُنظر، عبد الرحمان القعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1997م. ص192.

فيما يبدو– إلى حدود معرفتنا بها، كما بقيت العربية " الفصحى" الفوقية مستقرة نسبيا، في حين أنّ جذور الازدواج في اليونانية يرجع قرونا عديدة، لكنّه غدا متطورا بشكل كامل عند بداية القرن التّاسع عشر فقط مع نهضة الأدب اليوناني، وقد نشأ الازدواج في الألمانية السّويسرية نتيجة انعزال ديني وسياسي عن مراكز المعايرة اللّغوية الألمانية، بينما نشأ الازدواج في الكريولية الهايتية عن "كرولة creolization" لفرنسية هجينة مع فرنسية فصيحة جاءت فيما بعد لتقوم بمهمة النّمط الفوقي.[1] وفي جميع اللّغات الأربع هناك أسماء مخصوصة للتّعبير عن المتغايرات الأعلى و المتغايرات الأدنى كما توضح القائمة الآتية:

اللّغة	المتغاير الأعلى	المتغاير الأدنى
اللغة العربية	الفصحى	العامية/الدّارجة
الألمانية السّوسرية	شرفتزبراخ	هوغت دويتش
اللّغة اليونانية	كاثاريفوسا katharévusa	ديموتكية dhimotiki
الكريولية الهايتية	الفرنسية français	كريول هيشيان créole

جدول نظرية فيرغسون في متغيرات الشّكل الأعلى والشّكل الأدنى.

ويتساءل فيرغسون عن أيّ نوع من الهجاء ينبغي استخدامه لكي يمثل المتغايرات الأدنى، إذ ليس هناك – في أية حال– كتابة مقبولة بشكل عام بالنسبة للمتغاير الأدنى، ومع ذلك فإنّ بعض أنواع الرسم الكتابي الفونيمي أو شبه الفونيمي تبدو ملائمة.

وقمت بالاختيارات التالية يقول **فيرغسون**:بالنسبة للكريولة الهايتية تمّ اختيار هجاء (ماكونيل) (لوباخ) لأنه هجاء فونيمي تقريبا، كما أنّه بسيط من ناحية الطّباعة، و بالنسبة لليونانية فإن الرّسم الكتابي مأخوذ من كتيب اليونانية المنطوقة (كاهان و آخرون سنة 1945) لأنّ هذا الكتيب قُصد به أن يكون كتابة فونيمية، أما بالنسبة للألمانية السّوسرية فقد تمّ اختيار الهجاء الذي يعود إلى (دييث سنة 1938).

[1]– يُنظر، عبد الرحمان القعود، المرجع نفسه، ص 192 و ما بعدها.

أمّا بالنسبة إلى العربية فإنّ رسمها الكتابي ربما يكون أقلّ معقولية من الرسم اليوناني، بسبب أنّ كثيرا من الحركات في كتابة العاميّة المصرية – مثلا– غير واضحة و الهجاء العربي الذي اخترناه في هذا البحث، يقول فيرغسون: يتصل اتصالا وثيقا بالأنساق القديمة لعلماء السّاميات كونه تحويرا للمخطط الذّي استعمل من أجل اللهجة المصرية.

من أهم خصائص الازدواج اللّغوي أنّه يخصّص وظيفة لكل من الفصحى و العامية، ففي مواقف معينة تكون الفصحى فقط هي المناسبة للاستعمال، و في مجموعة أخرى من المواقف تكون العامية هي الأنسب مع تداخل طفيف في بعض الأحيان و الجدول الآتي يوضح:

الموقف	المتغاير الأعلى(الفصحى)	المتغاير الأدنى(العاميّة)
خطبة في الكنيسة أو المسجد	+	
التّعليمات للخادم، للنّادل، العمال، الموظفين		+
حديث في البرلمان، حديث سياسي.	+	
حوار مع العائلة، مع الأصدقاء، مع الزّملاء		+
محاضرات في الجامعة	+	
إذاعة الأخبار	+	
المسلسلات و المسرحيات		+
المقالات الإخبارية	+	
عناوين اللّوحات		+
القصائد الشّعرية	+	
الأدب الشعبي		+

نموذج فيرغسون لاستعمالات النمط المرتفع و النمط المنخفض لتوضيح الفروق المذكورة:[1]

[1]–دليلة فرحي، مباحث في اللغة والأدب الجزائري, مجلة المخبر،.قس و الأدب العربي ،جامعة بسكرة، العدد 5، مارس، 2009،ص:03

ويتنبأ فيرغسون في مقالته بالحالة اللغوية التي ستكون عليها اللغات الأربع؛ التي ذكرها بعد القرنين القادمين، و على وجه تقديره عام 2150، فهو يتوقع بالنسبة للغة العربية بأن يكون هناك تقدم بطيئ نحو تطور مجموعة من الأنماط اللغوية، يرتكز كل منها على إحدى العاميات مع مزيج من مفردات الفصحى، و بناءا عل ذلك تكون ثلاثة أنماط رئيسية : أولها العربية المغربية، وترتكز على عامية الرباط أو تونس، وثانيها المصرية وتكون على عامية القاهرة، والثالثة ما اسماه المشرقية، و ترتكز على عامية بغداد.

ويضيف مكملا توقعاته أنه بناءا على تطورات سياسية واقتصادية غير متوقعة، فلربما ينشأ نمط جديد للعربية في سوريا مرتكزا على عامية دمشق، وآخر سوداني يرتكز على عامية أم درمان أو الخرطوم؛ وأنماط أخرى على حد قوله.[1] و دعا في ختام مقالته الباحثين إلى دراسة هذه الظاهرة، بشكل أوسع، وخاصة بين علماء اللغة وعلماء الاجتماع.

ويرى **فيرغسون** أنّ الازدّواج اللغوي لا يظهر أو ينشأ في مجتمع بعينه إلّا بتوافر ثلاثة شروط[2]:

الأوّل: توافر مادة أدبية كبيرة بلغة ذات صلة وثيقة باللغة الأصلية (الفصحى) للمجتمع، أو مماثلة لها، تمثل جزءًا مهما من قيم المجتمع الأساسية.

الثّاني: اقتصار الكتابة على نخبة قليلة في المجتمع.

الثّالث: تُقدّر الفترة الزمنية بقرون عديدة على توافر الشّرطين السّابقين.

ويمكن أن تكون هذه الشّروط الثّلاثة، قد توافرت عدّة مرات في الماضي ونتج عنها في كل مرة ازدواج لغوي.

[1]–ميشال زكريا، قضايا ألسنية و تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط 1 ،ص36.

[2]–محمود،إبراهيم كايد ،العربية الفصحى،(مرجع سابق)،ص68.

2- الازدواج اللّغوي في التّاريخ العربي:

أحدث الإسلام تغيّرا عميقا في شبه الجزيرة العربية، استقامت على إثره أمور كثيرة أهمها عقيدة التّوحيد وجعل من اللّغة المحلية لغة عالمية إذ انتشر "اللسان العربي في أرجاء واسعة تمتد امتداد سيادة الإسلام نفسه من أوساط الهند وتخوم الصّين وهضاب تركستان شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي وتخوم فرنسا غربا "[1]. وكان القرآن قد أبهر العرب في بيان نظّمه، فوقف بعضهم مدهوشا أمام بلاغته، وحاول البعض أن ينسج على منوال القرآن الكريم، فوجد أنّ أسلوبه يتميز فوق ما تتميز به الأساليب البشرية، ولذلك جاءت الآيات القرآنية متحديّة غرور العربي كقوله عزّ وجلّ :﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[2]، يتحدى القرآن العرب في ذلك الزمن الذي كانت فيه اللّغة العربية تجري على ألسنتهم طيّعة لينة، يغزلونها كما يُغزل الصّوف، قبل أن يصيبها العيّ والخرس.﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾[3]

إنّ الظاهرة القرآنية لم تكن قلبا للجوانب الرّوحية من حياة النّاس فحسب، بل كانت أيضا قلبا للعادات اللّغوية، إذ واجه العرب في قراءة القرآن مجموعة من الظّواهر لم يكونوا في سلائقهم متّفقين عليها ويبدو أنّ هذا الأمر واضح في نصوص القرآن الكريم. في غير ما موضع أنّ لغته تنتمي إلى اللّغة المثالية، يقول تعالى﴿**لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلحِدُونَ إِلَيهِ أَعجَمِيّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّ مُّبِينٌ** ﴾[4]، وقوله: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِين**﴾[5] هذا يعني أنّ لغة القرآن الكريم كانت تعبّر عن مستوى رفيع، مستوى البيان في ظل تعدّد اللّهجات المحلية و اختلافها في القرب من لغة القرآن والبعد عنها، ذلك أنّ القرآن نزل

[1]- محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة المعرفة ، 1992م، ص 5.

[2]- الإسراء، الآية 88.

[3]- النساء الآية 82.

[4]- النحل، الآية 103.

[5]- الشعراء، الآية 195.

باللّغة المثالية، لغة الشّعر والخطابة . "ولهذه اللّغة من أصول النّطق، ومخارج الحروف ما لا يسهل إتقانه على جميع النّاس يومئذ"[1].

وعلى وفق ذلك يمكن القول بأن الازدواج اللغوي في العربية قد ظهر مرات عديدة، عبر عصورها المختلفة، وعلى امتداد مراحل تطوّرها، إذْ لا يعقل أنّ العرب جميعا على اختلاف قبائلهم ومشاربهم وتنوعاتهم السّكانية واللّسانية واللّهجية، قد تكلموا جميعًا لسانًا مشتركا واحدًا، إذ المعروف أن هذا اللسان المشترك قد بدأ يتشكل قبل مائتي سنة من البعثة النبوية على أبعد تقدير، ولم يكن بالرغم من رقيّه وعلوه وروعة بيانه، ميسورًا لكلّ العرب، فهو خطاب الفصحاء والبلغاء منهم فقط، والشعراء على وجه الخصوص، ولم يكن هذا اللسان المشترك دافعا قويا لترك لهجاتهم المختلفة أو هجر ألسنتهم المتباينة، فما وصلنا من لهجاتهم، وهي كثيرة ومختلفة، خير دليل على أنّهم لم يصطنعوا هذا اللسان المشترك الذي شكّل لغة الشعر لديهم، ولغة الخطب و المناسبات، ثمّ لغة البيان في القرآن الحكيم.

أما داخل القبيلة، فقد كانت الغلبة للسان القبيلة الذي لم يكن اللسان العربي الفصيح على الإطلاق، وهذا يعني أن العرب قبل البعثة النبوية قد عاشوا ازدواجًا لغويًا واضحًا، لكنّه ليس بمثل هذه الحدّة ولا بمثل هذا الانحراف الذي يشهده اللّسان العربي المعاصر.فهذه الازدواجية التي نعيشها اليوم، هي زمنيًا تشكل نمطا جديدًا لازدواجية لغوية، تختلف عن سابقاتها بطغيان العامية فيها على الفصحى، وتسلطها عليها بقوة، حتّى غدت الأكثر تداولا في مختلف المحافل والمناحي والمجالات وحتى غدت الأكثر انتشارًا والأوسع تأثيرًا و الأبلغ استخدامًا في معظم المعارف والعلوم، إلى الحد الذي راحت تشكل معه خطرًا حقيقيًا على الفصحى، الأمر الذي استدعى هذا النفير لتحرير الفصحى وإنقاذها وحمايتها من التلاشي والزوال.

هذه العامية الحديثة، ترجع في جذورها إلى بدايات الفتوح الإسلامية[2]، حين دخلت أمم كثيرة من غير عربية في الإسلام، أو خضعت لسلطانه، واضطرت إلى اصطناع لغته وتداولها، فتركت بفعل

[1]– مجدي محمد حسين، من تاريخ النحو العربي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، 2010،ص 11.

[2]– يُنظر، محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى،(مرجع سابق)، ص69.

هذا الاصطناع والتداول أثرا واضحًا في اللسان العربي الفصيح، شمل كل مستويات اللغة ومظاهرها، بدءًا بالتشكيل الصوتي والصيغ والتراكيب وانتهاء بمظاهر الخطاب والنص وطرائق التعبير.

لكن هذا الانحراف وإنْ كان قد تسلّط بقوة على لغة الكلم والخطاب الشفوي، فإنّه قد فشل في تغيير لغة الكتابة أو استبدالها بالرغم من كل المحاولات والادّعاءات والدعوات التي كانت ترتفع منادية ومطالبة بتغيير قواعد الكتابة والخط، واستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني[1]. فالكتابة في أيامنا هذه لا تكاد تختلف عن مثيلتها التراثية، أو عما كانت عليه أيام الإسلام الأولى. كما أن كلّ الدّعوات التي كانت تنادي باستبدال العامية أو لغة أجنبية أخرى بالفصحى قد تراجعت أيضًا[2]، وظلت العربية الفصحى هي اللغة التي يصطنعها الأدباء والكتاب والشعراء والعلماء والطلبة والمتعلمون في شتى أجناس المعارف والعلوم، وذلك نظرًا لكونها لغة التراث، وفوق ذلك كلّه، فهي لغة القرآن الكريم الذي يرجع الفضل إليه في حفظ العربية الفصحى من التّطور السلبي والانقسام.

لكن ذلك كلّه لم يكن مانعًا حصينًا لمزاحمة العامية، وتسلّطها على لغة الكلم والخطاب اليومي، وهو أمر بدا طبيعيًا يخضع في كثير من جوانبه لطبيعة التّطورات والتّداولات والتّداخلات التّي لا تنفك تؤثر في عقلية المجتمع ولغته وخطابه.

ولعل انتشار اللغة العربية الفصحى على امتداد الأرض العربية، يقف وراء هذا التّفرّع والازدواج، والعربية وإن لم تتفرع إلى لغات عديدة كغيرها من اللغات الأخرى، لكنها تعاني من ازدواج خطير يكاد يعصف بما تبقى منها، ويبدو أن أسباب هذا الازدواج ترجع في معظمها إلى طبيعة العقل العربي والنفسية العربية من جهة يقول أحد الباحثين، وهو أمر داخلي تكويني، يخص العرب أنفسهم بمكوناتهم الثّقافية والفكرية والنفسية، والغزو بمختلف جوانبه وأنواعه وأشكاله من جهة أخرى، بكل ما للغزو من تداعيات خطيرة على اللغة والمجتمع والثقافة والفكر والاقتصاد والحدود والسياسة، وهو

[1]- تيمور،محمود، مشكلة اللغة العربية، مكتبة الآداب ،مط الجماميز، القاهرة،1956 م ص56.

[2]-* شيخو،لويس،تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، مط الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926م، ص93.

*علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط4 ،1951م ص149.

*عبدا لعزيز شرف ،وسائل الإعلام ولغة الحضارة، مؤسسة مختار، القاهرة،(دت)، ص47.

أمر خارجي، يُفرض عبر وسائل مختلفة ومكتوبة وعنيفة في معظم الأحيان، في عصر فقد العرب فيه مكانتهم وحضورهم.

وكون الأمة العربية منقسمة إلى دول عديدة، لكلّ دولة حدودها وسياساتها واقتصادها وعلاقاتها، فإنّ هذا الانقسام أدَّى إلى انفصام وحدتها الفكرية واللغوية[1]، ناهيك عن الشرخ الكبير الذي قد يخلفه في هذه المجتمعات المكونة لهذه الدول، والتباين الذي يتزايد مع الزمن، فينتج حالة من التّمايز العرقي والشّعوبي، حيث تصبح كل دولة حسب نظامها الخاص، ذات شعب يتمايز بعاداته وتقاليده وأعرافه ونظامه، عن الشعوب الأخرى، وهو أمر يعكس نوعًا من التمايز اللغوي الذي يفضي بدوره إلى خلق نظام لغوي متمايز أيضًا، قد يعصف هنا أو هناك، في هذا المجتمع أو ذاك، باللغة نفسها، فتبدو العاميات دالة تمايز عرقي، ويظهر بحسب هذا التمايز الجزائري مختلفًا عن العراقي، والأردني مختلفًا عن اليمني، وهكذا.

و لأن اللغة وسيلة التواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية الواحدة، وبها يعبر كل قوم عن أعراضهم[2]، والعرب ما عادوا جماعة واحدة، بل جماعات متعددة، فإنّ لغات أخرى منافسة للفصحى (اللغة العربية المشتركة) ستظهر، وهذه اللغات المنافسة ليست سوى العاميات، لكنّها في الحالة العربية لم ترق إلى الحدّ الذي تكون فيه لغة القطر الرسمية، بسبب ما أشرنا إليه، وتبقى الفصحى لا تفنى حتى يفنى الإنسان نفسه.

وهذا ما حاوله أعداء العرب والإسلام عبر تاريخهم الطويل، وما زالوا يحاولون؛ بالغزو العسكري المباشر حينًا كالحروب الصليبية والاستعمار الحديث والصهيونية التي ما تزال تحتل فلسطين، وبالدّس والمكر في كثير من الأحيان، ولا يمكن أن ننسى صنيع الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس والمغرب، حيث أُلغيت العربية، وفُرضت مكانها الفرنسية.ومازال سكان المغرب العربي حتى الآن، يعانون من

[1]- يُنظر، علي عبد الواحد، وافي، علم اللغة، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1944م، ص175.

[2]- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، الخصائص، طبعة الهلال، بتحقيق عبد الحميد هنداوي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ،2003م،1 /87.

هذه الغربة عن لغتهم وثقافتهم، وقد طغت لديهم إلى حدّ كبير ازدواجية الفصحى والعامية من جهة، وثنائية الفرنسية والعربية من جهة أخرى، مشكّلةً بهذا الطغيان والزحف مشكلة حقيقة تطال عمق الثقافة والفكر وتنزع دون هوادة، جذور المشاعر والوجدان.

فالعصر الجاهلي لم يكن بمنأى عن مثل هذه الازدواجية وإن لم تكن بمثل ما هي عليه اليوم؛ حيث تظهر الاختلافات اللّهجية التّي كانت قائمة حينذاك وسائدة، فالعرب لم يكونوا ينطقون لهجة واحدة، وإنّما لهجات عديدة طالما كان الاختلاف بينها ظاهرًا وشديدًا حتى عهد قريب من تنزيل القرآن الكريم الذّي نزل بلسان عربي مبين. لتُسجّل الفصحى انتصارا و ظهورا – بصفتها المستوى الأعلى للغة – على سائر اللهجات الأخرى التي تشكّل المستوى الأدنى لها، يقول ابن هشام:" كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكلّ يتكلّم على مقتضى سجيته التّي فُطر عليها، ومن ههنا كثرت الرّوايات في بعض الأبيات"[1].

ومن جهة النّظر هذه تبدو الفصحى، وهي المستوى الأعلى للّغة، ملزمة للعامية ومتوازنة معها، وقد تمكّنت من التّغلب على العاميات المتمثلة باللهجات العربية المتعددة حين سجلت أخبار العرب قبل الإسلام، وخطابهم الديني بعد الإسلام، لكنّها عادت مرة أخرى فتراجعت أمام زحف العاميات ومدّها جراء انحراف اللسان العربي وما طرأ عليه من تغيّر أو أصابه من تطوّر بفعل الاختلاط والاختلاف والانفتاح، محدثا هذه الازدواجية اللغوية التي يراها ابن خلدون وقد شاعت في زمانه تحوّلا عن الفصحى لغة التّنزيل وفسادًا لما جُبل عليه من صفة راسخة أوَ ملكة أو طبع بسبب مخالطتهم الأعاجم[2]. إذ البعد عن اللّسان إنّما هو بمخالطة العجم، ومن خالط العجم أكثر كانت لغته من ذلك اللسان الأصلي أبعد.[3]

[1]-جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، شرح محمد أحمد جاد المولى وآخرون، مكتبة دار التراث، القاهرة،ط3، 261/1.

[2]– ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي، المقدمة، دار الكتب، العلمية، بيروت ط4 ،1978م، ص554-560.

[3]– المصدر نفسه، ص 455.

وهو ما خافه ابن منظور وهاله، فجعله سببًا لوضع معجمه الكبير(لسان العرب) يقول في مقدمته: "وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللّحن في الكلم يُعد لحنًا مردودًا، وصار النّطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس النّاس في تصنيف التّرجمات في اللّغة الأعجمية وتفاصحوا في غير العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون"[1]. يقول الجاحظ في البيان والتبيين: "ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب، فإيّاك أن تأخذها إلّا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها

فإنّك إن غيّرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين و البلديين، خرجت من تلك الحكاية، و عليك فضل كبير، و كذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، و ملحة من ملح الحشوة و الطعام، فإيّاك أن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخيّر لها من فيك مخرجا سريّا، فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها، و يخرجها من صورتها، و من الذي أُريدت له، و يذهب استطابتهم إيّاها، و استملاحهم لها[2]". فالجاحظ يتحدّث عن واقع لغوي اجتماعي إنساني عاشه المسلمون مع بداية نزول القرآن الكريم " فالمسلم أيّا كانت لهجته، وأيّا كانت بيئته، وأيّا كانت تلك الصّفات الكلامية التي نشأ عليها وتعوّدها ولم يقدر إلا عليها، يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعوّدته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته، ويجب ألاّ ننكر عليه، أو أن نهزأ من قراءته فقد حاول وبذل الجهد فله أجر الاجتهاد فدين الله يُسر فقد اشتملت أحكامه وتعاليمه على كثير من الرخص حين يُشقّ على الناس أمر من الأمور، وكانت العرب الذّين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى حرف آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك و لو بالتّعليم والعلاج.

[1]– ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، دار الفكر،دار صادر، بيروت، ط1، 1990م، ص1، 8 بتصرف.

[2] – الجاحظ أبو عثمان عمرو ، البيان و التبيين، تح: حسن السندوبي، المطبعة التجارية الكبرى، ط1، 1926م، ص:49

ثالثًا: الازدّواج اللّغوي في اللّهجات العربية و القراءات القرآنية:

تمهيد: القرآن الكريم بلاغ من الله تعالى إلى النّاس كافة، أُنزل بلسان عربي مبين، هدى ورحمة، أقبل عليه المؤمنون، ففهموا أحكامه، وتدبروا حقائقه، و أدركوا غريبه، وعاشوا معه قولا وعملا. والقرآن الكريم يحقق النّطق السليم؛ فالسّلامة الصوتيّة تكون بإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، وأفضل وسيلة لتحقيقها هي تلقي القرآن الكريم مرتلاً، كما أنّه يحقق السّلامة النحويّة، فاللحن يغيّر المعنى ويفسده، ويقلبه عن المراد به إلى ضدّه فيجعل اللفظ يدل على معان غير مقصودة. والقرآن الكريم معجز ببلاغته وبيانه، فله الأثر في تعلّم البلاغة؛ وقد اقتبس منه الأدباء والشعراء، وأدخلوه في كتاباتهم وخطبهم وأشعارهم لما وجدوا فيه من بلاغة وفصاحة، وعجزوا عن الإتيان بمثله. قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[1]

والقراءات القرآنية المتواترة بكلّ ما تحويه من ثراء لغوي، وما ترتّب عليها من أحكام فقهية وتشريعية ، هي في مجملها تلوين صوتي مناسب لكل قبيلة من المسلمين إبّان عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ كان من الصّعب أن تقوم كلّ قبيلة منها باعتماد لهجة قريش والتخلّي عن لسانها ، مخالفة بذلك سنّة الطبيعة البشرية التي تنفر من التّغيير الفجائي. ولذا كان التيسير الإلهي على الأمّة بقراءة القرآن الكريم على سبعة أحرف كما جاء في الحديث الشريف.

والزمن الذي نشأت فيه القراءات القرآنية، هو نفسه زمن نزول القرآن الكريم، وذلك لأنّ هذه القراءات قرآن نزل من عند الله فلم تكن من اجتهاد أحد، بل هي وحي أوحاه الله تعالى إلى نبيه المصطفى(صلى الله عليه وسلم) ، وقد نقلها عنه أصحابه الكرام (رضي الله عنهم) حتى وصلت إلى الأئمة القراء ، فوضعوا أصولها وقعّدوا قواعدها، في ضوء ما وصل إليهم، منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم. وعليه فإنّ صحة القراءات، إنّما هو التلقي بطريق التواتر؛ و هو شرط من شروط القراءة

[1]- الإسراء، 88.

الصحيحة، جمعٌ عن جمعٍ يؤْمَن عدم تواطؤهم على الكذب ، وصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. أو التلقي عن طريق نقل الثّقة عن الثّقة وصولاً كذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم. و التّواتر شرط من شروط القراءة الصّحيحة.

إذن قراءات قرآنية سبع متواترة لا يطعن بها أحد، أصحابها نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وابن عامر الشّامي وعاصم وحمزة و الكسائي الكوفيون، أو عشر أو أكثر منسوبة إلى أصحابها، اختلفت تبعا لاختلاف تلك اللّغات. ولكن ثمّة قراءات شاذّة أُهملت لزوال الرخصة التي اقتضتها ، فطرحت قراءة (كالصوف المنفوش) وقراءة (وطلع منضود) وقراءة (وجاءت سكرة الحق بالموت). واعتمدت قراءات أخرى مختلفة في الفتح والإمالة والإدغام والإظهار والهمز والتّسهيل والتّصريف والحركات والإعراب وغير ذلك.من هنا نرى أنّ القراءات هي غير الأحرف السّبعة، فالقراءات مع الأحرف يلزم بقاء الأحرف السّبعة وعدم ترك شيء منها، وإباحة القراءة بها حتّى اليوم واختلاف أوجه القراءات يؤول إلى أربعة جوانب لغوية هي: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي.

1- اختلاف القراءات:

انتشرت القبائل العربية فوق أرض مترامية الأطراف، فتفرّقت مساكنهم، واختلفت لهجاتهم، وكان من الطبيعي أن تجري على ألسنتهم لغات مختلفة الخصائص،كلغة قريش وهذيل وكنانة والأوس والخزرج وقيس واليمن وكندة وتميم وحمير ومدين وحضرموت والحجاز وغسان وبني حنيفة وتغلب وثقيف ...، يستعملها أفراد هذه القبيلة أو تلك ليتواصلوا فيما بينهم. وهذا الاختلاف قد يظهر في مخارج بعض الأصوات وأدائها، ودلالتها، ثمّ أنّ هذه القراءات منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومعنى ذلك أن الوحي قد نزل بها من عند الله، ، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا من قبائل عديدة ، وأماكن مختلفة ، وكما هو معروف أنه كما تختلف العادات والطباع باختلاف البيئات، فهكذا اللغة أيضاً، إذ تنفرد كل بيئة ببعض الألفاظ التي قد لا تتوارد على لهجات بيئات أخرى، مع أن هذه البيئات جميعها تنضوي داخل إطار لغة واحدة ، وهكذا كان الأمر، لذلك راعى القرآن

الكريم هذا الأمر، فجاءت قراءاته المتعددة موائمة لمجموع من يتلقون القرآن ، فالتيسير على الأمة هو السّبب في تعدد القراءات.

2- موقع شبه الجزيرة العربية:

تقع شبه الجزيرة العربية في الطرف الغربي لقارة آسيا وتمتدّ من الشّمال الغربي إلى الجنوب الشّرقي بين مسطحين مائيين كبيرين هما: البحر الأحمر الذي كان يُعرف ببحر القلزم غربا وخليج عمان والخليج العربي شرقا، ويقع إلى جنوبها البحر العربي والمحيط الهندي وإلى شمال شبه الجزيرة يمتدّ الهلال الخصيب، ذراعه الشرقي الحوض الأدنى والأوسط لنهري دجلة والفرات، وذراعه الغربي السهول الساحلية لشرق البحر الأبيض المتوسط والسّهول الدّاخلية لبلاد الشّام.[1] وقبيل ظهور الإسلام كانت الإمبراطورية السّاسانية تشغل الذراع الشرقي للهلال الخصيب، والإمبراطورية البيزنطية والرومانية تشغل الذراع الغربي له، وظلّت الحروب بينهما سجالا، يهزم الفرس مرة، وأخرى يهزم الروم[2].وقسم المؤرخون شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام هي:

اليمن: وهي في الجنوب، واليمن من أخصب بقاع شبه الجزيرة، لجودة أرضها وكثرة مياهها، فهي ليست منطقة بداوة بل منطقة تحضر و استقرار وقد سميت اليمن الخضراء، لكثرة أشجارها و ثمارها و زروعها[3]، **قال الشاعر:**

هي الخضراء فاسأل عن رباها يخبرك اليقين المخبرونا

ويمطرها المهيمن في زمان به كلّ البرية يضمؤونا[4]

ويدلّ على تحضّرها كثرة مدنها مثل صنعاء، وصعداء، و خيوان، و ريدة، و ذمار، و خبأ، وعدن، والخصيب و غيرها[1].

---

[1]-د. محمود أبو العلاء: دراسات في جغرافية العالم الإسلامي (نشر دار الكتاب العربي)، ط1 ، 1956، ص5

[2]- المرجع نفسه، ص 6.

[3]- محمد خان، اللهجات العربية و القراءات القرآنية، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003.ص 16.

[4]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، دار التركي للطباعة، طنطا، (دط)، 1996م، ص:14.

الحجاز: الحجاز «عند العلماء هو سلسلة الجبال المقبلة من اليمن إلى قرب الشام الحاجزة بين نجدة و تهامة ...فما سال من قمة هذه الجبال مغربا ينصب في تهامة، وما سال مشرقا ينصب في نجد، قال ياقوت الحموي[2] في (معجم البلدان): والحجاز جبل ممتد حال بين الغور غور تهامة ونجد ، فكأنّه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما.

وقال الأصمعي[3]: الحجاز من تخوم صنعاء، إلى تخوم الشام، وإنّما سمّي حجازا لأنّه حجز تهامة و نجد، فمكة تهامية، والمدينة حجازية، وهي بلدة طيبة مباركة، كثيرة الخيرات، عذبة المياه، وافرة النخيل والثّمار، وهي من البلاد القديمة الوضع والتأسيس، وكانت تسمى يثرب، وإليها كانت هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وفي الحجاز أيضا خيبر وعكاظ، و به كانت تقوم سوق العرب المعروفة بهذا الاسم[4]، تلك السوق التي كانت منتدى للأدب، ومعرضا للتجارة ،ومجمعا للغة ، ومؤتمرا للسياسة والرأي ،كانت تنصب فيها قبّة من أدم للنابغة الذبياني لينتظم حوله عقد الشّعراء من القبائل المختلفة، يعرضون عليه حصاد عامهم ممّا هذبته القرائح، وقد ظلّت سوق عكاظ مستمرة بعد ظهور الإسلام إلى ظهور الخوارج الحروبية حيث نهبوها سنة 129هـ ومن ثم توقفت إلى اليوم.[5]

تهامة : تطلق تهامة على السّاحل المحصور بين البحر الأحمر وجبال الحجاز ،ولانخفاض أرضها قيل لها الغور والسافلة ، ويغلب إطلاق لفظ تهامة على الجزء الواقع في حدود اليمن ، فيقال له تهامة اليمن ، ويغلب إطلاق لفظ الغور على الجزء الشمالي، ويطلق لفظ الغور أو تهامة على الجزء الأوسط[6]. وطبيعة أرض تهامة وموقعها، ووجود بعض البلاد التّجارية المهمة بها مثل مكة أباح لساكنيها

---

[1]- المرجع نفسه، ص 16.

[2]-هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى بحلب في 626هـ من مصنفاته: معجم البلدان.(هدية العارفين: 2/ 513).

[3]- هو عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهي من أكابر علماء اللغة.مات سنة 213هـ. (نزهة الألباء، ص 212).

[4]-محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:17.

[5]- المرجع نفسه،ص، 18.

[6]- محمد خان، اللهجات العربية و القراءات القرآنية مرجع سابق: ص 18-19.

الاستقرار خصوصا في الجنوب حيث الخصوبة والماء كما أن وقوعها على ساحل البحر جعل بعض أهلها يتجهون إلى الملاحة[1].

نجد: تقع نجد بين الشّام والعراق واليمامة والحجاز، في أرض شبه الجزيرة العربية، وقد ترنّم كثير من الشّعراء برباها وطيب هوائها، وبها أرض العالية، ونشبت بسبب ذلك حرب البسوس التي يضرب بشأنها المثل، ونجد معظم مناطقها صحراء، وأهلها بدو رحل[2].

العروض: وهي من اليمامة إلى البحرين، وهي منطقة واحدة متميّزة تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج العربي، ومعظم الأرض فيها صحراء وبخاصة البعيدة عن السّاحل، لذا كان أهلها من البدو يرتحلون سعيا وراء الماء و الكلأ [3].

وفي ضوء ما سبق يمكن تصوّر مناطق الحضر ومناطق البداوة في شبه الجزيرة العربية، ففي اليمن وبعض تهامة والحجاز توجد مناطق الحضر، وفي نجد والعروض توجد مناطق البداوة . ولا ريب أن القبائل التي عاشت في البادية لها طرائقها الخاصّة في الأداء اللّغوي التّي تختلف عن تلك التي لقبائل الحضر، ممّا كان له أكبر الأثر في تعدد خصائص اللهجات العربية، فدراسة البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ضرورة شرط لمن أقبل على دراسة اللهجات العربية حتى يمكن التّمييز بين لهجة نشأت في البادية ولهجة نشأت في الحضر.[4]

[1]– محمد خان،اللهجات العربية و القراءات القرآنية، سابق : ص 17.

[2]– المرجع نفسه: ص 18-19.

[3]– المرجع نفسه: ص 18.

[4] - يُنظر، محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:17.

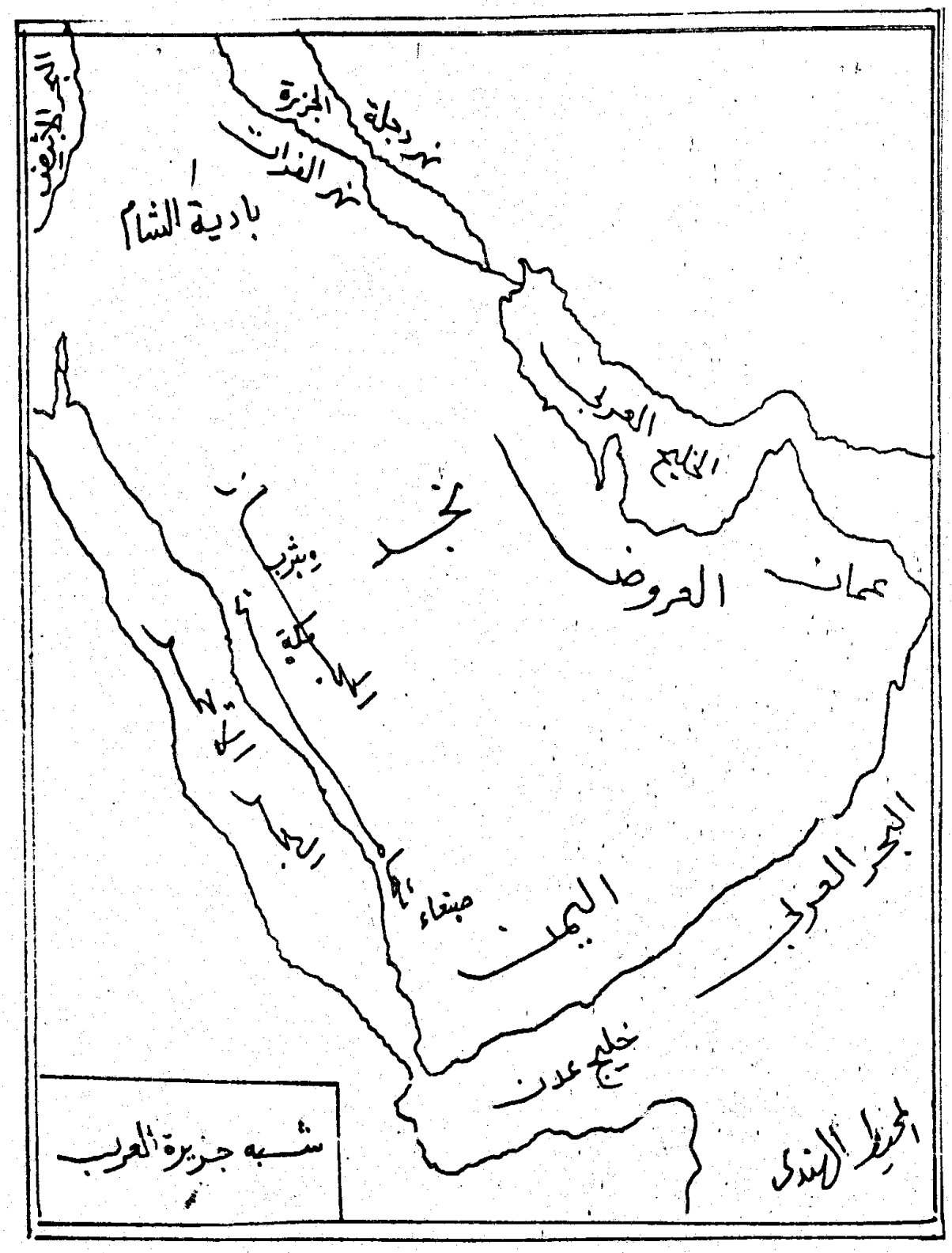

التّوزيع الجغرافي لمناطق شبه جزيرة العرب.

وكانت مواسم العرب وأسواقهم مجتمعا لهم، فكان أكبر مواسمهم الحج إلى الكعبة المشرفة حيث تختلط القبائل، وتقوم بينهم المعاملات، فيسمع العربي لغة غيره فمنهم من يخف ويسرع في قبول ما يسمعه، ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره عليه لصقت به"[1] وينشأ عن ذلكم تداخل وأخذ وعطاء وترك في اللّغة، ومثال ذلك كلمتا **قنط ويقنط** في قوله تعالى:﴿ **قالَ وَمَن يَقنَطُ مِن رَحمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضّالّونَ**﴾[2]، وقوله﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾[3]، إنّما هما لغتان، فمن العرب من كان يقول: **قَنَط يقنِط**، ومنهم من كان يقول :**قنِط يقنَط** ،فتداخلت اللّغتان، فمن القراء من قرأ: (**ومن يقنَط**)بفتح النون، وكلّهم قرؤوا (**من بعد ما قَنطوا**) بفتح النون." وكان العرب يلتقون أيضًا في أسواق الشّعر والأدب،كسوق عكاظ وغيره، حيث تُلقى الأشعار والخطب، وتُرسل الحِكم، فيتأثّر بعضهم بلغة بعض،فتجري على ألسنتهم ألفاظ دون تكلّف.

3- الأحرف السّبعة:

الأحاديث المتواترة الواردة حول نزول القرآن على سبعة أحرف تدل على ذلك : جاء في الصحيحين : عن ابن عباس(رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" [(4)]. وزاد مسلم : "قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام " [(5)].

وأخرج مسلم عن أبيّ بن كعب[6] ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أَضَاة بني غفار[(7)]

---

[1] - إبراهيم أنيس: في اللّهجات العربية، مرجع سابق، ص15.

[2] – الحجر، الآية 56.

3– الشورى، الآية 27

[4] – ينظر : صحيح البخاري ،كتاب فضائل القرآن ، باب : أنزل القرآن علي سبعة أحرف ، 9 / 20 .

[5] – ينظر : صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين ، باب : بيان أن القرآن أنزل علي سبعة أحرف،202/2.

– هو أُبيّ بن كعب بن المنذر من بني عمرو بن النجّار، شهد بدرا مع النبيّ ص، مات سنة 22 هجرية، وكان يكتب الوحي.

[7] – مستنقع ماء كالغدير ،كان بموضع بالمدينة نزل عنده بنو غفار فنسب إليهم .

قال: "فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاء الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، فقال جبريل: إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيّما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"[1] ويؤخذ من ذلك أمران:الأوّل:إنّ الأحرف السّبعة جميعها قرآن نزل من عند الله، والأمر الثاني:لا مجال للاجتهاد فيها.

3-1- مفهوم الأحرف السّبعة:هناك أقوال عديدة ساقها العلماء حول مفهوم الأحرف السّبعة التي تواترت الأحاديث في إثبات أن القرآن نزل عليها ، ونشير إلى رأيين :

أحدهما: هو ما ذكره ابن قتيبة: هو أنّ الأحرف السّبعة هي سبعة أوجه لا يخرج عنها الاختلاف في القراءات، وهي:

1- اختلاف الأسماء من إفراد ، وتثنية ، وجمع ، وتذكير ، وتأنيث.

2- اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر .

3- اختلاف وجوه الإعراب .

4- الاختلاف بالنقص والزيادة .

5- الاختلاف بالتقديم والتأخير .

6- الاختلاف بالإبدال .

7- اختلاف اللغات كالفتح والإمالة ، والتفخيم ، والترقيق ، والإظهار والإدغام [2] .

---

[1] – يُنظر صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، 1 / 392 .

2 – ينظر : ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت،دط)،ص36-38 .

وقد مال لهذا الرأي الزرقاني في (مناهل العرفان) وساق له الأمثلة من الوجوه المذكورة، ورجّحه على غيره مقرراً أنّه الرأي الذي تؤيده الأحاديث، وأنّه الرأي المعتمد على الاستقراء التّام دون غيره [1]

وثانيهما : وهو ما ذهب إليه سفيان بن عيينة، وابن جرير، وابن وهب، والقرطبي[2] وحاصله: أنّ المراد بالأحرف السّبعة هي سبع لغات في كلمة واحدة تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني وتقاربها، مثل: هلّم، وأقبل، وتعال، إليَّ، وقصْدي، ونحْوي، وقُرْبِي. فإنّ هذه سبعة ألفاظ مختلفة، يعبّر بها عن معنى واحد، هو طلب الإقبال. وليس معنى ذلك أن كلّ معنى في القرآن عبّر عنه بسبعة ألفاظ من سبع لغات، بل المراد أن منتهى ما يصل إليه عدد الألفاظ المعبرة عن معنى واحد هو سبعة. وأصحاب هذا الرأي أيّدوا كلامهم بأن التيسير المنصوص عليه في الأحاديث موجود في هذا الرأي.

وبناءً على الرأي الأول تكون القراءات التي رواها القراء بوجوه متعددة راجعة إلى الأحرف السّبعة، وبناءً على الرأي الثاني تكون راجعة إلى حرف واحد وهو حرف قريش، الذي نسخت عليه المصاحف العثمانية.

4- الازدّواج اللّغوي في المستوى الصّوتي:

لقد نشأ الدّرس الصوتي في رحاب الدّرس اللّغوي العربي القديم، ووضع الخليل ابن أحمد الفراهيدي أصول الأصوات عند العرب، وتبعه تلميذه سيبويه، و بعد ذلك تبعهما ابن جني في القرن الرابع الهجري، بجمع الدراسات الصوتية في كتابه:(سرّ صناعة الإعراب)، وكان الخليل من أكثر اللّغويين عناية بالبحث الصوتي، وكتابه (العين) الذي أُقيم على أساس صوتي، على اعتبار مخارج الحروف، مُبتدأ بحروف الحلق منتهيا بحروف الشفتين، حتى ذهب بعضهم إلى القول:"أمّا علماء اللغة

[1]- ينظر : الزّرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1995م، ج1/ 155 – 157 .

[2]- ينظر : السّيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر،ط2، 1989م، ج 1 / 48 .

العرب فقد بدأت محاولاتهم بعمل الخليل بن أحمد، فلم أجد نحويا من النُحاة الأوّلين أحسّ بضرورة الدّراسة الصّوتية لفهم أسرار العربية غير الخليل بن أحمد"[1].

أمّا في القرن التاسع عشر، لقد ظهر علم اللّغة عند الأوربيين، واستطاعوا الكشف عن الكثير من القوانين التّي تخّص اللغة، خاصة في جانبها الفسيولوجي، و فحص عمليات أعضاء النطق وتحديد مواضعها بالنسبة إلى كلّ صوت، بما أنّ الأصوات هي التّي تتكوّن منها اللّغة، لكون الأصوات شيئًا محسوسا، بينما الجوانب الأخرى من اللّغة مُعظمها تجريدي [2].

الصّوت لغة: هو"الجرسُ، والجمعُ أصوات، ويُقال صات وهو يصوت صوتا، فهو صائت، معناه صائح، و الصّوت صوت الإنسان وغيره، والصّائت: الصّائح.[3]

أمّا اصطلاحا: فهو" ظاهرة طبيعية نُدرك أثرها دون أن نُدرك كَنَهَهَا."[4]وقد عرّفه ابن سينا، بأنّه " تموّج الهواء و دفعه بقوة و سرعة بأي سبب كان"[5]، أمّا ابن جني فعرّفه بقوله:"اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج من النّفس مستطيلا متّصلا، حتّى يعرض له في الحلق أو الفمّ أو الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده و استطالته، فيُسمى المقطع أينما عرض له حرفا."[6] ومن التّعاريف الحديثة، هو "الأثر السمعي الحاصل من احتكاك الهواء بنقطة ما من نقاط الجهاز الصوتي."[7]

الجانب الصوتي هو المستوى الذي يُعنى بدراسة الأصوات اللّغويّة؛ من حيث مخارجها وصفاتها، وكيفية النّطق بها، فهو مستوى يهتم بالكلمات؛ من حيث البناء الصوتي لها. فاللّغة العربيّة تتنوَّع أصواتها ويُعتبر مدرج أصوات اللّغة العربيّة من أطول المدارج الصوتيّة بين اللّغات، وحروفها سهلة

---

[1]– مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنّحو، مطبعة مصطفى الحلبي،1958م ، ص168.

[2]–نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة، دار القبس، الكويت، ط2، 1979م، ص156.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 2، ص 57.

[4]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية،مطبعة الأنجلو المصرية ، ط 6، 81 19م، ص 6.

[5]– ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، القاهرة، 1352هـ، ص 104.

[6]– ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، 2000، ج 1، ص19.

[7]– محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط 3، د– ت، ج 1، ص13.

النّطق، عدا بعض الأصوات الحلقيّة. إنّ مظاهر الاختلاف في الأصوات التي ستقتصر دراستنا حولها هي: الهمز والتسهيل والفتح والإمالة والإدغام والإظهار.

4-1- ظاهرة الهمز والتخفيف: الهمزة نبرة في الصّدر تخرج باجتهاد كما يقول سيبويه"[1]، فهي من أشقّ الأصوات نطقا و أعسرها إخراجا. فمكان إنتاجها فتحة المزمار التي تنطبق ثمّ تنفتح فجأةً محدثة انفجارا أثناء إصدارها، الأمر الذي دفع بالقبائل العربية القديمة و بخاصة الحجازية و من جاورها إلى التخلص منها بتسهيلها أو حذفها أو إبدالها، وقد وُضعت قواعد حُصرتْ بها أحوال الهمز في جهات النّطق بها، بمراعاة حركتها أو حركة ما قبلها أو ما بعدها،"[2]مثل : **يؤمنون – يومنون**. أو إبدالها حرفًا، مثل :**يؤاخذ – يواخذ** أو حذفها مثل: **مستهزئون– مستهزون**. أو تسهيلها بين الهمزة وبين الهاء، مثل :**أرأيتكم –أرايتكم**. أو نقل حركتها إلى ساكن قبلها وحذف الهمزة، مثل: **والأخرى – ولأخرى**. والقبائل التي كانت تنطق بالهمز هي القبائل وسط الجزيرة وشرقيها مثل تميم وقيس، والقبائل التي لم تنطق بها هي معظم قبائل الحجاز مثل قريش."[3]

أما القراء فمنهم من همز ومنهم من لم يهمز، فنافع وبن كثير وبن عامر وعاصم وحمزة والكسائي كانوا يهمزون إذا كانت الهمزة ساكنة أو متحركة على السواء مثل **يؤمنون – يؤخركم** وأما أبو عمرو فكان يترك كلّ همزة ساكنة أو متحركة على السواء مثل **يؤْمنون – يؤَخركم**".[4]، وكان يهمز حروفًا من السواكن مثل :**الضأن–بئر – بئس**. من كلّ القرآن وغيرها ممّا ورد ذكره في كتب القراءات.

4-2- ظاهرة التفخيم والترقيق:

التفخيم: جعل جسم الحرف سمينا حتى يمتلئ الفم بصداه.

[1]- ينظر: سيبويه الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3/1988م، ج3، ص458.

[2] – أحمد مختار عمر: دراسة الصّوت اللّغوي: ، عالم الكتب، القاهرة، ط1/1985م، ص338.

[3]- انظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص 66.

[4]- انظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1988م، ص 132

والترقيق: جعل جسم الحرف نحيلا فلا يمتلئ الفم بصداه[1]، ومن أمثلة ذلك مايلي:

1-**بين التاء والطاء**: تقول تميم: أفلطني بالطاء بدلا من أفلتني، ففي اللسان: أفلطني الرجل إفلاطا مثل أفلتني، وقيل: لغة في أفلتني تميمية قبيحة.[2]

2-**بين السّين والصّاد**: من القبائل العربية من يقولون في السّاق: الصاق، جاء في اللسان: الصاق لغة في السّاق عنبرية»[3]، و بنو العنبر من القبائل البدوية التي تميل إلى التّفخيم.

3-**بين القاف والكاف**: وفي اللسان قال يعقوب بن السّكيت[4]: "قريش تقول:كشط، وتميم وأسد يقولون: قشط، وفي التنزيل: ﴿**وإذا السّماء كشطت**﴾[5] قال الفراء: يعني نُزعت فطُويت ، وفي قراءة ابن عامر:(قشطت) بالقاف والمعنى واحد[6]، وتميم وأسد من القبائل البدوية التي تميل إلى التفخيم، ولذا آثروا صوت القاف على صوت الكاف.

4-3- ظاهرة الفتح والإمالة:

الإمالة: هي تقريب الصوت من الصوت؛ بأن تقرب الفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء مثل قولنا: **سعى و قضى**.

و**الفتح**: معناه فتح الفم أثناء نطق الحرف، وهو التفخيم عند بعض العلماء و لا فرق بينهما.

والفتح والإمالة لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن، والفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامّة أهل نجد من تميم وأسد وقيس .أما القراء فأشهر من روي عنهم الإمالة حمزة و الكسائي.

---

[1]- إبراهيم أنيس،في اللهجات العربية، سابق، ص99.

[2]- اللسان : (فلط).

[3]- اللسان : (صوق).

[4]- هو ابن السكيت.

[5]-التكوير، الآية،11.

[6]- اللسان: (كشط) .

وذكر السّيوطي في الإتقان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ:﴿**يا يحيي**﴾[1] ، فقيل له: يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش، فقال: هي لغة الأخوال من بني سعد. ونقل السّيوطي في الهمع أنّ أكثر اليمن يميلون ألف حتى، لأنّ الإمالة غالبة في ألسنتهم في أكثر الكلام ، وقد ذكر سيبويه أن الحجازيين يميلون في مواضع قليلة[2].

وعليه فيمكن أن تنسب الإمالة إلى القبائل البدوية. الذين كانوا يميلون في كلامهم إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، والإمالة تحقّق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات، يقول ابن الجزري: وأما فائدة الإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع. فوجود الإمالة عند أهل البادية وعند أهل اليمن يؤكد أصالة الإمالة وأنّها كانت من الأصول الأولى في اللّغات السامية[3].

4-4- ظاهرة الإظهار والإدغام:

نقصد بكلمة الإظهار هو إعطاء الحرف حقّه من جهرٍ أو همسٍ أو شدّةٍ أو رخاوةٍ أو غير ذلك، ويحصل هذا نتيجة الدّقة والتّأني في نطق الحروف وعدم الخلط بينها، وإدغام الحروف يأتي من السّرعة وعدم إعطاء الحرف حقّه من التّحقيق والتّجويد، ممّا ينتج عن ذلك تأثّر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور وتتقارب، وشرط التأثّر أن تكون متقاربة في المخرج أو الصّفة أو متّحدة في كليهما. فمثال التّقارب في المخرج دون الصّفة إدغام التّاء في الطاء في قوله تعالى :﴿ **لَهَمَّت طَّائِفَةٌ**﴾[4]، ، وهو ما يسمّى بالإدغام المتجانس.ومثال المتقارب في الصّفة دون المخرج إدغام التاء في الجيم في قوله تعالى:﴿**نَضِجَتْ جُلُودُهُم**﴾[5] وهو ما يُسمّي بالمتقارب في الصّفة، ومثال الاتّحاد في المخرج والصفة

---

[1]- مريم، الآية 12 .

[2]- انظر: سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، 120/4.

[3]- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق: ص74.

[4]- النّساء:الآية113

[5]- النّساء، الآية 56.

قوله تعالى: ﴿**اضْرِب بِّعَصَاكَ**﴾[1] وهو الإدغام المتماثل. والإدغام هو قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة ، وتبعوا بذلك ما عُرف في قبائل تميم وما جاورها من أحياء العرب"[2].

وتحدث ظاهرة الإدغام كثيرا في البيئات البدائية حيث السّرعة في نطق الكلمات ومزج بعضها ببعض، فلا يُعطى الحرف حقّه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النّطق، ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفي القبائل الرّحل التي لا تكاد تستقر على حال، وعلى هذا فتُنسب هذه الظاهرة إلى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، ومنها تميم وأسد وطيء و غيرها من البدو الرّحل[3].

ومن أمثلة هذه الظاهرة : الإدغام مع التحريك بالفتح، فيقولون: ردَّ يا بني، وإن تردَّ أردَّ.[4] وعلى هذه اللهجة قوله تعالى:﴿**ومن يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾[5] بدال واحدة مفتوحة مشددة بالإدغام، وقرأ ابن عامر بدالين مكسورة فمجزومة على لغة أهل الحجاز[6].

وعليها قول الشاعر:

فغضّ الطرف إنّك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

بضاد واحدة مفتوحة مشددة بالإدغام.

أما الإظهار فينسب إلى البيئة الحجازية ، وهي بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبيا ، فيها يميل الناس إلى التأني في النطق وتحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها، ولهجة أهل الحجاز فكّ المثلين في الفعل المضارع المضعف المجزوم بالسّكون وفي فعل الأمر، قال تعالى: ﴿**ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر**﴾[7].

---

[1] – البقرة:الآية 60

[2]– انظر :إبراهيم أنيس، اللهجات العربية ص65 .

[3] - محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، دار التركي للطباعة، طنطا، (دط)، 1996 ص: 171

[4]– المرجع نفسه، ص:172

[5]– المائدة الآية 54.

[6]– محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ص:175

[7]– البقرة الآية 217.

يشترك العرب في الإدغام إذا اتّصل الفعل المضعف بواو جمع: ردّوا، أو ياء مخاطبة، نحو: ردّي.

ويُفك الإدغام إذا اتّصل الفعل المضعف بضمير الرفع البارز المتحرك، نحو: حللت وضللت، وشددنا ورددنا، وذلك لأنه يجب تسكين آخر الفعل، ولا يمكن التّسكين إلا بفك الإدغام.

5- الازدّواج اللغوي في المستوى النّحوي:

إنّ الازدواج اللغوي في القراءات ما يرجع إلى تعدّد الوجوه الإعرابية للكلمة الواحدة، ولعل طبيعة الرسم الإملائي للقرآن الذي تجرّد عن النقط أدى إلى تعدّد أوجه القراءات، ولكن هذه الوجوه لم تكن بعيدة عن قيد العلماء، فقد اشترطوا لقبول القراءة أن توافق اللّغة العربيّة بوجه من الوجوه، وأن يحتمله خط المصحف العثماني. وصنّف في هذين الشرطين اختلاف القراءات إلى نوعين:

5-1- الاختلاف في الإعراب: أوجه الإعراب هي الرفع والنصب والجر والجزم، والذي يعنينا منها ما اختصت به بعض القبائل دون سائر العرب الأخرى، ومن ذلك ما يلي:

1-**المثنى:** يُرفع المثنى بالألف ويُنصب بالياء، وهذا هو المشهور في إعرابه، ولكن بعض القبائل العربية خالفت جمهور العرب في ذلك وألزمته الألف في جميع أحواله، ونسبت هذه الظاهرة إلى بلحارث بن كعب، وكنانة و ربيعة وبكر بن وائل.[1] وعليها قراءة قوله تعالى: ﴿**إنّ هذان لساحران**﴾[2]، بتشديد نون إنّ.وعليه قول الشاعر:

إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

وقام العلماء بتخريج القراءة المذكورة على هذه اللهجة.[3] الاختلاف في وجوه الإعراب.

---

[1] – محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:151

[2]– طه، الآية 63.

[3]– فقد قيل: إنّ(إن)بمعى نعم كما في قول ابن الزبير لرجل قال له: لعن الله ناقة حملتني إليك: إن وراكبها .أي بمعنى ولعن الله راكبها.وهذان مبتدأ وساحران خبر لمبتدأ محذوف أي لهما ساحران والجملة خبر هذان.وقيل: إن الأصل إنه هذان ساحران ، فالهاء ضمير الشأن ، وما بعدها مبتدأ وخبر ، والجملة في موضع رفع على أنها خبر إن.وقيل : إنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا)جعل كذلك في التثنية ليكون المثنى كالمفرد لأنه فرع عليه.(انظر : شرح شذور الذهب: ص48،49).

كما في قوله تعالى:﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾[1]، فقد قُرئت برفع أدم ونصب كلمات، وقُرئت عكس ذلك عند بعض القراء.

2- إعمال ما عمل ليس: تعمل (ما) عمل ليس عند أهل الحجاز، فيرفعون بها المبتدأ وينصبون الخبر، وعلى لهجتهم قوله تعالى:﴿**ما هذا بشرا**﴾[2] وقوله:﴿**ماهن أمهاتهم**﴾[3] بنصب بشرا و أمهات.

وبنو تميم أهملوا إعمالها، وبلهجتهم قرأ ابن مسعود (ما هذا بشر) برفع (بشر)[4].

3- نصب الخبر بعد (إن النافية):تعمل إن عمل ليس في لغة أهل العالية[5]، فترفع المبتدأ وتنصب الخبر، سمع من بعضهم: إن أحد خيرا من أحد إلا بالعافية. بالرفع و بالنصب.

وقول الشاعر:

إن المرءُ مَيْتًا بانقضاء حياته ولكن بأن يبغي عليه فيخذلا

وقرأ سعيد بن جبير:﴿**إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم**﴾[6] فنصب (عبادا)[7].

وقراءة الجمهور:﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾. برفع عباد و هي قراءة الجمهور

4- جر اسم لعل: لعل تنصب المبتدأ وترفع الخبر ولكن بني عقيل يخالفون جمهور العرب في ذلك ويجرون بها الاسم الواقع بعدها.

وعليه قول الشاعر:

---

[1]- البقرة،37 الآية.

[2]- يوسف، الآية31.

[3]- المجادلة، الآية 2.

[4]- انظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل (مطبعة.عيسى الحلبي):119/1.

[5]- العالية : ما فوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراءه مكة .(اللسان: ع ل و).

[6]- الأعراف، الآية 194.

[7]- انظر: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، تح: محمد محي الدين، دار الحديث، القاهرة، 1995م، (ص 45).

فقلت أدع أخرى وأرفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب[1]

5-صرف مالا ينصرف و زيادة الألف والنون: من العرب يصرفون مالا ينصرف إذا كانت علة منعه من الصرف الوصفية وزيادة الألف والنون ، فيقولون: لست بسكران، ويؤنثونه بالتاء؛ فعلانة عن فعلى،فيقولون، سكرانة[2]. وهذه اللهجة لازالت سائدة في بلاد المشرق و المغرب العربيين.

6-التردد بين الإعراب والبناء: مما تردد بين الإعراب والبناء فاختلفت به لهجات العرب ما يلي:**الذين:** وهي من الأسماء الموصولة المبنية على الفتح في الرفع والنصب عند جمهور العرب، و بعض العرب يعربونها إعراب جمع المذكر السالم قال الشاعر:

نحن اللذون صبحوا الصّباحا يوم النّخيل غارة ملحاحا[3]

7- ما كان على (فعال): للعرب فيه لغات: وهي بناؤه على الكسر مطلقا.

وعليها قول الشّاعر:

إذا قالت حذام فصدقوها فإنّ القول ما قالت حذام.

لغة بعض القبائل، وهي إعرابه إعراب مالا ينصرف. هذه بعض الوجوه الإعرابية التي اختلفت فيها القبائل العربية، ومازالت هذه الظواهر منتشرة بين المشرق و المغرب إلى يومنا هذا.

6- الازدّواج اللغوي في المستوى الصرفي:

ويعرف علم الصرف:"بأنّه العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الكلمة التي ليست إعرابًا ولا بناءً. ويتوفّر علم الصرف على تبيان تأليف الكلمة المفردة بتبيان وزنها وعدد حروفها، وحركاتها، وما يعترض لذلك من تغيير أو حذفٍ، ومن أصالة وزيادة"[4].

---

[1]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ص:155.

[2]- انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (234/3).

[3]- انظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل:72/1.

[4]-محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ص:121

الإبدال: الإبدال كما في لسان العرب: جعل شيء مكان شيء آخر[1] وهو عند اللغويين، التغيير الذي يلحق حروف الكلمة و التغييرات التي تلحق الحركات أيضا و ينقسم الإبدال إلى قسمين:

1-**إبدال مطرد:** عند جميع العرب، وهو الإبدال القياسي وهذا إذا استوفى شروطه وجب تنفيذه كإبدال الهمزة الساكنة الثانية، نحو: آمنت أومن إيمانا، والأصل: أأمنت أؤمن إيمانا، والحروف التي يبدل بعضها من بعض جمعها ابن مالك بقوله:(**هدأت موطيا**)[2].وهذا النّوع من الإبدال يستعمله المتكلم بالعربية في المواضيع التي وضعها علم الصرف، هذا الإبدال لا يكون فيه لهجات، ولا يعنينا.

2- **إبدال غير مطرد:** وهو الإبدال السّماعي، وهو الذي لا يخضع لشروط خاصّة، وهذا الإبدال يختلف باختلاف القبائل، فنجد مثلا قبيلة تقول: مدح، وأخرى تقول مده، وهكذا، ولا ضابط للحروف التي يُبدل بعضها من بعض في هذا النوع. وهذا الإبدال هو الذي يعنينا هنا، لأنه هو الذي يخص قوما دون قوم[3]. وهو الذي أطلقنا عليه مصطلح الازدواج اللّغوي في المستوى الصرفي وقد اختلف العلماء في منشئه، والراجح أنّ منشأه من كثرة القبائل و تعدد اللهجات.

---

[1]- لسان العرب (مادة :بدل).

[2]- الأحرف التي تبدل من غيرها إبدالا شائعا قياسيا لغير إدغام تسعة ،وهي التي جمعها ابن مالك في قوله المذكور (هدأت موطيا) فالواو تقلب همزة في مثل قائل، والياء تقلب همزة في مثل بائع، لوقوعهما عينا لاسم فاعل.

وتبدل الواو والياء من الهمزة كما في خطايا وقضايا.

وتبدل الهمزة ألفا مثل: آمنت، وتبدل من الألف كما في مصابيح ، ومن الواو كما في رضي.

و تبدل الواو من أختيها الألف والياء كما في بويع وموقن وموسر.

وتبدل الألف من أختيها الواو والياء كما في قال وباع.

وتبدل التاء من الواو والياء إذا كانتا فاء للافتعال، نحو : اتّصل.

وتبدل الطاء من التاء إذا وقعت التاء في افتعل بعد صاد أو ضاد أو طاء أو ظاء.اصطلح

وتبدل الدال من تاء الافتعال الذي فاؤه ذّال أو زاي ،كما في، ادّكر وازدجر.

وتبدل الميم من الواو في فم، ومن النون في انبعث.

وتبدل الهاء في الوقف من التاء، نحو: نعمة ورحمة(محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، دار التركي للطباعة، طنطا، (دط)، 1996م، ص:121ومابعدها.

[3]- حنفي ناصف، مميزات لغات العرب، (مطبعة السعادة بمصر سنه 1330هـ.ط2): ص12،11.

يقول أبو الطيب اللغوي كما جاء في المزهر:" ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقه، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد...والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة، ولا بالصاد مرّة وبالسين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميما، والهمزة المصدرة عينا كقولهم في نحو أن:عن، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنّما يقول هذا قوم وذاك آخرون"[1]وينقسم هذا الإبدال إلى قسمين:

6-1- الإبدال في الحروف: ولهذا النوع ظواهر لهجية عديدة منها:

1-**العنعنة**:إبدال العين من الهمزة[2]؛ والمقصود بها هنا قلب همزة (أن) و(أنّ) عينا وتكرارها في كلام من يفعل ذلك من العرب، وقد نسبت هذه الظاهرة إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم، كقول شاعرهم:

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل لآخرة لابدّ (عن) ستصيرها[3]

قال الفراء: تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أنّ إذا كانت مفتوحة عينا، يقولون: أشهد عنك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف.وقال فإنّ تميما تقول في موضع أن:عن، وذكر بيت إبراهيم بن هرمة:

أعن تغنت على ساق مطوقة ورقاء تدعو هديلا فوق أعواد[4].

فمن هذه الشواهد التي ذكرها رواة اللغة لهذه الظاهرة نلاحظ أنها جميعها مقصورة على قلب همزة ((أن)) و(أنّ) عينا، ففي تاج العروس: قال الكسائي[5]: "يقال كان ذلك منا عنفة بالضم وعنفة

[1]- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة :460/1.

[2] - أحمد تيمور باشا، لهجات العرب،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الانفتاح الفكري،1972م/1393هـ، ص39.

[3] - محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ص:127

[4]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ص:129

[5]- هو أبو الحسن علي بن حمزة المعروف بالكسائي أحد أئمة النحو، وأحد القراء السبعة في الكوفة، مات سنة 189هـ.

بضمتين، واعتنافا، أي ائتنافا، قلب الهمزة عينا، وهذه هي عنعنة بني تميم ... واعتنفه: ابتدأه، قال الليث: وبعض بني تميم يقول: اعتنف الأمر بمعنى ائتنفه، هذه هي العنعنة". ويقول العامة اليوم: فقع بدل فقا فقلبوا الهمزة عينا وهو مفقوع العين والصواب: هو مفقوء العين، وقد فقأت عينه.

وفي الجمهرة قال ابن دريد: وخبع الرجل في المكان إذا دخل فيه، وأحسب أن هذه العين همزة، لأنّ بني تميم يحققون الهمزة فيجعلونها عينا، فيقولون: هذا خباعنا، يريدون: خباؤنا[1].

ونستخلص ممّا سبق أنّ الظاهرة غالبة في قلب همزة (أن) و(أنّ) عينا، وهذا سرّ تسميتها بالعنعنة.

2-**العجعجة**: وهي إبدال الياء جيما[2]، وقد اشتهرت نسبة هذه الظاهرة إلى قضاعة وإن كان ورد ما يفيد نسبتها إلى غيرها من القبائل، ويلاحظ في نسبتها إلى قضاعة مقيدة بأن تكون الياء تالية للعين في الكلمة ، ولعل ذلك سر تسميتها بالعجعجة ، فالجيم التي تبدل من الياء تالية للعين في التّسمية، جاء في لسان العرب: "العجعجة في قضاعة،كالعنعنة في تميم، يحوّلون الياء جيما، يقولون: هذا راعج خرج معج، أي راعي خرج معي".

ونسبها سيبويه إلى ناس من بني سعد، فقال: وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون: تميمي، وهذا علج، يريدون: علي، وسمعت بعضهم يقول: عربانج، يريد: عرباني،[3] وحدثني من سمعهم يقولون:

خالي عويف وأبو علج المطعمان الشحم بالعشج

وبالغداء فلق [4] البرنج

يريد: علي، بالعشي، و البرني[5].

---

[1]- ابن دريد، جمهرة اللغة:1، 227 ، 238.يقول العامة اليوم: فقع بدل فقا فقلبوا الهمزة عينا:هو مفقوع العين.والصواب: هو مفقوء العين.محمد رياض كريم، المقتضب ص131.

[2] - أحمد تيمور باشا، لهجات العرب، مرجع سابق، ص،15.

[3]- عرباني:عربي (اللسان : عرب)

[4]- الفلق: جمع فلقة وهي القطعة .(المصباح: ف ل ق).

[5]- البرنى: ضرب من التمر أصفر مدور، قال أبو حنيفة : أصله فارسي.(المقتضب في لسان العرب،ص، 129.)

وقد نسبت هذه الظاهرة لتميم.[1] و يُقال أنّ هذه اللّهجة موجودة إلى الآن، فيقولون: شيرة وشيرات، بدل شجرة وشجرات، ودياي بدل دجاج و ريال بدل رجال، وهكذا.[2]

3-الكشكشة: هذه الظاهرة كما جاء في المزهر والاقتراح للسّيوطي «في ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا، فيقولون: رأيتكش، وبكش، وعليكش، فمنهم من يثبتها في حال الوقف فقط وهو الأشهر، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا، ومنهم من يجعلها مكان الكاف»[3].

يقول ابن جني: وإنّما فعلوا ذلك، حرصا على البيان، لأن الكسرة الدالة على التأنيث تُخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا[4]. وأنشد على هذه اللهجة قول الشاعر:

عيناش عيناها وجيدش جيدها سوى أن عظم السّاق منش دقيق[5]

قرأ بعضهم (قد جعل ربش تحتش سريا) لقوله تعالى: ﴿**قد جعل ربّك تحتك سريا**﴾[6] »[7]وهذه اللهجة مازالت موجودة في بعض البلاد العربية في الخليج، في الكويت، وفي البحرين، وفي شرقي المملكة العربية السعودية.

4-الكسكسة: وهي كما ذكرت مصادر اللّغة، يقلبون الكاف سينا على ما تقدم في الكشكشة[8].

فيقولون: أبوس وأمس، أي أبوك وأمك، ومررت بكس، وخصّها بعض علماء اللغة كابن جني والثعالبي[1] والفيروز أبادي[2] بالمؤنث في حالة الوقف، وقد نسبها ابن جني إلى هوازن [3]،ونسبها الثعالبي إلى بكر[4]: أكرمتكس، وأعطيتكس، ومنكس، أي أكرمتك، وأعطيتك، ومنك.

---

[1]- انظر الدكتور إبراهيم أنيس، اللهجات العربية : سابق، ص 105.

[2] - محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، سابق، ص:130

[3]- السّيوطي، الاقتراح في أصول النحو: سابق، ص 83.

[4]- ابن جني، سر صناعة الإعراب، مرجع سابق : 216/1.

[5]- المصدر نفسه: 216/1.

[6]- سورة مريم /24.

[7]- عبد الرحمن الثعالبي، فقه اللغة العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مط مصطفى الحلبي، 1972: ص129.

[8] - أحمد تيمور باشا، لهجات العرب، مرجع سابق، ص،80.

5-الفحفحة: في لسان العرب (الفحفحة: تردد الصوت في الحلق شبيه بالبحة).[5] و (الفحفحة: يجعلون الحاء عينا)[6]. و يبدو أنّ ذلك مقصور على حاء (حتى) فقط وليس كل حاء ، فقد رُوي أن عمر رضي الله عنه: قال لعبد الله بن مسعود حين بلغه أنه يُقرئ الناس (عتى حين) يريد: ﴿حتى حين﴾[7]: إنّ القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش)). فابن مسعود رضي الله عنه قلب حاء حتى عينا في قراءته المذكورة ولم يقلب حاء حيّ.

6-**الشنشنة:**هي إبدال الكاف شيئا، مثل: لبيش اللهم لبيش، أي لبيك، وتنسب لأهل اليمن

7-**الطمطمانية:** هي إبدال لام التعريف ميما، كقولهم: طاب أمهواء، يريدون: طاب الهواء، وتنسب إلى حمير،[8] وإلى هذيل.وقد جاء في الآثار أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم نطق بهذه اللغة في قوله: ليس من أمبر إمصيام في أمسفر. يريد: ليس من البّر الصّيام في السّفر.وعليها قول العوام في بعض الدّيار العربية، في مصر والجزائر: (إمبارح)، يعنون البارح، وهو اليوم الذي مضى، ويقولون:(البارح).

8-**الاستنطاء:** هو إبدال العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، كأنطى في أعطى، وقد قُرئ: (إنا أنطيناك الكوثر)، وقراءة الجمهور: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾.[9]كما في المصحف.ورُوي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل: أنطه كذا وكذا ،أي أعطه ... وفي حديث الدّعاء:اللّهم لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت... وظاهرة الاستنطاء موجودة اليوم في بعض البلاد العربية.

---

[1]- هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري الثعالبي الأديب اللغوي المتوفى سنة 429هـ. من مؤلفاته: فقه اللغة.

[2]-هو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط المتوفى سنة 817هـ.(هدية العارفين: 180/2).

[3]- ابن جني، الخصائص ف: 12/2.

[4]- الثعالبي، فقه اللغة : ص.129.

[5]- اللسان : فحح.

[6] - أحمد تيمور باشا، لهجات العرب، مرجع سابق، ص، 133

[7]- يوسف : 35.

[8]- انظر : فقه اللغة للثعالبي : ص 129.

[9]- الكوثر /1.

9-الوتم: هو إبدال السين تاء، كالنات في الناس[1]، وتنسب هذه اللهجة لأهل اليمن ، ورُوي عليها قول الشاعر: **يا قبح الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات**

ليسوا أعفاء ولا أكيات[2]

6-2- الإبدال في الحركات:

1-كسر أوّل الفعل المضارع: من المعروف أن حرف المضارعة يفتح في غير الرباعي من الأفعال، ويضم في الرباعي، إلا أنه نسب لبهراء كسر أوائل الأفعال المضارعة ،وعرفت هذه الظاهرة بتلتلة بهراء. وأما تلتلة بهراء فإنها تقول: تعلمون وتعقلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف. أي كسر أوائل الأفعال المضارعة[3] .وقال الحريري[4]:"أما تلتلة بهراء فيكسرون حروف المضارعة، فيقولون: أنت تعلم"[5].

وقرئ:﴿**فبذلك فلتفرحوا**﴾[6]، وقرئ:﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا**﴾[7]، وقرئ:﴿**ولا تعثوا في الأرض**﴾[8]، بكسر التاء في الجميع.[9]

2-الوكم: جمهور العرب يضم كاف الخطاب المتلوة بالميم ، كقوله تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم**﴾[10]. وبعض العرب يكسرون تلك الكاف[1].

---

[1] - أحمد تيمور باشا، لهجات العرب، مرجع سابق، ص،118

[2]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ص:142

[3]- انظر، المزهر للسيوطي : 211/1.

[4]- هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري المتوفى سنة 516هـ. مصنفاته: درة الغواص.(هدية العارفين): 827/1).

[5]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ص:143

[6]- يونس، الآية58.

[7]- هود، الآية113.

[8]- البقرة، الآية60.

[9]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:143

[10]- التوبة/128.

3-**الوهم**: جمهرة العرب تنطق هاء (هم) مضمومة إذا لم تسبق بياء أو كسرة، فيقولون : منهُم وعنهُم . فإن سبقت بياء أو كسرة فإنها تكسر[2] ، فيقولون : عليهم وبهم. بكسر الهاء.

4-**كسر أول فعيل**: المشهورة في فعيل فتح أوله سواء أكان ثانيه حرفا من حروف الحلق أم لا ، ولكن بعض العرب يكسرون أوله إذا كان ثانيه حرفا حلقيا ، فيقولون : رغيف بكسر الراء ، وشعير بكسر الشين ، وزئير بكسر الزاي.وقد نسب سيبويه هذه الظاهرة إلى تميم[3]، ونسبها بعضهم إلى أسد، وقيس.

5- **كسر ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم**: المشهورة فتح ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم ، كما في القرآن الكريم: ﴿**ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ**﴾[4]. وفي الحديث: ((**أو مخرجيّ هم ؟**)).

6-**الضميران هو وهي**: هو وهي من ضمائر الرفع المنفصلة، والمشهورة نطقهما بفتح الواو من هو والياء من هي، فيقال: هو فعل ذلك، وهي فعلت ذلك .

وقد نسب إلى قيس وأسد تسكين الواو من هو والياء من هي، فيقولون: هوْ فعل، وهيْ فعلت وعليها قول الشاعر: **وكنا إذا ما كان يوم كريهة فقد علموا أني وهوْ فتيان**

وقد ورد تشديد الواو من هو والياء من هي.

وعليها قول الشاعر: **وإنّ لساني شهدة يشتفى بها وهوّ على من صبّه الله علقم**

وقول الآخر :

والنفس ما أُمرت بالعنف آبية وهيَّ ما أُمرت باللطف تَأتمر[1] .

---

[1]- انظر، حنفي ناصف، مميزات لغات العرب، مرجع سابق:ص24.

[2] -أحمد تيمور باشا، لهجات العرب، مرجع سابق، ص، 111

[3]- يُنظر، الكتاب:4/108،107.

[4]- إبراهيم، الآية 22.

ونُطق العامّة في الكثير من البلاد العربية اليوم لهذين الضميرين يوافق هذه اللّهجة.

الاختلاف في وجه التّصريف فقد اختلفوا في تحريك الياء التي تكون للمتكلّم وعدم تحريكها، مثل قوله:﴿**إِنِّي أَعْلَمُ** ﴾[2]، وقوله:﴿**عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[3]، واختلفوا في قوله:﴿**رَبَّنَا بَاعِدْ**﴾[4]، فقُرأت(**بعِّد**) وقُرأت (**باعِدْ**)."[5]

7 – الازدّواج اللّغوي في المستوى الدّلالي:

علمُ الدلالة دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى، عن طريق تحليل معاني الكلمات والكشف عن العلاقات الدلاليّة بينها، والمعروف أنّ لغات العرب كانت تختلف فيما بينها، نجد كلمة وقعت على معنيين أحدهما لقبيلة والثاني لأخرى، أو على عدّة دلالات مثل كلمة **السُّدفة** "فبعضهم يذهبون إلى أنّها الضوء وتدل أيضا على القطعة فيقال :**مضى سدفة من الليل** أي قطعة منه"[6].وسبب تعدّد الدلالات هو أنّ إحدى القبائل أطلقها على معنى بعينه بسياق محدد، ولما انتقل إلى قبيلة أخرى بالسّماع أخذ معنى غيره في سياق جديد، وفي القرآن ألفاظ كثيرة، مثل كلمة، **الرّجاء**، فقد جاءت بمعنى الناحية في قوله تعالى:﴿**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا**﴾[7]

و بمعنى الخوف في قول اللّه تعالى:﴿ **مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾[8]

وكما يوجد كلمات مشتركة بين القبائل تدلّ على معاني مختلفة، فإنّه يوجد أيضا كلمات كثيرة استخدمها العرب اختلفت ألفاظها واتفقت معانيها، ومن أمثلة ذلك قول العرب للوعاء إذا فرغ فلم

---

[1]– انظر : محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:150

[2]– البقرة، أية30

[3]– البقرة، أية142

[4]– سبأ، أية19 –

[5]– ابن مجاهد، السبعة في القراءات، مصدر سابق، ص 529 .

[6] – محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:176

[7]– الحاقة:الآية 17

[8]– نوح: الآية 13.

يبق فيه شيء: **قد خلا، وقد صفر**" ويقال للجارية الحسناء الخلق، ويقال **السُّدفة و الشُّدفة** ويريدون القطعة"[1].وكان الأصمعي- وهو مَنْ هو من الفصاحة- لا يفسر شيئاً من غريب القرآن، وسئل عن قوله سبحانه:﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً**﴾[2] فسكت وقال: هذا في القرآن، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جاريةٍ لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شغاف؟، ولم يزد على ذلك[3].

وقد كان عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-وهو مِنَ الفصاحة مَنْ هو، يقرأ قوله تعالى:﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبّاً**﴾[4] فلا يعرفه فيراجع نفسه ويقول: ما الأبّ ؟ ثم يقول: إنّ هذا تكلف منك يا ابن الخطاب[5].

ولا يعني التحرُّج في كشف دلالة المفردة القرآنية عدم وضوح الرؤية، أو انعدام المراد، بل على العكس، فقد أجمع النقاد على سلامة النظم القرآني، وهذا ما جعل العلماء يعدّون القرآن كالكلمة الواحدة في تماسكه الشكلي والدلالي، ومن أجل هذا التّماسك قال مصطفى صادق الرافعي:"إنّ العرب أوجدوا اللّغة مفردات فانية، وأوجدها القرآن تراكيب خالدة، وأنّ لهذه اللّغة معاجم كثيرة تجمع مفرداتها وأبنيتها، ولكن ليس لها معجم تركيبي غير القرآن."[6]

وتواضعوا على إعجازه، حتى أوضح الخطابي هذا بقوله:"واعلم أن القرآن إنّما صار معجّزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمناً أصح المعاني."[7] فقد انفردت معظم القبائل بنصيب من الألفاظ ذات دلالة خاصة لديها، لم تنتقل إلى غيرها من القبائل، فلمّا نزل القرآن اصطفاها ونشرها بين العرب جميعا، ولكن ظلّت معانيها مجهولة غير معروفة، فلذلك حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماس غريب القرآن وإعرابه.

---

[1] – المصدر نفسه، ص 45 .

[2] – يوسف : آية 30 .

[3] – ينظر : الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، 34 .

[4]– عبس: آية 31.

[5] – ينظر : الخطابي، بيان إعجاز القرآن، 36 .

[6]– مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت ،لبنان، ط9، 1973، ص 252.

[7]– المرجع نفسه ، 27 .

7-1-المشترك اللفظي:هو كما عرفه أهل الأصول: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللغة؛ وذلك نحو لفظ العين الذي يطلق على الذهب، وعين الماء، وكثرة المطر، والنقد، ونفس الشيء، والعين التي يبصر بها، وعين الجيش الذي ينظر لهم (الجاسوس)، وغير ذلك.[1] ولفظ الأرض الذي يطلق على الأرض المعروفة، وقوائم الدابة، والزكام، والرعدة. و من أسباب وقوعه في اللغة ما يلي:

1- **اختلاف اللهجات العربية** :لقد أُخذت العربية كما هو معلوم عن قبائل العرب المنتشرين في شبه الجزيرة العربية، واختلاف القبائل واختلاف البيئات أدى إلى وجود بعض أمثلة المشترك التي جاءها الاشتراك من تعدد اللهجات وتداخلها، ولذا يقول أبو علي الفارسي: "وأما القسم الثالث وهو اتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي أن لا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا، لكنّه من لغات تداخلت، أو تكون كل لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب حتى تصير بمنزلة الأصل."[2]

2 – الاستعمال المجازي: قد يستعمل اللفظ في معنى مجازي ويشتهر استعماله فيه ويكثر ويغلب يصبر بمنزلة الأصل كما ذكر أبو على الفارسي فيما نلقاه عنه آنفا، وذلك كالحوت لنوع من السمك الذي قد استعير لبرج من بروج السّماء وأصبح هذا الاستعمال مشتهرا حتى ظنه الناس أحد الحقائق المؤكدة[3].

3- التّطور الصّوتي: قد ينال الأصوات الأصيلة للفظ ما بعض التغير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطوّر الصوتي، فيصبح هذا اللفظ متحدا مع لفظ آخر يختلف عنه في مدلوله[4]. ومثال ذلك

[1]- أنظر المزهر في علوم اللغة، ج 373/1 ، 369.

[2]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:177

[3]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:177

[4]- د. علي واقي ، فقه اللغة ، مرجع سابق، ص 192.

ما ورد في المعاجم من أن الفروة جلدة الرأس، والغنى، وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو الثروة، فأبدلت الثاء فاء على طريقة العربية في مثل: جدث وجدف، وحثالة وحفالة[1]، وما أشبه ذلك.[2]

4- اقتراض الألفاظ من اللّغات المختلفة: اقتراض الألفاظ شائع بين اللّغات، والعربية اقترضت من اللّغات الأخرى بعض الألفاظ، وقد تشبه اللفظة المقترضة في لفظها كلمة عربية لكنّها ذات دلالة مختلفة، فيؤدي ذلك إلى وجود بعض أمثلة المشترك، ومثال ذلك لفظة (السور) التي تطلق كما في المعاجم حائط المدينة وعلى الضيافة، فالمعنى الأول عربي، أما الثاني فهو لكلمة فارسية شرفها النبي صلى الله عليه وسلم حين نطق بها في قوله صلى الله عليه وسلم: «يا أهل الخندق قوموا فقد صنع جابر سورا». قال أبو العباس ثعلب: إنّما يراد من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بالفارسية، وصنع سورا، أي طعاما دعا إليه النّاس[3].يقول أبو على الفارسي:"اعلم أنّ اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو الوجه والقياس الذي يجب أن يكون عليه الألفاظ، لأنّ كل معنى يختص فيه بلفظ لا يشركه فيه لفظ آخر، فتنفصل المعاني بألفاظها ولا تلتبس[4].و فقد اختلف العلماء فيه:

آراء العلماء فيه: فريق أنكر وجوده في اللغة، و أخرجه من هذا الباب، فيجعل الألفاظ التي تدل على ذلك من باب الحقيقة والمجاز، وحجته أن اللغة موضوعة للإبانة وأنّ الاشتراك فيه إبهام ولبس وتعمية وتغطية، ومثل ذلك يُنزه عنه الكلام، وعلى رأس هذا الفريق ابن درستويه[5].

وفريق ثان يثبته لكثرة وروده في الأساليب العربية، وضرب له عددا كبيرا من الأمثلة، ومن هؤلاء الخليل، وسيبويه، والأصمعي، وأبو عبيدة، وابن فارس، ويرى هذا الفريق أن المشترك لا يؤدي إلى الإبهام لوجود القرائن التي تشعر السامع بالمراد، فإذا قيل مثلا: خالي ذو جاه بين قومه، عرف أن المقصود بالخال في هذا القول أخ الأم دون لبس أو مشقة.وقد لوحظ أن الفريق الذي نظر إلى أمثلة

---

[1]- الجدث و الجدف: القبر، والحثالة والحفالة: الرديئ من كل شيئ (اللسان مادة : جدف – حفل).

[2]محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:178.

[3]- رمضان عبد التواب فصول في فقه العربية، مرجع سابق، ص290/291.

[4]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص: 179.

[5]- هو عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه الفارسي النحوي المتوفى سنة 347هـ. عن المقتضب في لهجات العرب ص182

المشترك على أنها كلّها من الحقيقة والمجاز نظر إليها نظرة تاريخية، أما الفريق الآخر فقد نظر إليها نظرة تزامنية، إذ بحث في الكلمات ومعانيها في عصر خاص[1]. وعلى أية حال فالمشترك اللفظي حقيقة واقعة في اللغة ولا يمكن إنكاره.

7-2- التضاد:هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين، كالسّدفة للظلمة والضّوء، والنّاهل للعطشان والرّيان، والجون للأبيض والأسود، والجلل للعظيم والحقير، والسليم للسالم والملدوغ والصارخ للمغيث والمستغيث، وهو نوع من المشترك اللفظي،اختلف العلماء في وقوعه بين ناف له ومثبت.

ذهب فريق من هؤلاء إلى إنكار وقوعه في اللغة، وقالوا كما ذكر ابن الدّهان[2] في مقدمة كتابه الأضداد في اللغة:"ليس من الحكمة أن تقع الكلمة على الشيء وضده لما فيه من اللبس على السامع، والحكمة تقضي غير ذلك. ومن هؤلاء ابن درستويه الذي ألف كتابا في ذلك سماه ((إبطال الأضداد)) ففي المزهر: قال ابن درستويه في شرح الفصيح: النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا، وأنه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا إبطال الأضداد[3].

وذهب فريق من هؤلاء إلى إثبات وقوعه في اللغة والقول بكثرته فيها، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد، وسيبويه، وأبو الطيب اللغوي، وأبو علي الفارسي، وابن فارس، وأبو البركات بن الأنباري، والسيوطي، ولبعضهم فيه مؤلفات مستقلة من أشهرها كتاب الأضداد لابن الأنباري الذي أحصى فيه كثيرا من أمثلته.[4]

---

[1]- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ، مرجع سابق، ص193.

[2]- هو سعيد بن المبارك بن علي البغدادي الأديب النحوي المعروف بابن الدهان المتوفى سنة 569هـ.من مصنفاته الأضداد في اللغة (هدية العارفين:391/1).

[3]- المزهر في علوم اللغة للسيوطي: 396/1.

[4]- انظر: المصدر نفسه:397/1

أما قول النافين بأن التضاد يؤدي إلى اللبس على السّامع فقد ذكر في رده: أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فمن ذلك قول الشاعر:

كلّ شيء ماخلا الموت جلل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدلّ ما تقدم قبل(**جلل**) وتأخر بعده على أنّ معناه كل شيء ماخلا الموت يسير، ولا يتوهم ذو عقل أن الجلل هنا معناه عظيم.

وكلا الفريقين قد غالى في رأيه، وأسرف فيما ذهب إليه، فمن التعسف إنكار التضاد ومحاولة تأويل أمثلته جميعا تأويلا يخرجها من بابه، فبعض أمثلته لا تحتمل التأويل، ولم يكثر وروده في اللغة على الصورة التي ذهب إليها المثبتون له، فكثير من أمثلته يمكن تأويلها على وجه يخرجها من بابه.

ففي بعض الأمثلة استعمل اللفظ في ضد ما وضع له للتفاؤل كالمفازة للمكان الذي تغلب فيه الهلكة، فقد سميت بذلك تفاؤلا بالسلامة، و كالسليم للملدوغ، وبعضها استعمل في ضده للتهكم، أو اتّقاء التلفظ بما يُكره التلفظ به، أو بما يمجه الذوق، أو بما يؤلم المخاطب، كإطلاق العاقل على المجنون أو الأحمق، والأبيض على الأسود، والبصير على الأعمى[1]، فالتضاد واقع في اللغة ولكنه قليل[2]. و لا يختلف في نشأته عن ظاهرة المشترك اللفظي السالف الذكر.

1- **اختلاف اللهجات العربية**:لقد أدى تعدد القبائل واختلاف البيئات في شبه الجزيرة العربية إلى وجود أمثلته، لذا يقول ابن الدّهان في كتابه الأضداد في اللغة:"وأقرب ما يقال أن العرب شعوب وقبائل وبطون وأفخاذ وعمائر تتنوّع، والعربية إنّما هي مواضعة، فوضع بعضهم الجلل للشيء الحقير، ووضع بعضهم الجلل للشيء العظيم ، ونقلت النقلةُ ذلك عنهم". وقال بعضهم: "إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن تكون العرب أوقعته عليهما بمساواة بينهما، ولكن أحد المعنيين لحي

[1]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:182

[2]- انظر فقه اللغة : د. عبد الواحد وافي: ص194 وما بعدها.

من العرب والمعنى الآخر لحي غيره، ثمّ سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، فالجون، الأبيض في لغة حي من العرب والجون، الأسود في لغة حي آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر"[1]. وقد نسبت إلى تميم استعمال السّدفة بمعنى الظلمة، ونسب لقيس استعمالها بمعنى الضوء.

2- **الاستعمال المجازي**: للاستعمال المجازي دوره في إيجاد بعض أمثلة التّضاد ، فقد يكثر ويغلب استعمال اللفظ في معنى مجازي حتى يصبح في قوة استخدام اللفظ في حقيقته، كإطلاق لفظ الأمّة على الفرد.

3- **التطور الصوتي**: قد يلحق الأصوات الأصيلة للفظ ما بعض التغير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتي فيصبح متحدا مع لفظ آخر يدل على ما يقابل معناه[2]. ومن أمثلة ذلك قول بني عقيل : لمقت الكتاب ، أي: كتبته، وقول سائر قيس: لمقت الكتاب، أي : محوته، هكذا يبدو التّضاد في الفعل (لمق) غير أنّنا إذا عرفنا أن هناك فعلا آخر بمعنى الكتابة هو(نمق)، عرفنا أن بني عقيل قد تطور هذا الفعل الأخير في نطقها، فأبدلت النون لاما. والنون واللام من الأصوات المتوسطة في العربية، تلك الأصوات التي يحدث فيها الإبدال كثيرا، وبذلك صار الفعل (لمق) فتطابق مع نظيره بمعنى محا، وتولد التضاد بين المعنيين عن هذا الطريق، وقد رُوي عن أعرابي أنه قال عن كتاب: لمقته بعد ما نمقته، أي: محوته بعد أن سطرته[3].

7-3- الترادف:هو كما عرّفه أهل اللغة: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.

وحظيت ظاهرة الترادف في اللغة باهتمام العلماء من القدماء والمحدثين، فمنهم من كان حريصا على تلقي أمثلة لهذه الظاهرة من أفواه العرب وتسجيلها، كأبي زيد الأنصاري، فقد «حكى أبو حاتم

[1]- المزهر في علوم اللغة، سابق:401/1.

[2]- عبد الواحد وافي، فصول في فقه اللغة: ص198.

[3]- نفسه، ص307.

السّجستاني قال: حدثني أبو زيد قال: لأعرابي: ما المتكأكئ؟ قال: المتآزف قلت: وما المتآزف؟ قال: الحبنطئ، قلت: وما الحبنطئ؟ قال: أنت أحمق، قال السّيرافي[1]: وذلك كله القصير.

وقد أفردها جماعة بالتأليف كابن خالويه الذي ألف كتابا في أسماء الأسد، وكتابا في أسماء الحية[2]، والرماني[3] الذي ألف كتابا سماه (الألفاظ المترادفة) وعبد الرحمن الهمداني الذي ألف (الألفاظ الكتابية)، والفيروز أبادي صاحب القاموس الذّي ألف كتابا سماه: (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف).[4]

ومنهم من أنكر الظاهرة، ويرى هؤلاء أن أمثلة هذه الظاهرة ليست متحدة المعنى وإنّما بينها فروق فيه، فهي متباينة لا متفقة، ومن هؤلاء: ابن الأعرابي الذي يقول:"كلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كلّ واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله"[5]

يقول ابن فارس:"ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو السيف، والمهند، والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها معنى الأخرى، وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد وذلك قولنا سيف وحسام ومهند".[6]

المثبتون: هؤلاء يرون وقوع المترادف في اللغة، ولا ينظرون إلى أمثلته نظرة الفريق السابق، فهم لا يحاولون تأويل تلك الأمثلة أو تخريجها، ولا يرون تباينا بينهما في المعنى، ومن هؤلاء سيبويه فقد قال

---

[1]- هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى النحوي المتوفى سنة 368هـ.الأعلام(228/1).

[2]- المزهر في علوم اللغة للسيوطي:407/1.

[3]- هو على بن عيسى بن علي الرماني الأديب النحوي البغدادي المتوفي سنة 384هـ.(هدية العرفين :683/1).

[4]- في القاموس (س ي ف)قال الفيروزبادي :(السيف معروف)،وأسماؤه تنيف على ألف ، وذكرتها في الروض المسلوف و الجمع:أسياف، وسيوف،وأسيف)).المقتضب في لهجات العرب، ص:184

[5]- المزهر:399/1،400.

[6] - المقتضب في لهجات العرب، السابق ص:185

في كتابه: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين وهو نحو: جلس وذهب ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتّفاق اللفظين والمعنى مختلف كقولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير"[1]الذي يعنينا هنا قوله: (واختلاف اللفظين والمعنى واحد)، وهو المقصود بالترادف وقد تابعه المبرد في ذلك وغيره. ومن هؤلاء الأصمعي، فقد رُوي: أنّه كان يحفظ للحجر سبعين اسما؟.

والحق أنّ العرب كانوا منتشرين في شبه الجزيرة العربية وقد تضع قبيلة اسما لشيء، وتضع قبيلة أخرى اسما للشيء نفسه، فتتداخل اللغات بسبب الاختلاط فيأخذ هذا من لغة هذا وهذا من لغة هذا، فإنكار الترادف أو تثبيته فيه مبالغة.

أسباب نشأة الترادف: اختلاف اللهجات العربية، وذلك بأن تضع قبيلة اسما لشيء وتضع قبيلة أخرى اسما للشيء نفسه «من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان، ويختفي الواضعان أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر»[2]، لذا يقول ابن جني:«كلّما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هناك »[3].

إطلاق صفات على شيء ما، ثم تفقد هذه الصفات عنصر الوصفية مع مرور الزمن، وتصبح أسماء لا يلحظ الناطق باللغة ما كانت عليه أولا، لا سيما حين يراعي مفهومها في عصر معين، كإطلاق الصارم أو المهند على السّيف، فقد أصبح كل منهما يستعمل على ألسنة الشعراء ولا يعني بهما سوى المعنى العام المفهوم من السيف.[4]

[1]- انظر، سيبويه، الكتاب:24/1.

[2]- السيوطي، المزهر:1 سابق /405،406.

[3]- ابن جني، الخصائص:374/1.

[4] - المقتضب في لهجات العرب، ص:187

الاستعمال المجازي، فقد تستعمل بعض الكلمات استعمالا مجازيا في معنى من المعاني يطول العهد عليه فيصبح حقيقة، ويكون لهذا المعنى الجديد الذي انتقل إليه اللفظ بالمجاز لفظ آخر يستعمل فيه استعمالا حقيقيا، فتوجد كلمات مستعملة بمعانيها الأصلية الحقيقية جنبا إلى جنب مع تلك التي أخذت معانيها عن طريق المجاز. استعارة بعض الكلمات من لغات أجنبية كان للعرب في الجاهلية وصدر الإسلام اتصال واحتكاك بأهلها ، مثل الحرير والسندس والإستبرق ، والبحر واليم[1].

2- الترادف عند المحدثين: يجمع المحدثون من علماء اللغات على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر، ولكنهم يشترطون شروطا لابدّ من تحققها هي:[2]

1- الاتّفاق التام في المعنى بين الكلمتين على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة.

2- الاتّحاد في البيئة اللغوية، ومعنى هذا أن تنتمي الكلمتان أو الكلمات إلى لهجة واحدة، أو عدة لهجات بينهما ترابط قوى، فالترادف بمعناه الدقيق أن يكون للمتكلم الواحد في البيئة الواحدة الحرية في استعمال كلمتين فأكثر في معنى واحد، يختار هذه حينا و هذه حينا آخر، ما يسمح به مجال القول أو الأسلوب.

3- الاتّحاد في العصر، فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين، ومعنى هذا أن يكون اللفظان المعبران عن معنى واحد قد ثبت وجودهما في عصر واحد حتى يمكن أن يحكم بالترادف، فالمتنبي حين استعمل الصارم والبتار والهندي واليماني للسيف في زمانه، إنّما يعني بها السّيف ليس غير، وكان ذلك في عصر واحد، و هو ما اشترطه المحدثون.

4-ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر، وذلك كالجثل والجفل بمعنى النمل، فحين يقارن بين الكلمتين يلاحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلا والأخرى تطور لها، فهما في الحقيقة كلمة واحدة، ولذا لا يعد مثل هذه الكلمات من الترادف . هذه هي شروط الترادف عند

[1]- د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص182،183بتصرف.

[2]- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، مرجع سابق، ص:198

المحدثين، وإذا طبقت هذه الشروط على اللغة العربية اتّضح أن الترادف لا يكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة، وإنما يمكن أن يلتمس في اللغة النموذجية الأدبية.

وفي ختام هذا الفصل قدّم البحث قراءة نظرية وتطبيقية لقضية الازدواج اللّغوي في اللّغة العربية، ففي القسم النّظري تناول البحث قراءة لماهية الازدواج اللغوي، وتعريفاته المختلفة عالميا وعربيا، ثم تدرّج إلى مناقشة العوامل التي أدّت إلى ظهوره كظاهرة لغوية، منذ العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي إلى يومنا هذا، أما القسم التّطبيقي فكان في القراءات القرآنية و اللّهجات العربية القديمة والمعاصرة.

وبقي أن نشير إلى أنّه على الرّغم من الآثار السّلبية للازدواج اللّغوي كالاغتراب و اللا أمن اللغويين وهيمنة اللّغات العالمية في ظلّ العولمة وصراعها مع اللّغات القومية والمحلية فإنّ الازدواجية اللغوية أصبحت ضرورة في ظلّ القرية العالمية وتكنولوجيا الاتّصال.

الفصل الثّاني

التّواصل الاجتماعيّ

:

توطئة:

يقتضي منا منهج البحث اللّساني- في البداية- البدء بتحديد أهمّ المصطلحات وما تطرحه من قضايا و إشكالات على مستوى التّحديد والتّعريف، وما يترتب على ذلك من أفكار و رؤى و نظريات مختلفة ومتنوعة، إذ أصبح التّواصل من أهمّ الموضوعات التّي تستقطب اهتمام الكثير من الباحثين في دراسة السّلوك البشري، ذلك لأنّه لا يمكن تصوّر أيّ سلوك منظّم دون تواصل لفظي أو غير لفظي، لتصبّ هذه الأبحاث في نظرية قائمة بذاتها هي " **نظرية التّواصل** " ، إنّه لمن الصّعب العثور على تعريف واحد للتّواصل يضّم أغلب آراء الباحثين، والوقوف على بعض الأعمال التي وردت في الدّراسات والمعاجم العامة، يعطينا جانبا من هذا الاختلاف ، والسّبب في ذلك يرجع إلى أنّ التّواصل الإنساني أصبح حقلا معرفيا تتقاسمه العديد من المعارف والعلوم:(علم النّفس- علوم التّربية- علم الاجتماع – اللّسانيات- وغيرها)، ولذلك نجد تعريفات مختلفة ومتعدّدة باختلاف هذه الدّراسات وتعدّدها، يقول أحد العلماء: "يصعب إعطاء تعريف علمي أو أكاديمي للتّواصل، رغم أنّ الفعل "تواصل" له وجود في القاموس العادي"[1]. والتّواصل مبدأ مؤسس للمجتمع الإنساني، فهو الصورة المثلى لتحقيق التّعبير عن أغراض الإنسان، والتّواصل باللغة ينقله من العمومية إلى الخصوصية، حيث نكون أمام التّواصل اللغوي الذي يقع في إطار اللغة وباللغة؛ قصد تحقيق هدف معين، وهو يتم في بيئات مختلفة كالمؤسسة التعليمية والأسرة والمجتمع، كما أنّه التّواصل الشّائع في المجتمع الإنساني بحكم أن الظاهرة الكلامية ظاهرة إنسانية بالدرجة الأولى؛ فهو ممارسة ضرورية لقيام علاقات مادية ومعرفية بين الأفراد والجماعات.

أوّلًا: التّواصل الاجتماعي: التّواصل الاجتماعي يعني جميع أشكال التّفاعل والتّكامل المنبثق عن الإحسان، والرفق، والرّعاية، فالاتّصال اتّحاد الأشياء بعضها ببعض، و يُضاد الانفصال، ويُستعمل الوصل في الأعيان وفي المعاني، قال تعالى:﴿ **ويقطعون ما أمر الله به أن يُوصَل**﴾[2]، أمّا بخصوص

[1] – محمد إسماعيلي علوي ، التواصل الإنساني، دراسة لسانية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2013م ، ص 18.

[2]– البقرة ، 27.

التّعارف فكان الوسيلة المثلى في حياة الإنسان لأنّه خُلق لأجله أولًا وقبل كلّ شيء ، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[1].

فقد فسّر شهاب الدين الألوسي في روح المعاني هذه الآية بأنّ المراد من جعل النّاس شعوبًا وقبائل هو التعارف قائلًا: ﴿**لِتَعَارَفُوا**﴾علّه للجعل أي جعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضا فلتصلوا الأرحام ولتبينوا الأنساب، لا لتفاخروا بالآباء والقبائل[2].

من هنا فإنّ اتصال الناس بعضهم ببعض سلوك فطري وحاجة حيوية تقتضيها نزعة التّعارف وضرورات العيش، ناهيك عن كونه أسلوبا يمكن من خلاله ترجمة روح التّعاطف، وإبداء الرغبة في التّعاون مع الآخرين و إحداث التّواصل الاجتماعي بمعناه الواسع، فهو بهذا المعنى يمثل حركة دائبة ونشاطا اجتماعيا فريدا، بل يمثل حقيقة اجتماعية وطّدت العلاقات وحافظت عليها، و ما ينتاب العلاقات بين أفراد المجتمع من تعقيد، حيث تُطرح العديد من الأسئلة عن كيفية بناء العلاقات، وسُبل انصياع الإنسان وانقياده وطاعته، بعدما كان حرّا طليقًا يستمع إلى هواجسه، وينجذب لرغباته، ويعيش في صراع دائم مع أخيه الإنسان، ومع الحيوان، ومع الطبيعة وأهوالها، لذا يعتبر التّواصل حدثًا تاريخيًا في حياة البشرية لأنّه امتصّ غضب الإنسان، واستقرّ فكره، واطمأنت نفسه ، ولقد ساعد التّواصل الإنسانَ في بناء صرح مجتمع فعّال تحكمه تقاليد وعادات وأفكار وقيم، فغادر بهذا الحدث التّواصلي العجيب منطق التّسلط إلى منطق التّحاور والتّفاهم،وقد تناولت المعاجم موضوع التّواصل من عدّة أوجه مع تركيزها على العلاقة اللسانية المتّصلة باللّغة.

يتّضح أنّ للتواصل سياقات متعددة، وأنه إجمالا سلوك ملازم للبشر في كل تصرفاتهم فالمرء واقع في كل لحظة تحت تأثير مشاعره صامتة، أو بما يتبادله مع الآخرين من انفعالات أو انطباعات متباينة.

---

[1]- الحجرات، 13.

[2]- شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم وسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطيه، ج13 ط1، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص 13.

1-مفهوم التّواصل: قبل التّطرق لمفهوم التّواصل من النّاحية الاصطلاحية نعرض مفهومه اللّغوي.

1-1. التّواصل لغة:

جاء في لسان العرب أنّ أصل التّواصل من (وصل)، يقال: « وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران ... واتَّصَلَ الشّيءُ بالشيء: لم ينقطع ... ووَصَلَ الشيءُ إلى الشيء وُصُولاً وتَوَصَّل إليه: انتهى إليه وبَلَغه ... ووَصَّله إليه وأَوْصَله: أَنهاهُ إليه وأَبْلَغَهُ إياه. واصَلَ حَبْله: كوَصَله... والوُصْلة: الاتِّصال. والوُصْلة: ما اتَّصل بالشيء. قال الليث: كلُّ شيء اتَّصَل بشيء فما بينهما وُصْلة، والجمع وُصَل. ويقال: وَصَل فلان رَحِمَه يَصِلها صِلةً.وبينهما وُصْلة أَي اتِّصال وذَرِيعة...والتَّواصُل: ضد التَّصارُم»[1] وجاء في معجم مقاييس اللّغة بالرجوع إلى مادة وصل، فإنّ: «الواو والصاد واللام: أصلٌ واحد يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَعْلَقَه»[2]

وذكر الفيروز أبادي أنّ: «مادة (وَصَلَ): «وصل الشيءَ بالشيءِ وَصْلاً وصُلَةً وصِلَةً ووصَّلَهُ: لَأَمَهُ، ووصِلَكَ اللّهُ، بالكسر لُغَةٌ، وإليه وُصولاً ووُصْلَةً وصِلَةً: بَلَغَهُ وانتهى إليه. أوْصَلَهُ واتَّصَلَ: لم يَنْقَطِعْ»[3]. وقد ورد في قاموس محيط المحيط أن التّواصل في اللّغة:« ضِدّ الانفِصال، وَيُطْلَقُ عَلى أَمْرَيْنِ أحَدُهُما: اتِّحادُ النِّهاياتِ وَثانِيهِما كَوْنُ الشَّيءِ بِحَيْثُ يَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةِ شَيْءٍ آخَر»[4]. والوصل الرسالة ترسلها إلى صاحبك، والتّواصل ضدّ التّصارم"[5].و وصلته إذا أعطيته مالاً، والصّلة: الجائزة والعطية، ووصلت الصّيام بالصّيام، إذا لم تفطر أيّاما تبعًا"[6]. استنادا إلى ما سبق يتبين أن المراد بالتّواصل لغةً: الاقتران، والصّلة والالتئام، والجمع، والتّلاقي، والارتباط والتّأثير، والإبلاغ، والإعلام، والوصول إلى الشّيء، وبلوغ منتهاه، والتّواصل ضدّ التّقاطع، وضدّ التّدابر، وضدّ التّخاصم، و الهجر.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، حرف الواو، مادة وصل مج11، ج5، مصدر سابق ، ص726-728.

[2]- ابن فارس (أحمد بن زكريا القزويني)، مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج6، 1979 ص115.

[3]- الفيروز أبادي (مجدمحمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص1068.

4- البستاني (بطرس)، محيط المحيط، قاموس اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص973.

[5]- الزبيدي، تاج العروس، (85/31)

[6] -تهذيب اللّغة، للأزهري(165/12)

تشير المصادر في اللّغة العربية إلى هذا المفهوم بمصطلحين هما: المصدران "التواصل" على وزن التّفاعل، من الفعل تواصل على صيغة تَفَاعَلَ، ومصطلح"الاتّصال"من الفعل اتّصل على صيغة افتعل، وقد اشتهرت الصيغة الأولى في أربعة معان، من بينها: التّشريك بين اثنين فأكثر فيكون كلٌّ منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى ومن أمثلته: التّعاون والتّشاور، ومن المعاني الأخرى التّظاهر، وأمّا الصيغة الثانية: فقد اشتهرت في أكثر من معنى من بينها الاتّخاذ من الفعل اتّخذ، ومعناه الاجتهاد والطلب، كاكتسب واكتتب أيّ اجتهد وطلب الكسب والكتابة، ومن معانيها التّشارك كاختصم زيد وعمرو: اختلفا، ويؤكد هذه المعاني أيضا ما جاء في المعجم الفرنسي الصغير حيث يعتبر التّـواصل: «فعــل الاتّصال، وربط علاقة مع شخص أو شيء، والتّبادل والإخبار...»[1].

1-2- التّواصل اصطلاحا:

للتواصل تعريفات اصطلاحية كثيرة نذكر منها:

التّواصل: «هو عبارة عن نقل أو تبادل المعلومات بين أطراف مؤثرة بحيث يقصد به ويترتب عليه تغيير في المواقف والسلوكات؛ وبهذا يكون التواصل من أهم الظواهر الاجتماعية التي تندرج تحتها كلّ الأنشطة التي يمارسها الإنسان في حياته»[2].يشير هذا التعريف إلى عملية تبادل المعلومات، كما يشير إلى أهمية التواصل في حياة الإنسان.

– يعتبر التواصل تبادلا تفاعليا بين شخصين على الأقل، ويتم هذا التبادل عبر استعمال علامات لفظية وغير لفظية، ويتناوب الأشخاص على إنتاج واستقبال الرسائل[3].

يذكر التعريف السابق أهم سمات التّواصل الأساسية المتمثلة في التّفاعل المتبادل بين طرفي العملية التّواصلية حيث تكون اللّغة الشّفوية أو المكتوبة، وآليات التّواصل غير اللّفظي هي الأداة التّي تمرر من خلالها الرسالة ،كما أنّ المرسـل والمتلقي يتناوبــان في تقمــص الأدوار، وهــذا ما أشار إليــه "جان

[1] –Alayn Peyet, le petit Robert, Edition le Robert, Paris, 1987 p346.

[2]– محمد محمود مهدي، مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997 ص12.

[3]– طلعت منصور، سيكولوجية الاتصال، عالم الفكر، مج11، ع2، 1980، ص105-106.

كازنـوف"، إذ يرى أن التّواصل هو: «بمثابة نقل الرسائل، وتبادل لدوال بين ذات مرسلة وذات مستقبلة.»[1]

يعرف شارل كولي التواصل قائلا:« التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم، والحركات، ونبرة الصوت، والكلمات، والكتابات، والمطبوعات، وكل ما يشمله آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان»[2].

فالتواصل من خلال هذا التعريف هو جوهر العلاقات الإنسانية، ومحقق تطورها وأساسها الذي تبنى عليه ويتخذ شكلين: التواصل اللفظي ممثلا في اللغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة، والتواصل غير اللفظي، ويتمثل في الصورة والحركة والرمز، بمعنى أنّ كل سلوك في الحياة الاجتماعية يعتبر تواصلا، فإذا اعتبرنا في تفاعل ما أن كلّ سلوك ما هو إلا رسالة، وهذا يعني وجود تواصل ما، فذلك يتبعه أننا لا نقدر على أن لا نتواصل سواء أردنا ذلك أم امتنعنا، وسواء أكان نشاطا أم حالة خمول، كلاما أم صمتا، فإن كل شيء سيكون له قيمة الرسالة، كما في صراخ الطفل، فثمة سلوك يؤثر في الآخر، ولا يستطيع هذا الأخير ألا يحرك ساكنا إزاء ذلك الاتصال الحاصل، وآنذاك يحدث التواصل، كما أن عدم الكلام مع الغير أو عدم الاهتمام به لا يعتبر مستثنى من ذلك [3].

وقد ذكر فلامون (C.L.Flament) أن أنظمة التّواصل هي من أهم مؤلفات ومكونات الحياة الاجتماعية لأنّه بدون تواصل لن توجد أي فئة أو أي جماعة، و لو بقليل من التبادل الدال[4].

مما سبق ذكره يمكن القول، أنّه لا وجود للعلاقات الاجتماعية في غياب التّواصل، ومن أهم وظائفه:

- العلاقات الإنسانية.

---

[1] -Jean Cazeneuve, Les pôles de la communication, in l'univers philosophique 2eme ed, p.u.f, 1991, p265.

[2]- عبد اللّطيف الفارابي وآخرون: معجم علوم التّربية، العدد9-10، دار الخطّابي للطّباعة، المغرب 1994، ص43.

[3]- نور الدين رايص، سر التّواصل، التّعبير الشّفوي والكتابي، مطبعة أنفو، فأس، دط، دت، ص14-15.

[4] -Roger Mucchielli, réseau de communication, ED: E.S.F Paris, 1976, p32.

- التّفاهم؛ باعتماد الإرسال والاستقبال.
- التّبادل، تحقيق عملية الإرسال والاستقبال.

2-مفهوم التواصل الاجتماعي:

2-1-الاجتماع لغةً:

(الجيم والميم والعين)، أصل واحد يدلّ على تضام الشيء، يقالُ جمعت الشيء جمعًا، والجّماع الأشابة من قبائل شتّى [1]، وفلان جماع لبني فلان يأوون إليه ويعتمدون علي رأيه.[2]، وسُميت الجمعة جمعة، لاجتّماع الناس فيها. قال تعالى: ﴿ **إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه**﴾[3] أي أنّ هناك أمرا خطيرا اجتمع له الناس، فكأنّ الأمر جمعهم.

2-2-الاجتماع اصطلاحًا:

الاجتماع هو ذلك النسيج من الصّلات الاجتماعية، الذي تحدّده المنفعة، أو هو تنظيم الحياة المشتركة بين مجموعة من الأفراد في علاقات معترف بها فيما بينهم.

يُعرّف التواصل الاجتماعي بأنّه: « الأثر الذي يحدثه تدخل أو موقف شخصي ما على آخر في إطار حوار، أو على آخرين داخل الجماعة وذلك في الحالة التي يكون فيها ذلك الأثر باعثا على فعل معين لدى هؤلاء، ومثيرا في الوقت نفسه لردّ فعل الشّخص المتدخل، وهكذا»[4].

يذكر هذا التّعريف عناصر التّواصل والمتمثلة في: الشّخص في حالة التّدخل، أو الجماعة المتأثرة بالموقف أو التّدخل وموضوع التّدخل، وهذه العناصر هي بالترتيب: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة وبيّن هذا التعريف الكيفية التي يحدث بها التّفاعل، وهي الحوار بحيث تكون العلاقات التّواصلية متبادلة بين المرسل والمتلقي تضمن المشاركة الفاعلة لكل عناصر العملية التّواصلية، وهذا ما ذكره عبد

---

[1]- ابن فارس، مقاييس اللّغة، ج 1، ص 479.

[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تح مجمع اللّغة العربية، ج 1، 2004، ط4، ص115 .

[3]- النور ، الآية 62.

[4]- عبد اللّطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية، مصطلحات، مرجع سابق، ص168.

اللطيف الفارابي بقوله: «التفاعل داخل المجتمع متبادل بين أفراد الجماعة، أو بين فرد وجماعة بكاملها يقوم على نشاط متبادل، ومبادرة الأفراد، وتدخلاتهم، وأفعالهم، وردود أفعالهم»[1].

يبيّن هذا التّعريف الوضعيات التّواصلية في وضعية التفاعل، بين أعضاء جماعة فيما بينها، بمعنى أنّ الأدوار تكون موزعة على كلّ العناصر، إذ تمنح لكل واحد فرصة المشاركة في التّواصل والتّفاعل بين أفراد الجماعة.

ومن هنا يتبيّن أن التّفاعل مشروط في حدوثه بعملية التأثير والتأثّر التي تحدث بين شخصين أو أكثر في مجال العلاقات الإنسانية ومنها التّربوية، فلا يمكن تصوّر تفاعل بدون تأثير وتأثر، ولا يمكن حدوث التّأثير والتّأثر إلا بعد حدوث التواصل، كما لا يمكن الحديث عن التّأثر والتأثير إلا بحدوث الفهم والإفهام واعتراف كل واحد بالآخر، ويعرفه جون دبوى بأنه: «عملية المشاركة في الخبرة إلى أن تغدو مشتركة بين الجميع»[2].والتّواصل في المجتمع يعني كلّ أشكال التّفاعل والتّكامل. وبمعنى آخر يشمل جميع أشكال التّكافل والتّكامل، والشّعور بالآخرين و الإحساس بهم استنادا لمعنى (**صلة الرّحم**) و ما يتضمنه في طياته من معان وقيم.

3-أنواع التّواصل الاجتماعي: تقوم أنواع التواصل على علاقات تربط المرسل بالمستقبل، يتضمنها قصد تواصلي يمكن أن نلخصها فيما يلي[3]:

3-1-**التواصل الطبيعي**: ويشمل هذا النوع من التواصل علاقة الإنسان مع الإنسان، أو علاقة الإنسان مع الحيوان، أو العلاقة التي تربط الحيوان مع أفراد جنسه، وهي كلّها علاقات طبيعية ينتج فيها تواصل طبيعي.و الذي يعنينا في هذه الدّراسة هو التّواصل القائم على العلاقات البشرية وهي:

[1]- عبد اللّطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية، مصطلحات، مرجع سابق، ص163.

[2]- حسين حمدي الطوبجي، التكنولوجيا والتربية، دار القلم، الكويت، ط1، 1980، ص12.

[3]- يُنظر: نور الدّين رايص، سر التّواصل، ص28-29.

3-2 – **التّواصل الشّخصي**: هو عملية تبادل للمعلومات تحدث ما بين شخصين أو أكثر، وقد تحدث بين أفراد المجموعات الأكبر كفريق كامل ويستخدم البشر التواصل الشخصي في جميع تعاملاتهم مع الآخرين[1].

3-3– **التّواصل الجماعي**: وهو نوع من التواصل المباشر يتم ما بين مجموعات متجانسة تجمعها آراء أو رغبات محددة، ومن وسائله: المسرح، المباريات الرياضية، المسابقات الثقافية، المعارض، والندوات والخطب، فاللقاءات الرياضية، والمسابقات الثقافية أكثر وسائل الاتّصال الجمعي وضوحا من غيرها[2].

3-4– **التّواصل الجماهيري**: يشبه التواصل الجماعي لكنّه أعمّ وأشمل أنواع الاتّصال؛ لأنّه يتم بعدد كبير من البشر قد يصل إلى الملايين عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وتتفاوت هذه الأعداد الكبيرة في الميول والاتجاهات والثقافات فضلا عن الفروق الفردية بينهم والمكانة الاجتماعية، والمنزلة الشخصية، والمركز الاقتصادي ومستويات الذكاء، والقدرات، والاستعدادات، بالإضافة إلى انتشارهم في أماكن شتى متباعدة[3].ويتجاوز التواصل الجماهيري ليصل إلى القرى المعزولة، وبذلك يكون وسيلة تقارب ثقافي وفكري، كما أضحى من أهم وسائل التقارب السّياسي والاجتماعي.

4– عناصر التّواصل الاجتماعي:

لعناصر التّواصل الاجتماعي أهمية كبيرة في تحقيق أهدافه وتنمية مهاراته، وهي عبارة عن مجموعة مؤلفة من عناصر تتفاعل فيما بينها لتشكل نسقه العام وهي[4]:

4-1- **المرسل** (Destinateur): وهو مصدر الرسالة والطرف الأول في عملية التواصل، والذي يريد التأثير في الآخرين من خلال أفكار لديه، وقد يكون المرسل فردا، أو مجموعة أفراد، أو هيئة علمية، أو إعلامية، أو ثقافية، أو سياسية، أو غيرها تودّ أن تتصل بالآخرين وفق طريقة من

---

[1]– سعد بن بركي حمدي المسعودي، مهارات الاتصال، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 2007، ص135.

[2]– عبد العزيز عبد الستار تركستاني، مهارات الاتصال، دار المفردات، الرياض،2007، ص35.

[3]– ينظر: حبيب راكان وآخرون، مهارات الاتصال، دار جدة للنشر، جدة، 2004، ص86.

[4]– ينظر: رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية ،مستوياتها، صعوباتها)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2004 ص24.

طرق الاتصال اللغوية، أو غير اللغوية، ويعتبر المحرك للمرسل إليه؛ لأنّه مصدر الخطاب المقدَّم، إذ يعتبر ركنا حيويا في الدائرة التواصلية، وهو الباعث الأول على إنشاء خطاب يوجه إلى المرسل إليه في شكل رسالة[1].

«وهو الذي وقع الكلام بحسب أحواله عن قصده، وإرادته واعتقاده، وغير ذلك من الأمور الراجعة إليه حقيقة أو تقديرا»[2]، وقد اصطلح على تسميته بالباث والمخاطب.

و المرسِل هو الشخص الذي يقوم بتشفير الإرسالية، و يجمع مضمونها في توفيقات رمزية، ينطقها أو يكتبها، ولا يخفى ما تفترضه عملية النّطق من شروط، كالتحكم في النّظام الفونولوجي للّغة، وما يتطلبه التّعبير من تحكّم في الأنظمة الصّرفية، النّحوية والدّلالية، وهي نفس الشّروط التي تفرضها عملية التّعبير الكتابي، إلّا أنّ هذه الأخيرة تتطلب إضافة إلى ما سبق التحكم في طريقة الترميز المتواضعة، أي ترجمة الإرسالية إلى رموز خطيّة المتمثلة في الكتابة التي تُعدّ وسيلة من وسائل نقل الأفكار والمعلومات.

إن اللغة في شكلها المنطوق أو المكتوب بالنسبة للمتكلم معايير تراعى، وميدان حركة إذ هي وسيلة حياته في المجتمع، وباعتبار الكلام حركة فاللّغة نظام لهذه الحركة[3]؛ فداخل هذا النّظام يمكن للمتكلم أو المرسِل أن يبدع في اللّغة ضمن القوانين والقواعد التي تحكم هذا النظام، حيث « يمتلك القدرة على نقل أفكاره في أشكال وطرق متنوعة ، وعليه فإنّ الخاصية اللغوية يمكن أن تثير انفعالات متعددة ومتميزة تبعا للسّياق الذي ترِدُ فيه ، وينتُج عن ذلك أن نفس الانفعال يمكن أن نثيره بوسائل أسلوبية متعددة. وهكذا يكون تركيب الأسلوب وما ينتج عنه من أثر انفعالي مطابقا لخاصيّة الدوال والمدلولات في الدّراسة اللغوية، وبهذا تمتلك الأسلوبية سُبلها الخاصّة بها مثلما للُغة الخطاب هذه

[1]- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني، مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007 ص24.

[2]- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص44.

3- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب,ط3، 1998 ص: 32.

السبل الخاصّة بها أيضا»[1]، أمّا المتكلم فغايته إيصال الفكرة المعينة بأي لفظ يؤدي ذلك. وسواء هذا أو ذلك فلابد للمتكلم أن « يجتهد في ترتيب اللفظ وتهذيبه وصيانته من كلّ عاق دون الإبانة»[2].

ولهذا فاختيار الألفاظ يساعد المتلقي في فهم المرسلة الكلامية، وكذلك التحديد في معاني الكلمات وإعطائها الدلالة المناسبة إذ « الدلالة على الشيء لا محالة إعلامك السامع إيّاه، فإنّ الناس إنّما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده؛ فينبغي أن ينظر إلى مقصود المخبر من خبره وما هو؟ أهو يعلم السامع وجود المخبر به من المخبر عنه؟ أم أن يعلمه إثبات المعنى المخبر به للمخبر عنه؟، وهذا المفهوم تقتضيه طبيعة الرسالة إذ كان التأكيد على وجود المتكلم أو على وجود المتلقي.

فإذا اندفع المتكلم في الكلام مخبرا لزم أن « يكون قصده في حكمه بالمسند إليه في خبره ذاك إفادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار»[3]؛ فعمل المرسِل يستند إلى وجود مصدر يأخذ منه معانيه وأفكاره والصفات اللازمة للتعابير المختلفة، وهو المجتمع الذي يعيش فيه يحوي مجموعة من التقاليد، والعادات الاجتماعية، وله مستواه المعين سواء في الثقافة والعقائد والفكر.

وهذا ما يجعل الإنسان يتأثر بخبرته الاجتماعية ، وهو ما يعرف بالتعلم أو الخبرة المكتسبة ، كما أنّ الأفكار والمعلومات والمعاني لديه تتأثر بشخصيته المتمثلة في مكوناته الخاصة و ميوله وقيمه وحاجاته وانفعالاته . و هذه المقومات التي يكتسبها لها تأثير على ما لديه من أفكار ومعان ، وكل هذه العوامل تتأثر وتؤثر في معالجة الباث للأفكار من خلال العمليات العقلية والمعرفية مثل: التقييم، الحكم، الحذف، والربط ...الخ .[4]

---

[1]– د.محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ناشرون الشركة المصرية لونجمان، ط1، (1994)، ص، 221.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان،تعليق:محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1988، ص: 122، 123.

3 – أبو يعقوب يوسف، السّكاكي، مفتاح العلوم، منشورات الكتب العلمية الجديدة، بيروت لبنان، (دت)، ص: 81.

[4] – ينظر، د. أحمد ماهر ، كيف ترفع مهاراتك الإدارية في الاتصال، الدار الجامعية ، (2006) ،ص: 27،28 .

ولو نظرنا إلى المرسِل في الجانب التعليمي نجده «الجانب المسؤول عن توجيه الرسالة التعليمية بعد أن يهيئ الجو المناسب ، ويعد مضمون الرسالة إعدادًا كاملا بقصد الاستفادة منها، وذلك بتعديل السلوك أو الخبرات لدى المتلقي، وهو المرسل إليه، ويكون المرسل شخصا واحدا كالمعلم، والمرشد، وقد يكون جماعة أو منظمة كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم»[1]، وكل هذا حسب نوع الخبر المنقول، (الرسالة).

– **شروط المرسل**: يجب أن تتوّفر في المرسل عدّة صفات منها:

- وضوح الأفكار في ذهنه، والتّنويع في عرضها.ووضوح صوته عند الحديث.
- خبرته بالموضوع الذي يعالجه، وإعادة عرض الأفكار بتفصيل أكثر.
- التحكم في أنظمة اللغة، وضرب أمثلة تجعل من الرسالة محسوسة.

4-2- **الرّسالة** (Message):

الرسالة هي المحتوى الذي يريد المرسل نقله، ولكل رسالة مضمون هو عبارة عن الأفكار التي يراد التعبير عنها، بالإضافة إلى الرموز اللغوية أو غير اللغوية، وللرسالة عدّة خصائص منها:ترتيب الأفكار، ودقّة المفردات والعبارات، بالإضافة إلى بساطة التراكيب اللغوية.ووضوح المفاهيم والمصطلحات وقلة عددها، مع الاهتمام بمناسبة حجمها، فلا هي بالطويلة، ولا بالقصيرة.

4-3- **القناة** (Le canal): «فالقناة هي التي تسمح بقيام التواصل، وعبرها تصل الرسالة من نقطة معينة إلى نقطة أخرى»[2]، ويمكن تصنيف القنوات حسب مصادرها إلى قنوات لفظية أو كتابية. و للوسيلة عدة خصائص منها:

- دقتها في نقل الأصوات بالنسبة للحديث.
- عدم وجود مؤثرات جانبية(كتشويش).

[1]– محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (1988)، ص: 40،41.

[2]_ عمر أولكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص49.

– وضوح الطباعة بالنسبة للقناة الكتابية.

4-4– **المرسل إليه** Destinataire: وقد يكون فردا أو مجموعة أفراد، وهي الجهة التي تتولى فك رموز الرسالة وتفسيرها مستخدمة بعد ذلك الموقف المناسب إزاءها وقد يكون المستقبل في العملية التعليمية هو المتعلم.

– **شروط المستقبل**: تتم عملية التواصل لو توافرت في المستقبل عدة خصائص منها:

– سلامة حواسه في استقبال الرسالة .و قدرته على فك الرموز التي وصلت إليه.

– درايته باللغة التي يستقبل بها الرسالة. وخبرته بموضوع الرسالة.

– ألفته بالمرسل، ومعرفته لعاداته في الحديث أو الكتابة. ومعرفة قصدية الموضوع، و أفكاره.

4-5- **السّنن** Code: ويُعرّف السّنن على أنّه: «نسق القاعدة المشتركة بين الباث والمتلقي، والذي بدونه لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤوّل»[1]، وهو نظام مشترك بين المرسل والمرسل إليه، وعبره تنقل المقاصد من الأول إلى الثاني، وتحلل هذه الأنظمة من المرسل إليه؛ للوصول إلى الغرض التواصلي وهدف المرسل، كما أن السّنن هو: «القانون المنظم للقيم الإخبارية، والهرم التسلسلي الذي ينظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل والمرسل إليه كل نمط تركيبي، فمنه ينطلق الباث عندما يرسل رسالة خطابية معينة، حيث يعمل على الترميز (codage)، وإليه يعود كذلك عندما يستقبل رسالة ما، فيفكك رموزها بحثا عن القيم الإخبارية التي شحت بها (décodage)»[2]، فلكي يرسل المتكلم مرسلته فإنه يستحضر قانونا أو سننا (code) يفترض في متلقيه الغائب أو الحاضر أن هذا القانون المشترك متبادل بينهما، والتبليغ يشترط قناة فيزيائية: صوت، صفحة مكتوبة، حركة... تعمل على ربط الاتصال.[3] وبهذا فإن وجود السنن المشترك بين المتخاطبين يبيّن قصدية المتكلم، ويعين السامع على الفهم، ومن ثمة تستمر العملية التواصلية، وهذا ما يضمن ما يسمى بالتغذية الراجعة، والتي يقصد

[1]– المرجع السابق، ص48.

[2]– الطّاهر بومزبر، التّواصل اللّساني والشّعرية، مرجع سابق، ص28.

3– عبد الجليل مرتاض، اللّغة والتّواصل: الشفهي والكتابي، دار هومة للطّباعة و النشر، الجزائر، دط، 2000، ص87.

بها: «رصد التغيرات اللغوية وغير اللغوية التي يبديها المستقبل عند تلقيه الرسالة، والحكم على تأثير الرسالة فيه، ومدى فاعلية اللغة المستخدمة في توصيل المحتوى»[1].

4-6- **السّياق** contexte:لكل رسالة مرجع تحيل عليه، وسياق معين قيلت فيه، له أهمية كبيرة بما يتضمنه من إطار زماني ومكاني، وأهداف للعملية التواصلية، وغياب المرجع يؤدي إلى الشك والغموض وبالتالي التغير في التوقعات والاحتمالات، والسياق هو وضع مضمون الرسالة في سياق معين بحيث يشكل الموقف أو السياق الاتصالي، ويتضمن هذا السياق كل المكونات الثقافية والاجتماعية والفكرية، ويسمى أيضا بيئة الاتصال وتتمثل في السياق الذي يجري فيه الاتصال، وما يحتوي من متغيرات مؤثرة في عملية التواصل[2]، لهذا لا يمكن أن يعبر العربي مثلا عن مقامات ما في مجتمعات مختلفة غير عربية بالكيفية نفسها في مجتمعه العربي لاختلاف الثقافات، فالسياق بحركيته هو الذي يحدد مدلول العناصر اللسانية فيختلف المدلول باختلاف السياقات التي يرد فيها سواء من الناحية التتابعية الصوتية (مجاورة الكلمات لبعضها بعض)، أو من الناحية الزمنية والمكانية للموقف التواصلي (لكل مقام مقال)[3]و لكلّ حادث حديث.

5- أشكال التّواصل الاجتماعي:يقسم الخبراء التواصل الإنساني و الاجتماعي إلى قسمين كبيرين وهما: التّواصل اللّفظي والتّواصل غير اللفظي.

5-1-التّواصل اللّفظي:

حينما نقول التّواصل اللّفظي، فإنّنا نعني بذلك أنّنا اخترنا لأنفسنا أحد الأنظمة السيميولوجية الأكثر شيوعا في العالم من أجل التّواصل، بل إنّه أرقاها على الإطلاق، ذلك التّواصل الذي ترتبط سيرورته بفعالية الحوار ارتباطا تمليه اعتبارات حضارية، وتحركه عواطف وأحاسيس إنسانية، ذلك التّواصل الموجود عند الأبيض والأسود الذي يستغل فيه ملكته الفطرية، لتظهر في شكل لغات

[1]-محسن علي عطية، مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص77.

[2]-المرجع نفسه، ص71.

[3]- ميشال زكريا، الألسنية، علم اللغة الحديث، (المبادئ والأعلام)، مرجع سابق، ص211.

ولهجات، تتيح له القيام بعملية التّواصل، بينه وبين أفراد مجتمعه وفي ذلك يقول **سابير** sapir: "اللّغة هي وسيلة التّواصل المثلى بكل المجتمعات المعروفة."[1]، ويؤكد هذا الطرح **أندري مارتيني** بقوله: "وهذه الوظيفة تؤيدها اللّغات بالرغم من اختلاف بنيتها وتباينها فيما بينها."[2]

حيث لا ينفصل التّواصل اللساني في نظر اللسانيات عن الحدث الاجتماعي لأنه مهما كانت المجتمعات على اختلاف محمولاتها الثقافية وتفاوت أنماط عيشها، ودرجة تكوين مؤسساتها، وتباين أنظمتها السّياسية،إلا أنّها تشترك في الاتّصال والتّواصل والحوار، ومن هنا ندرك الفروق التي وضعها **دي سوسير** و**شومسكي** بين اللّغة والكلام من جهة، والكفاءة اللّغوية والأداء اللّغوي من جهة أخرى.

لقد أشار **دي سوسير** في هذه العملية التّواصلية بدارة الكلام، التي تعدّ نقطة ارتكاز في المشروع السيميائي لديه،"والذي وجد نفسه أمام الواقعة الاجتماعية "اللسان" التي تؤطر الكلام لأنه فعل فردي، بيد أنّ هذا الكلام لا يحقق الخصيصة التواصلية في غياب مواضعة قبلية تؤلف سنن النسق اللساني وبهاءه."[3]

إنّ التّميز بين اللّسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية بمعزل عن إرادة الفرد، والكلام من حيث هو عمل فردي يمارس فيه المتكلم قدرته التعبيرية للاتّصال بالآخرين هو في حدّ ذاته فصل "ما هو اجتماعي عما هو فردي، وما هو جوهري وأساسي عما هو تابع وعرضي."[4] فالتّواصل اللغوي لابّد أن يخضع فيه المرسل و المستقبل وبصيغة أخصّ، المتكلّم والمستمع إلى استعمال النظام اللغوي المتداول بينهما، وآنذاك يتمّ احترام القواعد الصّوتية والصّرفية والتّركيبية والدّلالية، وهذا ما تلقنه المتعلم طوال حياته الدّراسية منذ البدء، وتلقّنه العاميّ في حياته وسلوكه اللّغوي الموروث له عبر الزمن دون أن يشعر به، فإذا خرج عن هذه القواعد وهذه المستويات، فإنّ في المجتمع سلطة تردّه إلى الصواب.

---

[1]- عبد الحميد عبد الواحد، نظرية التواصل عند جاكسيون، مجلة الحياة، العدد 102 بيروت، فيفري 1999م، ص 24.

[2]- ميشال زكريا، الألسنية – المبادئ والأعلام – المؤسسة الجامعية للنشر ط2، بيروت 1983م، ص 853.

[3]- أحمد يوسف، سيميائية التّواصل و الحوار، المفاهيم والآليات، منشورات مختبر السيميائية، وهران ط1، 2004، ص22.

[4] -f. de saussure, cours de linguistique generale, p, 30.

وذكر أبو هلال العسكري أنّ أهمّ شيء يتأسس عليه التّواصل اللغوي هو المعنى الذي يدور حوله التشكيل اللّغوي، لذلك قال:" إذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك، وتذوّق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك، ليَقرُب عليك تناولها، ولا يتعبُك تطلّبها، واعمله مادمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور، وتخوَّنك الملال فأمسك ... والخواطر كالينابيع يُسقى منها شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الرّيّ، وتنال أَرَبَكَ من المنفعة."[1] فهذا القول يعكس الاستعداد الذي يجب أن يكون عليه المتكلّم باللّغة للإنجاز الرسالة، فالمعاني عنده هي أساس بناء الاتّصال مع اختيار كرائم الألفاظ، ويقدم لنا العسكري تصورًا جديداً على عكس ما كان سائداً عند سابقيه الذين ركزوا على اللفظ دون المعنى، ويضيف الجاحظ مؤسس مدرسة البيان بقوله: " من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإنّ حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقّهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجّنهما."[2] فالبناء اللّغوي لا يقوم على الجودة في اللفظ فحسب، بل لابدّ منها أيضا في المعاني.

ومن ثم نعلم أنّ النظام اللّغوي المتداول بين المتكلم والمستمع ينبني على التقابل والاشتراك في معرفة نظام العلامات، ليكون سندا قويّا لنجاح فعل التّواصل، تبعا لما اكتسبه كل واحد منهما من سلوك لغوي متجانس أخذه عن الآباء والأجداد – إن كان متكلما أصيلا في لغة ما – وقد يكون أخذه انطلاقا من الكتابة أو التلقين الشّفوي، لقد ساهمت اللسانيات الحديثة كباقي العلوم الأخرى في إثراء البحث التّواصلي من خلال مجموعة من الأعمال والنظريات التي قدّمها رواد المدارس اللسانية المختلفة، ولا سيما رواد المدرسة الوظيفية، في نظرياتهم وأفكارهم اللسانية "على اعتبار أنّها تأسست انطلاقا من نتائج العديد من الاتجاهات اللسانية التي اهتمّت بالجانب الإثنولوجي والسّوسيولوجي والتّداولي للّغة."[3]

---

[1]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، دار الفكر، دمشق ط 2، ص 139.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، بيروت دار الجيل، (د ت)، ج 1 ، ص 136.

[3]- علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1 ، 1998م، ص38-39.

يتميز هذا النوع باستعمال اللغة منطوقة كانت أو مكتوبة، «ففي هذه الحالة يشكل الاستماع والكلام العنصر الأساسي في العملية التواصلية، فيما تشكل القراءة والكتابة مهارتين أساسيتين في الحالة الثانية، وفي كلتا الحالتين فإن على طرفي العملية التواصلية إتقان هذه المهارات بهدف إنجاح التواصل، وإدراك الغاية من إقامته»[1]، بمعنى أنّ اللّغة بألفاظها منطوقة أم مكتوبة هي أداة التواصل اللفظي.

5-1-1-التّواصل الشّفوي:

إن الكلام هو ملكة خص الله بها الإنسان عن سائر مخلوقاته يوظفها من أجل التعبير عن أغراضه، قال تعالى: ﴿ **خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ٣عَلَّمَهُ ٱلبَيَانَ**﴾[2].

يعتمد التّواصل الشّفوي على أصوات ومقاطع وكلمات وحتى جمل ونصوص ، ويتم عبر القناة الصوتية السمعية حيث يتواصل متكلمو لغة إنسانية معينة فيما بينهم بسهولة ويسر، وذلك مرده إلى أن كلا منهم يمتلك ويستخدم في البيئة اللغوية عينها نسق القواعد نفسه، الأمر الذي يتيح له بسهولة استقبال وإرسال وتحليل المرسلات اللغوية كافة، هذا ما يحدث مبدئيا عبر ما نسميه شكل التواصل الكلامي (verbal)، وهو الشكل الأكثر انتشارا واستعمالا [3].

وفي التواصل الكلامي يخضع المتكلم والمستمع إلى قواعد استعمال النظام اللغوي المتداول فيما بينهما، وآنذاك يتم احترام قواعد المستويات الأربعة: الصوتية، الصرفية، التركيبة والدلالية، وهذه المستويات الأربعة يتلقنها الإنسان العادي في حياته وسلوكه اللغوي الموروث له عبر الزمن دون أن يشعر بذلك فإذا خرج عن هذه القواعد فإنّ في المجتمع سلطة ترده إلى الصواب بقولها:"قل ولا تقل" (dire et ne pas dire)فالنظام اللغوي المتداول بين المتكلم والمستمع ينبني على التقابل والاشتراك في

[1]- المصطفى عمراني، التّواصل اللفظي وغير اللفظي في المجال البيداغوجي، مجلة علوم التربية، العدد 13، 2008، ص35.

[2]- الرّحمن، الآية 2.

[3]- محمد نادر سراج، التّواصل غير الكلامي بين الخطاب العربي القديم والنّظر الراهن، الفكر العربي المعاصر، لبنان، العددان 81-82، 1990، ص84.

معرفة مستوياته اللغوية إن بالتلقين، أو بطريقة أخرى[1]، بمعنى أنّ الاشتراك في معرفة المرسل والمستقبل بنظام العلامات المستعمل سند قوي لنجاح فعل التواصل وفاعليته.

ويتضمن الكلام عمليتين أساسيتين هما:

أ- عملية انتقاء بعض الكلمات داخل السّنن، أي داخل الذخيرة المعجمية للغة، أي اختيار معين لكلمة من بين كلمات أخرى ممكنة، ويعني ذلك استبدال كلمة بأخرى، فمثلا: يمكن أن نستبدل كلمة "دار" بكلمات أخرى مثل: "كوخ، منزل، مسكن ...، فكل هذه الكلمات تنتمي إلى نفس المعجم (lexique)، وإلى نفس الحقل الدلالي إنها تمثل اختلافات لكن يمكن أن تعوَّض إحداها الأخرى لأنها قابلة للاستبدال، وتقع على نفس المحور[2].

ب- عملية التأليف في وحدات أو في مجموعات معقدة أكثر فأكثر، حيث يتم الانتقال من الأصوات إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى الجمل، ومن الجمل إلى الخطابات، وهذه الروابط ذات التعقيد التصاعدي محكومة بالقوانين الفونولوجية والنحوية والتركيبية للغة[3]. فالتأليف هو تجميع الوحدات اللسانية حيث يأخذ كل عنصر قيمة مما سبق ومما يليه، وترتبط هذه التأليفات بالعلاقات التركيبية بين الكلمات ومجموع الكلمات الأخرى التي يمكن أن ترتبط بها طبقا للقواعد النحوية وسياق الجملة.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ المحادثة تعتبر شكلا من الأشكال الكلامية التي تجمع بالضرورة بين متحدثين أو أكثر، فهيّ عبارة عن: «تفاعل شفهي وخطاب حواري وحوار في الوقت نفسه، بحيث يخضع لقيود التسلسل البنيوي والتفاعلي للتبادلات التي تكونه»[4]، وبذلك تكون المحادثة عبارة عن تبادل وتفاعل وحوار بين طرفين أو أكثر، بحيث تكون خاضعة إلى نظام مقيد بالتسلسل البنيوي والتفاعلي، وتحكمها مبادئ هامة :

---

[1] – نور الدين رايص، سر التواصل، مرجع سابق، ص95.

[2] – جاكسون، مونان، ميبكي، هابرماس وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، مرجع سابق، ص204.

[3] – ينظر: جاكسون، وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، ص202.

[4]- Christian Baylon, Xavier Migno, la communication, Nathan, paris,1999, p195.

أ– لا توجد محادثة إلا وتخضع لشرط التعاون المتمثل في المشاركة بين طرفي العملية التواصلية، فالسّامع عليه أن يساهم في نجاح العملية التواصلية بإصغائه الحسن، وتدخلاته في إعانة المتكلم لتوضيح مقصديته من حين لآخر، فإذا ما حدث وشرد ذهنيا وأعرض عن السمع الفعلي واكتفى بالحضور الجسدي، فمن حق المتكلم أن يعيده إلى جو التواصل بألفاظ كثيرة.

ب–كي يكون الكلام معقولا من حيث الانسجام على المستوى التركيبي والمستوى الدلالي، لابد على المرسل أن يأخذ بعين الاعتبار أحوال المرسل إليه الذي قد لا يكون مطلعا على الألفاظ المتخصصة التي يتكلم بها؛ مما يحتم عليه تحاشي استعمالها.

ج– وهناك مبادئ أخرى[1]: فلا يكون الخطاب مجرد كلمات غير هادفة، لأنّ المتكلم لا يتحدث عبثا، فالناس في محادثتهم وتواصلهم اليومي يرمون من وراء ذلك إلى تحقيق أغراض، وقضاء حاجات تتنوع تبعا للوضعية التواصلية، وللأطراف المتواصلة شرط أن يكون الكلام إخباريا، أو يأتي بجديد لا يعرفه المخاطَب.

د–وأخيرا مبدأ الصدق و ينطلق هذا المبدأ من مقولة: لا تقل ما تعتقد أنه خطأ لتفادي الكذب على المستمع.

والجدير بالذكر أنّ كل رغبة للتواصل الكلامي تقتضي باثا يرسل رسالة في اتجاه مرسل إليه، ولكن ليس بالضرورة أن يكون المرسل إليه حاضرا دائما، فقد يكون في بعض الأحيان مفترضا، خاصة حين يكون الخطاب شفويا.

5-1-2-التّواصل الكتابي:

الكتابة هي الشّكل الثاني في عملية التواصل بعد المشافهة، وهي أحفظ للرسالة، ونستدلّ بقول الجاحظ في هذا السّياق: «اللّسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب...

[1]- الطيب شيباني، استراتيجية التواصل في تعليم اللغة العربية (دراسة تداولية)، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2011، ص22-23.

والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره»[1]. و مثله ابن خلدون في الكتابة والخطّ: «الخط رسوم وأشكال حرفيّة تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية،وهو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان، وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر، وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضى الحاجات ... ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه عن علومهم وأخبارهم»[2].

نستنتج من خلال هذين النصين أنّ الكتابة من أهم الانجازات التي حققتها البشرية خلال تاريخها الطويل، وقد تغلب بها الإنسان على عائق البعدين المكاني والزماني من أجل التواصل مع الآخرين.

1- عناصر التّواصل الكتابي:

إنّ نجاح التّواصل الكتابي مرتبط بتوفر شروط في عناصر العملية التّواصلية من كاتب، وقارئ، ورسالة وسنن، وسياق، وقناة، وفيما يلي تفصيلها:

أ- **الكاتب**: للكاتب الوقت الكافي لإعادة واستبدال تراكيبه وكلماته، لأنّ القارئ يتوقع في النّصوص المكتوبة تنظيما أكثر ضبطا، إذ يكون لدى المنتج وقت للكشف عن إعداد كفء ومؤثر[3]، فعلى الكاتب أن يختار من الكلمات التي يرى فيها القوة لإحياء نصه عبر الزمن المختلف التالي لإنتاجه.

ب- **القارئ**: هو شريك الكاتب في العملية التواصلية، وذلك بحضوره الحتمي زمن الكتابة من حيث: جنسه، سنه، ومستواه الثقافي، ومنزلته في المجتمع، وإن كان هذا الحضور خفيا في ذهن الكاتب ثم يظهر بصفة فعلية زمن القراءة عند تلقي الكتاب (الرسالة)، ويكون عمله عكسيا من المنتوج المحسوس

[1] – الطيب شيباني، استراتيجية التواصل في تعليم اللغة العربية، المرجع السابق، ص45.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ج1، ص237.

[3]– روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص423.

سعيا منه الوصول إلى المجرد الذهبي، أو القصد الذي أراد الكاتب إيصاله له، فإن لم يصل إلى فكرة الكاتب، واكتفى متلقيه بالتفاعل مع النّص فقط، فلا يعدو عمله هذا تواصلا بل تأويلا فحسب لأنّ تفاعل المتلقي بالباث تواصل، وتفاعل المتلقي بالنص تأويلا[1].

ومن هنا يمكننا القول أن مسألة حياة المؤلف تبقى بيد القارئ، يقتله بالقراءة السلبية، ويحييه بالإيجابية.

ج– الرّسالة: هي الجانب المحسوس للنّص المنتج الّذي «يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا، نثرا أو شعرا حوارا أو مونولوجا، ويمكن أن يكون أيّ شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها، من استغاثة حتىّ مجموع المناقشة الحاصلة طوال اليوم»[2] ، فهي اللّفظ في التّواصل الشّفوي، والكتابة في التّواصل الكتابي.

د– السّنن: سنن التّواصل الكتابي هو العلامة اللّسانية الّتي تكون مشتركة بين المرسل (الكاتب)، والمرسل إليه (القارئ)، كما أنّها المسؤولة على حفظ وحمل المقاصد، فهيّ تخضع لها عملية إنتاج الرّسالة وتوصيلها، فالشّفرة نسق من العلامات يتحكم في إنتاج رسائل يتحدّد مدلولها بالرّجوع إلى النّسق نفسه، وإذا كان إنتاج الرّسالة هي نوع من التّشفير؛ فإنّ تلقي الرّسالة وتحويلها إلى المدلول نوع من فكّ التّشفير، عن طريق العودة بالرّسالة إلى إطارها المرجعي[3].

هـ– السّياق: الكاتب النّاجح من يختار السّياق المناسب للكتابة، إن لم نقل أنّ السّياق هو الّذي يجبره على فعل الكتابة، «فالمكتوب الّذي يعبّر عن حقيقة المضمون، هو ما أنتج في سياق ملائم؛ لأنّ مدار الشرف وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقال من مقام؛ لهذا نجد أروع قصائد الرّثاء تلك الّتي قيلت من ذوي المرثي، وفي أشدّ لحظات الحزن، والشّيء نفسه في موقف الفرح، وغيرها من المكتوب، فمن حاول إبعاد السّياق أثناء الكتابة كمن يحاول ترويض الكلمات

[1]– ينظر، إدريس بلمليح، القراءة التفاعلية، دراسة لنصوص شعرية حديثة، دار توبقال، المغرب، ط1، 2000، ص98.

[2]– محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص13.

[3]– عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي، جدلية الإبداع والتلقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005 ص14.

وجعلها في أماكن لا تليق بها، وهذا ما نبّه إليه الجاحظ في قوله: «فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنّزول في غير موطنها»[1].

كما يجب على الكاتب أن يولي اهتماما للقراء وطبقاتهم،كما يفعل المتكلّم الّذي ينبغي عليه: «أن يجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[2].

و– القناة: على المرسل (الكاتب) أن يهتم بلغته، لأنّها الحامل المادي لمقاصده، فمتى اكتملت الآلة (الكلمة) وصل المعنى إلى القارئ، ونجحت العمليّة التّواصلية، بل يجب أن يكون هذا الاهتمام الشّغل الّذي يشغل ذهن المتكلّم والكاتب، أي جعل ما يقوله (يكتبه) واضحا قابلا لأن يفهمه الآخرون دون عناء كبير ودون إلتباس أيضا[3].

فكلّ كاتب عليه: «أن يجعل الخفيّ ظاهرا، والغائب شاهدا، والبعيد قريبا، والمهمل مقيّدا والمقيّد مطلقا والمجهول معروفا، والوحشي مألوفا، والفضل موسوما، والموسوم معلوما، وعلى قدر وضوح الدّلالة، وصواب الإشارة وحسن الاختصار، ودقّة المدخل سيكون إظهار المعنى»[4]فالكتابة تبحث عن المعنى فمتى وجدته، وأحسنت تخريجه نجحت، ومتى أقصته فشلت.

من خلال ما سبق يمكن أن نستخلص مميّزات التّواصل الكتابي فيما يلي:

أ– أنّه أقلّ عمومية من التّواصل اللّفظي، فهو يوجد عند المتعلّمين دون سواهم.

ب– حديث ظهر بعد اختراع الكتابة.

ج– يعمّر أكثر من التّواصل اللفظي .

د– لا يمكن أن نتواصل عبره إلاّ من خلال الرّؤية، باستثناء كتابة المكفوفين.

---

[1]– الجاحظ: البيان والتبيين، مصدر سابق، ص76.

[2]– نفسه، ج1، ص77.

[3]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مرجع سابق، ص48.

[4]– الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج1، ص26.

هـ- متعدّد الأشكال والوسائل، فالأشكال كالرّموز، والرّسومات والأحرف، والوسائل كالقلم والورقة والتّلغراف.

و- أكثر إبلاغا لأن الكاتب يأخذ الوقت الكافي في التّعبير عما يريد أن يقوله.

من خلال ما سبق ذكره حول هذا النوع من التواصل يمكن القول: ليكون التواصل فاعلا لابد من معرفة بنية اللغة الموظفة بما في ذلك القدرة اللغوية كغاية ومهارة، وما يساعدها من أنظمة غير لغوية كالنظام التّطريزي والنّظام الحركاتي والنّظام التّجاوري، إضافة إلى ذلك معرفة متغيّرات الباث والمتلقي، مع مراعاة سياق التّخاطب، وكذا معالجة المعوقات التي تعترض سبيل العمليّة التّواصليّة

5-2-التّواصـــل غير اللّفظي:

التّواصل غير الكلامي جزء جوهري في السّلوك اللّغوي، فالصّوت وإن كان هو الأبرز والأكثر استعمالا، فهو ليس الوسيلة الوحيدة للتّواصل، فهناك وسائل كثيرة غير لفظية يستخدمها المتكلم أو تصدر عنه بهدف نقل الأفكار أو المشاعر، أو بهدف المساعدة على نقلها أو الدقة في التعبير عنها[1].

يسمى عند اللّسانيين بالعناصر المساعدة للكلام[2](paralinguistique).

فرغم أننا نتكلم بجهازنا الصّوتي لكننا نتحاور بجسدنا كله، فمساعدات الكلام تظهر موازاة مع اللّغة المنطوقة وتندمج معها، ويؤلفان سويا نسقا متكاملا للتواصل، ودراسة سلوك مساعدات الكلام يشكل جزءا من دراسة التّحاور، فلا يمكن أبدا أن نفهم استخدام اللّغة المنطوقة في التّحاور إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار مساعدات الكلام.

5-2-1- **مساعدات الكلام**: إنّ للتنوعات الصوتية فوق المقطعية أو ما تعرف بالملامح غير التركيبية تفرعات صوتية تمثل ظواهر الكلام وهي: المقطع، النبر، التنغيم، المفصل، فهي ملامح صوتية

[1]- أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجتمع، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 119.

[2]- ينظر: نور الدين رايص، سر التواصل، مرجع سابق، ص99.

لها أثر في الصوت ولا وجود لها في خطية التركيب اللغوي. وإدراج المقطع مع هذه الملامح إنما لتسهيل دراسة النبر ومواقعه، فهما متلازمان فلا حضور لأحدهما إلاّ بوجود الآخر.ومن مساعدات الكلام[1]:

– **التّطريز**: يحدده أندري مارتيني بقوله: «إنّ الطّبيعة الفيزيائية للظواهر التّطريزية تضم تحتها جميع الظّواهر التي لا تدخل في إطار التّحليل الصّوتي، أي لا تخضع بشكل أو بآخر إلى التّقطيع الثّنائي ومن الوجهة الفيزيائية نعني بها بشكل عام تلك الظّواهر الصّوتية التي توجد بالضرورة في جميع أشكال الكلام المنطوق، وسواء تكلم المرء بشدة ملحوظة أم ضعيفة فإن هذه الظواهر موجودة بدرجة تزيد أو تنقص وحالما يصبح الصوت مسموعا يكون لاهتزازات الأوتار الصوتية –بالضرورة– ذبذبة معنية، وهناك خاصية أخرى يمكن الاستفادة منها نظريا هي المد (la durée)، مع العلم أنها تشكل جانبا فيزيائيا من جوانب الكلام المنطوق، وهو جانب لا يمكن تجاهله؛ لأن الأقوال تتوالى عبر الزمن، وبما أن الأمر على هذا الحال يصبح مفهوما لدينا أن هذه الظواهر لا تؤدي دورها لغويا من خلال وجودها أو عدمه عند نقطة معينة من الكلام بل من خلال أشكال ظهورها، وهي أشكال تختلف من جزء لآخر من أجزاء الكلام، ونتيجة لذلك كانت هذه الظواهر (كالغنة والانسداد الشفوي) التي قد تظهر أو تختص في قول من الأقوال أن جملة "صنع القدر على الطاولة" ليس فيها غنة ولا انسداد شفوي، ومع ذلك لا يستطيع المرء إصدار مثل هذا الأمر دون أن يستخدم عن قصد أو دون قصد عنصر المد من جانب آخر علما بأن هذين العنصرين الآخرين يتغيران من بداية القول إلى نهايته، ومع ذلك تشكل النغمات وحدات مقطعية شأنها في ذلك شأن الوحدات الصوتية»[2].

وقد أشار أندري مارتيني إلى أنّ للتطريز دورا هامشيا حيث قال: «لكنّها تظل ظواهرها هامشية؛ لأن أي قول من الأقوال لا يكون لغويا بقدر خضوعه للتّقطيع الثّنائي»[3]، إلا أنّه يتراجع عن هذا الموقف عندما تحدث عن التّنغيم قائلا: «... لا يستطيع المرء أن ينكر على التّنغيم كل قيمة

[1]– ينظر: نور الدين رايص، سر التواصل، مرجع سابق، ص99.

[2]– أندري مارتيني، مبادئ اللسانيات العامة، تر: أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، دمشق، سوريا، 1985، ص 76.

[3]– نفسه، ص96.

لغويّة»[1].

كما أنّ التّداوليين أدركوا أن لها مكانة خاصة في تحليل الرّسالة، ومن ذلك ما قاله أوستين: «ونظير ما تتوفر فيه من وسائل جد معقدة، وما يستخدم في السّينما والمسرح من إعطاء توجيهات إلى الممثلين لتحسين أصواتهم وحركاتهم، وأوضاعهم، وضبط انفعالاتهم، كتعليمهم كيفية النطق بالتهديد»[2].ويميز علماء الصوتيات بين عدة أنواع من الوحدات غير اللغوية (فوق المقطعية) منها:

أ– النّبر والتّنغيم:

– النبر: إنّ مفهوم النبر عند أصحاب المعاجم العربية نجده يوافق "الهمز". جاء في مادة (نبر):« النبر بالكلام: الهمز: وكل شيء رفع شيئا، فقد نبره، والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزه ... والنبر عند العرب ارتفاع الصوت، نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو، والرجل الذي ينبر يسمى نبّارا هو فصيح الكلام وبليغ فيه» [(3)].

فعرفت العربية النبر وعبرت عنه بمسميات عديدة كالهمز، الرفع، المد، الإشباع، مطل الحركات...وهذه المصطلحات تعني بروز في الصوت واستطالة في مقطع معين.

وقد اختلف العلماء حول وجود هذه الظاهرة (النّبر) في اللغة العربية من عدم وجودها، إذ لم يكن معروفا في القدم كما هو الآن، وهذا ما ذهب إليه بعض المستشرقين أمثال: "بوجيستراس "حيث جاء في قوله: « إنه لا نص نستند عليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن و ما يتضح من اللغة نفسها ومن وزن شعرها إن الضغط لا يوجد فيها ، وذلك أن اللغة

[1]– نفسه، ص 105.

[2]–Austin.J.L,quand dire c’est faire, traduction et introduction de Gilles lane ED, seuil, paris, 1970, p94.

[3] – لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (نبر)، مج 3 ، ص:566.

الضاغطة كثيرا فيها حذف حركات الغير...وإذا نظرنا إلى اللهجات العربية الدارجة ...فالضغط في بعضها قوي وفي بعضها متوسط.» [1].

فهذا النص يفرق بين اللغة الفصحى واللهجات الدارجة، سواء أوُجِد النبر قديما أم لم يوجد ، فهو ينفي وجوده في اللغة الفصحى ويثبته بقوة في العامية ، وليس هناك فوارق بين الفصحى واللهجة العامية إلا أن الفصحى تخضع لقواعد وضوابط أثناء النطق والكتابة كالضم والكسر والفتح والفعل والفاعل ...الخ ، أما الثانية فلا قيود لها .

وقد جاء رد "رمضان عبد التواب"عن ذلك إذ بيّن أنه « ليس لدينا ما نستند إليه في معرفة حال النبر في العربية القديمة فهذا صحيح، وأما أن العربية لم يكن فيها نبر فإننا نشك في ذلك» [2].

فالنّبر يراد به الضّغط على أحد المقاطع وإبرازه بالنسبة للمقاطع الأخرى المجاورة له، ويتم ذلك بتغيير في قوة المقطع المعني أو ارتفاعه أو مدّته، فعند النّطق به يلاحظ أن جميع أعضاء النّطق تنشط بحيث يصبح الصوت واضحا في السّمع[3]، وقد عرفه أندري مارتيني بقوله: «إنه إبراز مقطع صوتي فيما يسمى بالوحدة السّرية، وهذه الوحدة هي في معظم اللغات ما يدعى عادة الكلمة»[4].

أما التّنغيم فيعتبر من الفونيمات فوق التركيبية التي تصاحب نطقنا للكلمات والجمل،ويعني المصطلح الارتفاع أو الانخفاض في طبقة أو درجة الصوت، ويرتبط هذا الارتفاع والانخفاض بتذبذب الوترين الصّوتيين اللّذين يحدثان النّغمة الموسيقية، أي أن التّنغيم بهذا المفهوم يدل على العنصر الموسيقي في نظام اللغة[5]، فهو صفة مصاحبة للصوت يجعل من هذا الأخير أكثر مرونة وأحسن أداء، وبفضله يميز بين مختلف الأساليب المستعملة في الخطاب الشفوي، وهو يختلف من سياق لآخر، وهو

[1] – عبد الواحد حسن الشيخ، التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه ، ص: 127 .

[2] – د. رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي، ص: 127 .

[3] Voir:Austin.J.L,quand dive c’est faire, p109.

[4] – أندري مارتيني، مبادئ اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص89.

[5] – ينظر: صبيح التميمي، دراسات لغوية في التراث القديم، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2003، ص163.

بذلك يحدد الوظيفة التّواصلية للجمل المنطوقة، بحيث تفهم معانيها من خلال سياق ورودها، ويسميه "إبراهيم أنيس" موسيقى الكلام[1]، وينعته محمد السّعران بقوله: «المصطلح الصّوتي الدّال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام»[2].

ويقول حسام الدين كريم في هذا الباب: «فإذا كانت اللّغة في جوهرها وسيلة للتّواصل، فإن الأداء الصّوتي للكلام (performance) يساهم بدور كبير في تحديد مفهوم الرّسالة اللّغوية في مثل قول أحدهم: (اسمع يا فلان)، والذي قد يتحول من مجرد عبارة عادية إلى توجيه التّهديد، أو تقديم النّصح، وقد تتحول عبارة (مع السّلامة) من دلالة التوديع إلى دلالة الطرد أو السخرية»[3].

وفي جملة "الله أكبر" يمكن أن تؤدى في تنغيمات صوتية مختلفة ففي التعجب نقول: "الله اكبر!" وذلك عندما يقوم شخص ما بعمل نستنكره، وفي النداء للصّلاة ننادي: "الله اكبر"، وفي التّأسف والحسرة على وفاة شخص ما نقولها أيضا، كما نستعملها في الاستنكار عندما نستنكر قول شخص كاذب، وذلك بتنغيم يختلف الواحد منه عن الآخر وفي سياق ينبئ بذلك[4].

وفي نفس السياق نجد تمام حسان في كتابه اللّغة العربيّة معناها ومبناها: «إنّ للنّغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضّح في صلاحية الجمل التّأثيرية (exclamtory sentences)المختصرة نحو: (لا، نعم، يا سلام، الله... الخ) لأن تقال بنغمات متّعددة، ويتغيّر معناها النّحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعان مثل الخوف، والفرح، والشّك، والتأنيب، والاعتراض والتّحفيز وهلم جرا، حين تكون النّغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين هذه المعاني؛ لأنّ الجملة لم تتعرض لتغيير في بنيتها، ولم يضف إليها أو يستخرج منها شيء، ولم يتغير فيها إلا التنغيم، وما قد يصاحبه من تغيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية»[5]، كما نجده يقرنه

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص176.

[2]-محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، مصر، 1962، ص 210.

[3]-كريم زكي حسام الدين، الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1 1992، ص84.

[4] – نور الدين رايص، سر التّواصل، مرجع سابق، ص 102.

[5]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص228.

بالكلام المنطوق، ويماثله من حيث الأهمية بالترقيم في الكلام المكتوب في قوله: «غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة»[1]. ويضرب لنا أوستين أمثلة على ذلك يبيّن فيها ما يحدثه التغيير والتلوين الصوتي على مستوى الدلالة في التّواصل الشفوي قائلا[2]:

- سيهاجم ⟵ إنذار.
- سيهاجم؟ ⟵ سؤال.
- سيهاجم ! ⟵ احتجاج.

فالتّنغيم ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات، لها دور فاعل في التقرير والتوكيد، والتعجب والاستفهام والنّفي والإنكار والتهكم، وغيرها من أنواع الفعل الإنساني، كالغضب، والفرح، والحزن عن طريق التّلوين في الدرجات التنغيمية بمستوياتها العليا والمتوسطة والهابطة، وهي ظاهرة تؤثر في تغيير الدلالة دون أن تتغيّر المفردات.

ب**– اللّحن أو النّغم**: إنّ نغمة الصوت تساهم بشكل كبير في تحديد سمات الشخصية التي نسمعها حتى ولو لم تمثل أمام أعيننا، إنّنا نستطيع أن نتعرّف على جنس المتكلّم رجلا أو امرأة من خلال الصّوت، حيث يتميز الأوّل بالخشونة، ويتميز الثّاني بنعومة وحدته، ويمكن أن نتبيّن عمر المتكلم من أدائه الكلامي، ونعرف عمّا إذا كان طفلا أو شابا أو شيخا[3]، وبفضل نبرات الصوت نستطيع أن نحدد سمة وملامح الشخصية التي نتواصل معها، وقد نكتفي بنبرات الصوت لنعرف الشّخصية المتخاطب معها، كما يحدث أثناء التواصل عبر الهاتف[4]، ففي الجزائر مثلا نميز بين نغم كلام المناطق الشرقية، وكلام المناطق الغربية من خلال كلامهم.

ويظهر دور النغم الصوتي la mélodie في عملية التواصل كونه يعمل على جذب السامع كلّما كان ألين وأحسن، حيث يشعر فيه المتلقي بالارتياح النفسي والإقبال على الإنصات والانتباه إلى

[1]– نفسه، ص 226.

[2]– ينظر: نور الدين رايص، سر التواصل، مرجع سابق، ص104.

[3]– انظر: كريم زكي حسام الدين، الدلالة الصوتية، مرجع سابق، ص84.

[4]– انظر: يوسف تغزاوي، التداوليات وتقنيات التواصل، مرجع سابق، ص 20.

خطاب المتكلم، والعكس صحيح، يقول كريم حسام الدين في هذا الباب: «فالصّوت الحسن يقوم بدور كبير وهام في تشكيل الأداء الصوتي للمتكلم مما يؤثر في عملية التّواصل بينه وبين المستمع، ويصبح عاملا من عوامل الألفة والنفور، والإقبال والإعراض والموافقة والرفض، إنّنا كثيرا ما نتأثر بما نسمع، ويعود هذا التأثير إلى حسن الصوت أو قبحه، إننا قد نسمع لأصوات منفردة بعضها أجش فيه خشونة، وبعضها أخن كأن أصحابها قد أصابهم برد مزمن، وقد نجد بعض النساء لهن أصوات غليظة مثل أصوات الرّجال، ولبعضهن أصوات يبدو عليها التّكلف والتّصنع، وقد نجد أصوات بعض الرّجال حادة عالية أو ناعمة متكلفة مثل النّساء، وبين هؤلاء وأولئك نجد أصحاب الصّوت الحسن الذي نشعر بمتعة في مبادلتهم الحديث والإقبال إلى الاستماع إليهم»[1].

فالعملية التواصلية تخضع لبعض الضوابط يجب على طرفي التّواصل الاستناد إليها؛ ليكون التواصل فاعلا، ومن ذلك النّبر الذي يخصّ مقاطع الكلمة من حيث الارتفاع والانخفاض، والتنغيم الذي يخص الجملة في تغييرها النطقي والنغم أو اللحن الذي يخص الكلام في تلوينه النطقي.

ج– المد والوقف:المد عبارة عن إطالة الصوت بحروفه وهي ثلاثة: الواو الساكنة بعد الضم، والياء الساكنة بعد الكسر، والألف فالملاحظ أن المتكلم أحيانا يميل ويعتمد على استعمال النغمة على صورة تقوي العلاقة بين إحدى كلمات السياق وبين معناها الذي سيقت له فإذا قال:"بلاد بعيدة" عبّر عن شدة البعد بمد الياء مدا طويلا، وكذلك الفتحة التي بعدها من كلمة "بعيدَة" وتنطق الياء والفتحة على نغمة واحدة مسطحة عالية نوعا ما إذا أراد أن يقول إنه قذف حجرا إلى الأعلى فوصل إلى علو شاهق فلربما منح ذلك التنغيم نفسه للكلمة "فوق" فمد حروف المد منها بصورة ملحوظة، ورفع الصوت به، وهذه الظاهرة يستغلها ملحنو الأغاني كثيرا[2]، أمّا الوقف فهو في السلسلة الكلامية انقطاع يقع في نهاية المجموعة النفسية، يسبقه انخفاض وفتور وتغير هابط في التنغيم الصوتي، ويرى اللغويون العرب أن الوقف عملية يستعملها المتكلم بغية إفهام السامع المضمون الدلالي

[1] -كريم زكي حسام الدين: الدلالة الصوتية، مرجع سابق، ص 85.

[2]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق ، ص370.

للرسالة، فهم يعرفونه بـ: «قطع القراءة في نهاية كلمة أو عبارة أو جملة، إما ليرتاح وإما لإتاحة الفرصة أمام السامع للفهم»[1].

والوقف عند دارسي القراءات القرآنية علم ضروري لمعرفة معاني القرآن وهو معيار دقيق لحسن الفهم ودقة الملاحظة وتكامل المعاني ولا يحسن هذا العلم إلا من حسن علمه، واتسعت دائرة ثقافته القرآنية وملك ناصية فهم الموقف[2].

وفي التواصل الكتابي عمد الإنسان إلى اختراع نظام علامات الترقيم؛ لأنه لا يستطيع أن يأتي على التلفظ باسترسال دون انقطاع، وذلك تبعا لتوقفاته وحاجاته إلى أخذ النفس بحثا عن الراحة أثناء النطق إضافة إلى أن الصمت هو الذي يميز الكلام، فبضدها تتمايز الأشياء.

5- 2-2- العوامل غير اللفظية في التواصل الاجتماعي:

من العوامل غير اللغوية المحققة لعملية التواصل الإنساني المستعملة، والمنتشرة في الأوساط الاجتماعية: الإشارات والحركات الجسمية المصاحبة لعملية الكلام والمظاهر الجمالية الخارجة عن نطاق الجملة ولكنها معبرة، كما يمكن للصمت أن يكون تعبيرا عوضا عن اللغة المستعملة في الكلام، وفيما يلي بيانها:

أ- **الإشارات والحركات**:ويقصد به الحركات والإيماءات المستعملة كعلامات للتواصل إما في حد ذاتها، وإما مركبة مع الكلام المنطوق ويتمثل دورها في مساعدة المتلقي على فهم وإدراك مقاصد المرسل وهدفه التواصلي، **قال تعالى** على لسان سيدنا زكرياء: ((**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا**))[3]، وكذلك **قوله تعالى** : ((**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**))[4]، فالمقصود هنا عدم التواصل مع الناس إلا من خلال استعمال الإشارات.

وقد ذكر الجاحظ دور الإشارة في العملية التواصلية بقوله: «الإشارة واللفظ شريكان، ونعم

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص169.

[2]- نور الدين رايص، سر التواصل، ص 114.

[3]- آل عمران، الآية 41.

[4]- مريم، الآية 29.

العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط ... وفي الإشارة بالطرف، والحاجب، وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس عن بعض، ويخفونها عن الجليس وغير الجليس ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة»[1].

وفي هذا الباب يذكر بلومفيلد:تزاحم الحركة الكلام عند الخطيب، وهي غيورة منه بحيث تتسابق معه للفكرة وتطلب أن تكون هي أيضا ذات تأويل...فالإشارات تصاحب كلامنا كله، وأنها تختلف من مجتمع لآخر لكونها تخضع للتواضع الاجتماعي شأن اللغة المتواضع عليها، كما أن استعمالها يتباين حسب المجتمعات[2]، فالإشارة تخدم اللغة، حيث تساعد المتكلم على إبداء رغباته وحاجاته للآخرين، وتساعده للوصول إلى ذهن المتلقي بفاعلية إذ بها نستطيع أن نفهم موضوع حديث يدور بين شخصين يتكلمان على بعد منا، وذلك إذا تتبعنا إشارات وحركات كل منهما.

وهذا واضح من قول الجاحظ: «فأمّا الإشارة باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف، إذ يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا أو تحذيرا»[3].

فكل حركة أو إشارة جسمية يتعلمها المخاطب في كلامه تدل على موقف معين، فقد يعجز المخاطب عن أداء رسالته فتأتي الحركة أو الإشارة الجسمية لتعوض ذلك النقص، وقد تنوب عن اللفظ في بعض الأحيان، فرب إشارة أبلغ من عبارة، يقول الجاحظ: «وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصاص ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع»[4]، وقد تناول جاكبسون (Jakobson) دراسة الإشارات الجسمية وهي في نظره: «تنتج مباشرة بواسطة أعضاء الجسم دون الحاجة إلى آلة، أو إلى

[1] –الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، مصدر سابق، ص78.

[2]– يوسف تغزاوي، التداوليات وتقنيات التواصل، مرجع سابق، ص76.

[3] – الجاحظ، البيان والتبين، ج1، مصدر سابق، ص77.

[4]– الجاحظ، البيان والتبين، ج1، مصدر سابق، ص 75.

شيء خارجي، وهي لابد أن تحتوي -إذا كانت معتمدة- على عنصر رمزي أو أيقوني، فكل حركة تؤدي رمزا معينا، أو هي تعبير عن شيء يراد إبلاغه»[1]، كما أنّ التداوليين قد أولوا عناية كبيرة لهذا الجانب، فقد ذكر أوستين ذلك بقوله: «قد يساعد التلفظ بالكلام استخدام الحركات والإشارات من غمز وتحريك للأيدي وهز للكتف وتقطيب للوجه وعبوسه وغير ذلك، أو أفعال طقوسية غير لفظية، وهذه التّعابير الحركية تستخدم أحيانا بدون أن يحرك الإنسان لسانه، وأهمية هذه الطرق والوسائل في التّعبير واضحة لا تحتاج إلى شرح»[2].

بمعنى أن الإشارات والحركات الجسمية والإيماءات التي ترافق الكلام ترتبط دلالتها بدلالة الملفوظ اللغوي إلا أنها قد تنفصل عنه فتكون دالة في حد ذاتها، ومثال ذلك إيماءات الوجه، مثل الابتسامة والضحك والتكشير والضحكة الصفراء، والغضب مع تقطيب الحاجبين وجحوظ العينين...، وهذا ما ذكره عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة قائلا: «ألا ترى إلى حديث الجمحي حكى عن بعضهم أنه قال: أتيت الجمحي أستشيره في امرأة أردت التزوج بها فقال: أقصيرة هي أم غير قصيرة؟ قال: كأنك لم تفهم ما قلت، إني لأعرف في عين الرجل إذا عرف وأعرف فيها إذا أنكر، وأعرف إذا لم ينكر، أردت بقولي قصيرة أي قصيرة النسب تعرف بأبيها أو جدها»[3].

إنّ الإشارات والحركات الجسمية لها دور مهم في التفاعل بين المتكلم والمستمع، كما أنها لغة الصم والبكم ولولاها لما استطاعوا التعبير عن رغباتهم وأحاسيسهم وأغراضهم المختلفة، فهم أكثر استعمالا لهذه الإشارات دون غيرهم، وهي وسيلتهم الفاعلة في تحقيق العملية التواصلية داخل محيطهم الاجتماعي.

ب- **المظاهر الخارجية:** للهيئة التي يكون عليها الجسم أو ما يصاحبه من لباس، أو تزيين بعض أجزائه دور مهم في تبليغ رسالة ما للآخرين، فالمشي وطريقة الجلوس، ونمط اللباس كلها مظاهر تزودنا بمعلومات تمكننا في بعض الأحيان من التعرف على الشخص وجنسه وجنسيته، وموطن إقامته

[1]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند جاكسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص48.

[2]- نور الدين رايص، سر التواصل، مرجع سابق، ص118.

[3] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص49.

كما تزودنا ببعض السمات المتصلة بالأحوال الصحية كالمرض كما نستطيع من خلال المظاهر الخارجية اكتشاف وضعية الشخص الاجتماعية، كما أن اختيار الألوان وطبيعة العطر المستعمل، ونوعية الحلاقة وغيرها هي مظاهر خارجية تهدف إلى تحقيق أهداف تواصلية معينة ولهذا يمكن القول أن جسم الإنسان يقوم بدور المرسل لمجموعة من العلامات يفهمها الآخرون، وتظهر هذه الرسائل في الإشارات والإيماءات والتلميحات التي يقوم بها الفرد إراديا أو لاإراديا في المواقف التي يمر بها[1].

ومن ذلك أيضا اختلاف وتنوع البدلات التي يرتديها الأفراد حسب المهام التي يزاولونها داخل المجتمع، إذ بفضلها نعرف مهنة هذا الفرد أو ذاك، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها الإشارات، والحركات الجسمية، والمظاهر الخارجية في عملية التّواصل ما يلي[2]:

– تحقيق وتدعيم المعاني والدلالات التي يقصدها المتكلم.

– إكمال القصور وجبر العجز اللذين قد يشعر بهما المتكلم اتجاه لغته الأم أو اللغة الأجنبية التي لا يعرفها حق المعرفة عندما ينتقل من مجتمع إلى مجتمع آخر.

– النّيابة عن بعض الكلمات في بعض المواقف التي يلجأ خلالها المتكلم إلى استبدال الكلام بالإشارة في حالة الخجل والاضطراب أو عندما يعتمد إخفاء ما يريد قوله.

– التعبير عن ظلال المعاني التي يريدها المتكلم أو ما سماه الجاحظ معنى خاص الخاص، ولابد من الإشارة إلى أنّ الإشارات الجسمية تعتبر نظاما عرفيا يتواضع عليه المتخاطبون مثلها مثل اللغة المنطوقة من أجل تحقيق أهداف تواصلية.

ج– **المسافة:** التّجاورية نظام عرفي للمسافة التي تفصل بين المرسل والمستقبل، وهي تنتمي إلى حيّز المقام، فهي المكان الذي يحتله المتكلم في مجلس ما، وهي علامات تدلّ على الوضع الاجتماعي، وتشكل نظام رموز تختلف أدواته حسب الثّقافات[3].

---

[1]– كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية، دراسة لغوية لظاهرة أعضاء الجسم في التواصل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2001، ص 138- 139.

[2]– يوسف تغزاوي، التداوليات وتقنيات التواصل، مرجع سابق، ص 82-83.

[3]– نور الدين رايص، سر التواصل، مرجع سابق، ص127.

وقد تساءل "إدوار هال" مؤسس هذا العلم حول الطّريقة التي يبعث بها المكان الرسالة، ثم أجاب بقوله: «إنّ الأحداث المكانية تعطي للّتواصل تنغيمه وبنـــره، وتتجاوز في كثير من الأحيان الخطاب ودفقة الكلام، وتغيير المسافة بين شخصين وهما يتحاوران، وهذا ما يساهم في عملية التّواصل الناجح، فالمسافة العادية بين غريبين أثناء حوار ما تزيد من أهمية النشاط التفاعلي المكاني، فإذا اقترب أحد المتحاورين اقترابا؛ فإن الرد سيكون مباشرا أو أوتوماتيكيا أي أنّ الآخر يبتعد، وإذا اقترب الأول من جديد فإن الآخر يبتعد من جديد، لقد رأيت أمريكيا يبتعد على طول ممر، وذلك لأنه وجد أن غريبا ثقيل الظل يحاول الاقتراب منه، وتكرر هذا المشهد مئات المرات، فالأول يحاول أن يزيد المسافة التي تفصل بينهما لكي يشعر بالراحة والآخر من أجل نفس الغاية يحاول أن يختصرها، وهذا مثال نموذجي ضارب في عمق الثقافة التي توجه السلوك»[1].

فالمسافة تزداد قربا أو بعدا تبعا لدرجة المعرفة أو القرابة بين المتكلم والمستمع، كما أن عنصر الجنس يؤثر في المسافة، فالرجل يبقي مسافة بينه وبين المرأة أكبر من تلك التي يبقيها بينه وبين رجل آخر.

ولكي يكون التواصل فاعلا على أطراف العملية التواصلية مراعاة تلك الأعراف الثقافية والأحداث التجاورية لأنها تؤثر في الكلام وتوجهه.

د– **السكوت (الصمت) واستراتيجيته التواصلية**:الصّمت شكل تواصلي إلى جانب الصّوت، نظرا لما يحمله من دلالات مختلفة، فيمكن أن يكون تعبيرا عن الغضب أو الخوف أو الاحترام أو كراهة الكلام، كما يمكن أن يكون دالاّ على الرّغبة في التأمل، وعدم الانزعاج أو دالاّ على الانتقال من فكرة إلى أخرى، أو من جملة إلى أخرى داخل الكلام[2]، وتختلف دلالة الصّمت من ثقافة إلى أخرى، فإن كان يعني الموافقة والرّضى في ثقافة ما، فإنّه يدلّ على عدم الموافقة في ثقافة أخرى، وذلك أن الشّرع جعل سكوت البكر في عرض الزّواج عليها علامة على الرّضى كما يُروى عن الرسول (ص):

[1]- Edward T. hall, le langage silencieux, Traduction française, de Jean mesrie et Barbara Niceall, Ed :seuil, collection: «Points Essais», paris, p206.

[2] – يوسف تغزاوي، التداوليات وتقنيات التواصل، مرجع سابق، ص85.

أنّه عندما يريد أن يزوج إحدى بناته كان يسألها، فإن سكتت زوّجها، وإن نكتت خدرها بأصبعها لم يزوجها[1].

وإذا كان المراد يفهم بالأضداد، وبضدها تتمايز الأشياء، فإننا لا يمكن أن نحيا بدون تواصل، فقد أجريت أبحاث عدة من أجل إثبات العكس، فحصل أنه كلما كان هناك اجتماع نتج عنه سلوك ينبئ بالتواصل، بحيث جمع الباحثون في تجربة ما شخصين في غرفة من الغرف وأوصوهما ألا يتكلما لمدة معينة، وبعد ذلك لاحظوا أن هذين الشخصين –بعد استخبارهما– أكّدا أنّهما لم يقدرا على ذلك، وقاما بتبادل رسائل بديلة عن الكلام من مثل الحركات وكان الواحد منهما يفكر في الآخر طوال تلك المدّة؛ لذلك تأكّد الباحثون أنّنا لا نستطيع ألاّ نتواصل[2].

وعن بعض المواقف التي يجسدها الصمت، ويتحقق فيها التّواصل المنشود يقول كريم حسام الدين: «إنّ الصمت قد يكون تعبيرا عن الغضب عندما يرفض شخص ما الحديث مع الآخر، كما نرى في موقف الخصام بين صديقين أو زوجين...، وقد يكون تعبيرا عن الخوف في المواقف التي يتعرض فيها الإنسان للخطر، أو الحرج، ويكون الصّمت أيضا تعبيرا عن احترام الآخرين خاصة الذين يكبرون المتكلم سنا كالوالدين أو مرتبة كالرؤساء في مجال العمل، والأساتذة في مجال الدراسة، ويكون تعبيرا عن التبجيل كما نرى في حالة تواجدنا في أماكن العبادة التي تعتبر الكلام من الأفعال المكروهة أو المحظورة، ... ويكون الصّمت تعبيرا عن مواقف نفسية مثل السّأم الذي نشعر به أحيانا، ومن ثَمّ نفقد الرغبة في الكلام مع الآخرين، والعزلة التي نلجأ إليها هربا من الضوضاء والانزعاج والتأمل عندما يشغلنا أمر أو مشكلة ما، والمباغتة عندما يفاجأ أحدنا بما لا يتوقع من قول، أو فعل، أو رؤية شخص ما معين...، كما نلاحظ أيضا أن المتكلم قد يلجأ للصمت، أي التوقف عن الكلام للحظات للتأكيد على كلامه ويعتبر ذلك من قبيل علامات الترقيم في الكتابة»[3].

من خلال هذا النّص يمكن القول أنّ الصّمت لغة تواصلية قد يدلّ على الرّفض، كما قد يدلّ

[1]– كريم حسام الدين، الدلالة الصوتية، مرجع سابق، ص 108.

[2]– نور الدين رايص، سر التواصل، مرجع سابق، ص 23.

[3]– كريم حسام الدين، الدلالة الصوتية، مرجع سابق، ص 106-107.

على القبول وقد يدلّ على عدم الرّغبة في الكلام، كما يدلّ على فسح المجال للتأمل، وقد يدلّ على الاحترام في بعض المواضع التّواصليّة.

و في الأخير: إنّ التواصل اللغوي يعتمد بالأساس على التّواصل الكلامي الذي يتحقق عن طريق المظاهر اللّغوية كما يعتمد أيضا على مظاهر أخرى غير لغوية تساهم بقدر كبير في العملية التّواصلية، ومنها الحركات والإيماءات، وملامح الوجه، ومظاهر الجسد الخارجية إرادية كانت أم غير إرادية، فتعمل تارة إلى جانب اللغة لتبليغ المعاني المستهدفة، وتعمل منفردة دون استعمال الأساليب اللغوية تارة أخرى، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المظاهر غير اللغوية تستمد دلالتها من خلال السياق الثقافي والاجتماعي المتواضع عليه.

من خلال ما سبق أكون قد تعرضت لبعض المظاهر اللغوية المشكلة للعملية التواصلية، وبعض ما يكتنفها من خروقات لغوية بهدف تواصلي معين قصد إحداث تأثير بين الباث والمتلقي من خلال رسالة لغوية معينة، وهناك جوانب أخرى غير لغوية تعمل على تعزيز عملية التواصل بين الناس، فهل تناول العرب ما تناولته الدراسات اللسانية الغربية؟

ثانيّا: التّواصل الاجتماعي في التراث:

لقد ركزت الدراسات اللغوية العربية على اللغة كونها وسيلة التواصل؛ ولهذا نجد هذه الأخيرة في كل تعاريف اللغة والبلاغة قديما حيث اندرج (التواصل) كغاية وهدف، ورغم أنّه لم يرد له تعريف مستقل إلا أنهم عرفوا أسراره معرفة عميقة، بل وكان لهم السبق في ذلك؛ فقد تناولوا في زمنهم ما تناولته الدراسات الحديثة.

والكلام عن التّواصل اللّغوي في الخطاب العربي، يتناول المواقف التواصلية التي يسعى إليها المتكلم وهو ما يسمى "مقتضى الحال"[1]، وهذه النظرة البلاغية قريبة من التصور الدلالي الذي يهدف إلى جعل دراساته اللغوية مرتبطة بالمقامات التواصلية، ولبيان ذلك سنتناول ما ذكره الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني في هذا المقام.

[1]- ينظر: يوسف تغزاوي، التداوليات وتقنيات التواصل، مرجع سابق، ص36.

1- التّواصل الاجتماعي عند الجاحظ:(ت: 255 هـ)[*]

مما لا شكّ فيه أنّ اللّغة هي الوسيلة الفعالة التي يمكن بواسطتها الولوج إلى سريرة الإنسان وشخصيته، فهي تكشف عن مضامين ما في النفس البشرية من أحوال وأمور، كما تكشف عن الوسط البيئي الذي نشأ فيه الفرد والأفراد لا يتكلمون بطريقة واحدة حتى في حال انتمائهم إلى وسط اجتماعي واحد؛ فاللغة هي العلامة الفارقة بين الإنسان وبين جميع المخلوقات الأخرى؛ **قال تعالى**: ((**الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ القُرآنَ، خَلَقَ الإنْسانَ، عَلَّمَهُ البَيانَ**))[1]، أي أن الله تعالى علّم الإنسان ما يبين به عما في نفسه، وما يستبين به عند المخاطبة، والبيان يكون من جهة المتكلم ومن جهة المخاطَب كذلك، فالأول يعبر عما في قبله باللسان نطقا، وبالكتابة بيانا، أمّا الثّاني (المخاطَب) فأعطاه نعمة فهم ما يقوله المتكلم، ولو شاء الله تعالى لأسمعه الصوت دون أن يفهم المعنى، وهذا ما أورده الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، لقد حاول أن ينظر إلى اللغة نظرة تكشف عن طبيعتها الاتصالية ووظيفتها الاجتماعية وصورتها الإعجازية في القرآن الكريم وصورتها التواصلية في المجتمع. واللغة التي يعنيها هي اللغة المنطوقة Spoken Language. وقد جعلها من وسائل البيان،« فاللغة تقوم بهذه الوظيفة المميزة لا بين أفراد المجتمع في زمن معيّن بل بين أجيال متعاقبة من المجتمع الواحد، وهكذا تحقق اللغة التواصل بين الأجيال وتكون هي الوسيلة الرئيسية للذّاكرة الاجتماعية، وللّغة فضل على مجمع الإنسان، أي على سمع بالسّمة الاجتماعية فاللغة أقوم المسالك إلى الدخول في عالم المجتمع ... وهكذا تحولت

---

[*]ولد أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ بالبصرة وعن تاريخ مولده تضاربت الآراء: 155 هـ، 159، 163، 164،والأرجح منها هو عام 159 هـ (775 م)، وقد أجمع المؤرخون أن الجاحظ كناني ليثي يعود نسبه إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة. نشأ فقيرا، يتيم الأب، عانى كثيرا من شظف العيش. عرف الرفاهية بعد مخالطته للحكام وإجازاتهم له على رسائله وكتبه،توفي عام (255 هـ)، مخلفا وراءه رصيدا= = أدبيا هائلا من أهمه: " البيان والتبيين"، " الحيوان"، " البخلاء"، وبعض الرسائل منها: " رسالة القيان"، رسالة كتاب النساء"، رسالة الشارب والمشروب"، ... (ينظر: تهذيب حيوان الجاحظ، ابن منظور، تح :زهران محمد،دار الجيل ،بيروت ،(د،ت)، ص: 21.).

[1]- الرحمن، الآيات (1- 4).

اللغة تدريجيا إلى أداة من أدوات التفاهم والتواصل والاحتكام بين أفراد المجتمع، لا في ميدان العمل فقط بل في سائر ميادين الحياة»[1].

فلما تناول الجاحظ دراسة اللغة ميّز بين عدّة مستويات: الصوتية ، الفونولوجية، التركيبية أو النظم، والدلالية ، وبيّن التداخل بين هاته المستويات على أنها تصبّ في نظام متناسق متكامل هو النظام اللغوي للّغات الإنسانية بصفة عامة، وللغةٍ معينة بصفة خاصة. وقد تحدّث عن اتفاق اللغات واختلافها، وتبيان الفروق الجلية بين اللغة الإنسانية واللغة الحيوانية، ذلك أن استعمال اللغة هدفه البيان والتبليغ. وبهذا التصوّر فدراسة اللغة تكمن عنده في حقلين أساسين: حقل الاستخدام الفني للّغة يكون ذلك في مجالات الأدب المختلفة ، وحقل الاستخدام اللغوي في إطارها الاجتماعي وصور هذا الاستخدام وتنوّعه بصفة اللغة وسيلة اتصال يومية في المجتمع[2].

ولعلّ فكرة الاتّصال أو البيان « من بين القضايا الهامة التي تعالجها اللسانيات اليوم... وعلماء اللسان إن كانوا يختلفون أحيانا في تعداد هذه الوظائف وتحديد أهميتها إلا أنّهم يجمعون على أن للكلام وظيفتين أساسيتين: التواصل والتعبير.

وقد عبّر الجاحظ عن هذه القضية، وأوضح الغلط الذي يقع فيه الناس بوضع الألفاظ فيما لا يليق بها حيث قال: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحقّ بذلك منها ... والعامّة لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحقّ بالذكر، وأولى بالاستعمال» [3].

وحسن انتقاء الألفاظ واستعمالها في أمكانها المناسبة، واللائقة بها لا تخدم العملية التواصلية فحسب ، وإنما تجعل الكلام في حد ذاته يكسب مكانة عالية في البلاغة وربما أن زاد على ذلك، واتصف بصفة الإعجاز الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله.

---

[1]- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. نور الهدى لوشن، ص: 184- 190.

[2]- د. حلمي خليل، ص: دراسات في اللغة والمعاجم، 275، 276.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، 1 / 18 .

وإذا كنا نتحدث عن نسج الكلام فلا بدّ لنا من مراعاة أحوال وظروف ومستوى من يدور بينهم الحوار، أو من يجري بينهم التواصل فإذا كان المرسل متبحّرا في علوم اللغة، عارفا بخباياها، والمرسل إليه أقلّ درجة من ذلك، فعليه مخاطبته بمصطلحاته ومفاهيمه التي يعرفها، من أجل إفهامه،"ومدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة وموافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال" كما يقول بشر ابن المعتمر في صحيفته البلاغية.

1-1- البيان عند الجاحظ:

إنَّ اللغة هي الميزة الأساسية للإنسان التي تميزه عن غيره من المخلوقات، وهذا واضح من قول الجاحظ: «ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة، ووجدنا الحكمة على ضربين: شيء جعل حكمة، وهو لا يعقل الحكمة، ولا عاقبة الحكمة، وشيء جعل حكمة، وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة، فاستوى بذاك الشيء العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل، والآخر دليل يستدل فكل مستدل دليل، وليس كل دليل مستدلا، فشارك كل حيوان سوى الإنسان جميع الجماد في الدلالة، وفي عدم الاستدلال، واجتمع للإنسان أن كان دليلا مستدلا، ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله، ووجوه ما نتج له الاستدلال، وسَمَّوْا ذلك بيانا»[1].

إن الكلام هو وسيلة استدلال الموجود على الوجود وهذا ما رمى إليه الجاحظ في معرض حديثه عن اللغة من الناحية الوجودية، ولكن هناك ناحية أخرى تمليها طبيعة الوجود الاجتماعي للإنسان، وهي حاجته إلى التواصل، وبهذا تغدو اللغة معادلا موضوعيا للوجود الإنساني؛ فهي الأداة المثلى للتواصل، فإذا كان حد الإنسان الناطق المبين كما أورده الجاحظ على لسان صاحب المنطق؛ فالمبين يدل على أنّ هناك مبيّنا ومبيّنا له، ومبيّنا عنه، ومبيّنا به، وهذه هي عناصر التواصل.

[1]- الجاحظ أبو عثمان عمرو، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1969، ص33.

والإنسان يعيش في طبقات، ولكل طبقة اجتماعية مستوى من الخطاب يليق بمقامها على المتكلم أن يعرفه لكي يختار الكلام الذي يقتضيه مقام التّخاطب، وهذا ما ذهب إليه الجاحظ بقوله: فكلام الناس في طبقات، كما أنّ الناس أنفسهم في طبقات»[1]، وهذا الكلام يوضح فهم الجاحظ للدور التّواصلي للغة؛ فهي لا تكون في طبقة معينة حتى تؤدي وظيفة التّواصل على أكمل وجه.

والبيان عند الجاحظ هو الوسيلة التي يتم بها التّواصل بين القائل (المتكلّم والسّامع)، والغاية المتوخاة هي الفهم والإفهام، وهذا يظهر في قوله: «والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى، وهتكَ الحِجَاب دونَ الضّمير حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِي القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهام وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع»[2].

فالبيان الذي قصده الجاحظ هنا هو القدرة على الإبانة والكشف عما في النفس، والإفصاح عمّا في الضمير من معان وأغراض، وقد يتم تلقي المعنى بدون ألفاظ كالإشارة أو غيرها، وهذا واضح في كلامه عن أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، إذ يقول: «وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللفظ ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الخطّ، ثمّ الحال التي نصبة»[3]، فالملاحظ أنّ الجاحظ قد ذكر أشكال التّواصل الإنساني وأدواته، وهي:

أ- تواصل الإنسان مع الإنسان، ويكون باللّفظ، والإشارة، والعقد، والخطّ.

ب- تواصل الإنسان مع الكون من خلال ذكره للنّصبة.

وفيما يلي أشكال التواصل حسب الترتيب الذي تناوله الجاحظ.

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص144.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص76.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص78.

1-2- أشكال التّواصل الاجتماعي عند الجاحظ:

قسم الجاحظ أشكال التواصل إلى عدة أقسام هي:

1-2-1-التّواصل اللّفظي:

ويقصد به التواصل الشفوي، وقد سماه: البيان باللّسان[1].

أدرك الجاحظ أهمية اللفظة المنطوقة؛ لفهم الآلية التي يشتغل بها البيان عامة، وبباقي أقسامه، وقد ذكر ذلك بقوله: «وقلنا في العقد ولم تكلفوه، وفي الإشارة ولم اجتلبوها، ولم شبهوا جميع ذلك ببيان اللسان حتى سموه بالبيان ... وقلنا في الحاجة إلى المنطق، وعموم نفعه وشدة الحاجة إليه، وكيف صار أعمّ نفعاً ولجميع هذه الأشكال أصلاً وصار هو المشتق منه والمحمول عليه»[2]، كما ذكر الطبيعة الفزيولوجية للعلامة اللغوية المنطوقة قائلا: «والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما موزونا، ولا منثورا إلا بظهور الصّوت»[3].

كما ذكر ذلك أيضا أثناء حديثه عن الكلام واللسان؛ فالكلام في رأيه هو: «خروج الصَّوت من الجوف وعلى جهة تقطيع الحروف، وإعمال اللِّسان والشَّفتين، وما كان على غير هذه الصُّورة والصِّفة فليس بكلام»[4].

هذا عن الطبيعة الفيزيائية للصوت اللغوي، وأمّا عن سر التّفاعل بين المتخاطبين؛ فقد أدرك أنّ السنن المشترك بينهما ومعرفة أصل الوضع هما شرطا التّواصل الفاعل، وهذا واضح في قوله: «وكذلك كلام العرب فإن كنت إنما أخرجته من حدّ البيان، وزعمت أنّه ليس بمنطق؛ لأنك لم تفهم عنه، فأنت أيضا لا تفهم كلام عامة الأمم، وأنت إن سميت كلامهم رطانة وطمطمةً، فإنّك لا تمتنع من أن تزعم أنّ ذلك كلامهم ومنطقهم، وعامة الأمم أيضا لا يفهمون كلامك ومنطقك فجائز لهم أن

[1] – نفسه، ص 80.

[2] – الجاحظ، الحيوان، ج1، مصدر سابق، ص5-6.

[3] – الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص79.

[4] –الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص 89.

يخرجوا كلامك من البيان والمنطق، وهل صار ذلك الكلام منهم بيانا ومنطقا إلا لتفاهمهم حاجة بعضهم إلى بعض، ولأن ذلك كان صوتا مؤلفا خرج من لسان وفم»[1].

مما سبق يظهر مدى وعي الجاحظ بالشروط التي تساهم في تحقيق الفاعلية والجودة في عملية التواصل باللفظ (التواصل الشفوي).

1-2-2- التّواصل بالإشارة: وقد تكون مصاحبة للكلام شارحة أو مؤكدة، أو خالصة مستقلة يلجأ إليها المتكلم حينما يتعذر عليه استعمال اللفظ.

أ- الإشارة المصاحبة للكلام: الإشارة المصاحبة للكلام لا يستغني عنها الإنسان في كثير من الأحيان يقول الجاحظ في هذا الباب: «الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط»[2].

ويؤكد دور الإشارة المصاحبة للكلام بقوله:« وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان»[3]،ويقول أيضا: «... ولو قُبِضَتْ يدُه ومُنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه»[4]، فالإشارة المصاحبة للكلام لا يستغني عنها الإنسان في كثير من الأحيان، وقد يؤدي عدم استعمالها إلى عدم وضوح الدلالة، وبالتالي غياب الفهم والإفهام.

ب- الإشارة المستقلة عن اللّفظ: يلجأ إليها المتكلم عندما يتعذر عليه استعمال اللفظ لسبب ما وهذا واضح في قول الجاحظ: «وفي الإشارة بالطرف، والحاجب، وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسرها الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة»[5].

---

[1]- الجاحظ، الحيوان، ج7، مصدر سابق، ص57.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص78.

[3]- نفسه، ص78.

[4]-الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج3، ص119.

[5]- نفسه، ج1، ص78.

ويظهر دور الإشارة المستقلة عن اللفظ واضحا عندما يكون المتكلم والمخاطَب متباعدين في قوله: «فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا»[1].

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة[2]:

تُبْدِي لَكَ العَيْنُ ما فِي نَفْسِ صاحِبِها *** مِنْ الشَّناءَةِ وَالوُدِّ الذِي كانـــا

الشّاعر في هذا البيت يشير إلى الدور الكبير الذّي تقوم به العين في التعبير عمّا يجول في أعماق صاحبها من محبّة، أو بغضاء، لم تتمكن الأفواه من التعبير عنه، فاكتفت بما ترسله العين من إشارات، وايماءات، وايحاءات، فهي تملك البيان عمّا يختلج في أعماق النفس من أحاسيس، ومشاعر، أكثر من اللّسان.

1-2-3- التّواصل الكتابي (بالخط):

من أهم ما ذكره الجاحظ حول هذا النوع من التواصل قوله: «فأما الخطَ فمِمّا ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل حيث قال: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)، ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين، كما قالوا: القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا، وقال عبد الرحمن بن كيسان: استعمال القلم أجدر أن يحض الذّهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن والكتاب يقرأ بكل مكان، ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره»[3].

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص77.

[2]- ديوان عمارة بن عقيل، جمع وتحقيق: شاكر العاشور، وزارة الإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1973، ص82.

[3] - الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص79-80.

يذكر الجاحظ في هذا النّص أهمية الخطّ في التواصل الإنساني فإن كان للسان الفضل في العملية التواصلية فإن الخط بدوره له وظيفة أساسية في تلك العملية عدّدها في الأمور التالية:

– ضمان عملية التواصل رغم بعد المسافة بين أطرافها، كما أنها لا تتقيد بزمان ومكان معينين.

– التمكن من تصحيح الأسلوب وتدارك الأخطاء؛ لأن الذي يستعمل هذا النوع من التواصل يجد الوقت لمراجعة لغته مبنى ومعنى، وبهذا يتم الحكم على شخصية الكاتب من خلال ذلك، وهذا ما أراده القائل بقوله: «ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت فيه عقله»، على عكس المشافهة كون المتكلم لا يمتلك وقتا لتدارك ما يقع فيه لسانه من خطأ.

وبالتالي فالخط يعتبر نظاما تواصليا إنسانيا لا يستدعي لاشتغاله وجود أطراف العملية التواصلية في نفس المكان والزمان؛ كما أنه يلجأ إليه الإنسان لتقييد أفكاره ومعارفه وحفظهما من الاندثار، ونقل خطابه عبر مختلف الأزمنة والأمكنة.

1-2-4- التّواصل بالعقد:

والعقد في نظر الجاحظ هو رابع أقسام البيان، و قد عرفه بقوله: «وأما القول في العقد، هو الحساب دون اللفظ والخط، فالدليل على فضيلته، وعظم قدر الانتفاع به، قول الله تعالى:((فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ))، وقال جل وتقدس: ((الرَّحْمَنُ،عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ،عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ))، والحساب يشتمل على معان كثيرة، ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله تعالى معنى الحساب في الآخرة، وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم، وفقدان جمهور المنافع، واختلال كل ما جعله الله تعالى لنا قواما ومصلحة ونظاما»[1].

إنّ معظم الباحثين قد أجمعوا على أنّ المقصود من العقد هو الحساب بالأيدي، والعقد حسب النص السابق تكون حاسة اللمس فيه هي الأداة الرئيسية لإرسال الخطاب واستقباله، «فالحساب بالأيدي هو اصطلاح للعرب القدامى يستغنون به عن اللفظ، وكان أكثر استعمالهم له عند المساومة

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1، ص79.

في البيع، فيضع الواحد يده في الآخر ويُحدث حركة فيُفهمه مراده من غير لفظ؛ لقصد ستر ذلك عن غيرهما ممن يحضرهما، كأن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ويضمها ضمّا محكما بحيث تنطوي عقدتاها فيدل بذلك على عقد التسعين، فإن هو ضمّ بطرف الإبهام طرف السّبابة، دلَ على عقد الثلاثين، فإن جعل طرف ظفر الإبهام بين عقدتي السبابة من باطنها و لوى طرفي السبابة عليها مثل ناقد الدينار عند النقد دلّ على عقد السبعين»[1].

إنّ العقد عند الجاحظ يدل على نظام تواصلي صريح يختص بمفاهيم الحساب، وكيفية نقلها فيما بين طرفي التواصل، يعتمد على حاسة اللمس كقناة للإرسال والاستقبال في نفس الوقت، وهذا في حال تعذر التواصل عن طريق اللفظ والخط لسبب ما؛ فاللفظ للسامع، والإشارة للناظر، واشترك الناظر واللامس في معرفة العقد»[2]، قال الجاحظ في كتابه (الحيوان).

1-2-5- التواصل بالنّصبة:

النّصبة تواصل الكون مع الإنسان، وهذا ما قصده الجاحظ بقوله: «وأما النّصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السّماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان»[3].

فالنصبة نظام تواصلي ليس كبقية الأنظمة التواصلية التي ذكرها الجاحظ، وما يتطلبه التواصل الاجتماعي، فالمرسل هنا ليس إنسانا يعبر عما في نفسه نطقا أو كتابة أو إشارة، بل خالق السماء والأرض سبحانه وتعالى.

فكلّ ما في السماوات والأرض باعتبارها آيات تحيل إلى وحدانية الله عزّ وجلّ فإنّ كلّ الحالات الطبيعية الدالة تحيل إلى معنى النّصبة فاحمرار الوجه واصفراره كلها علامات غير لغوية لها دلالة عقلية لا دخل للإنسان فيها، وهذا ما قصده الجاحظ بقوله:« فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة

[1]- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفة، مرجع سابق، ص53-54.

[2]- الجاحظ، الحيوان، ج1، مصدر سابق، ص46.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، مصدر سابق، ص81.

الدّلالة، ومعربة من جهة صحة الشهادة على أن الذي فيها من التدبير والحكمة مخبر لمن استخبره، وناطق لمن استنطقه، كما خبَّر الهزال وكسوف اللون عن سوء الحال، وكما ينطق السِّمَنُ وحسن النَظرة عن حسن الحال»[1]

فالنِّصبة عند الجاحظ هي نوع من أنواع التواصل يختلف عن اللفظ والإشارة والخط والعقد ويتمثل في كل ما يحيل على وجود الله ووحدانيته عزّ وجلّ، كما أن كل الحالات الطبيعية الدالة تحيل على مفهومها أيضا.

و عن عناصر التواصل الاجتماعي عند الجاحظ في هذا المجال:

-1-3- عناصر التّواصل الاجتماعي عند الجاحظ:

يشير الجاحظ في مفهوم البيان إلى قضية جوهرية في عملية التواصل هي الفهم والإفهام، إذ يقول: «البيان اسم جامع لكل شيء، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[2].

فالبيان يقوم على عمليتي الفهم والإفهام بين طرفي التواصل وهما القائل والسامع، ولكل منهما دوره في إنجاح العملية التواصلية، فالقائل يعمل على إيصال الرسالة مفهومة واضحة، وعلى السامع أن يحسن الاستماع.

يقول: يكفي من حظّ البلاغة أن لا يؤتى السّامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى النّاطق من سوء فهم السّامع»[3]. فالتّأثير الايجابي للمتكلم على السّامع هو الغاية من البلاغة، بل هو الغاية من التّواصل بشكل عام، وقد وضع الجاحظ مجموعة من الشّروط للوصول إلى التّواصل الفاعل، ومنها:

---

[1] – الجاحظ، الحيوان، ج1، مصدر سابق، ص34.

[2]– الجاحظ، الحيوان، ج1، مصدر سابق، ص76.

[3] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، مصدر سابق، ص86-87.

1-3-1- شروط الرّسالة: يرى الجاحظ أنّ وضوح الرّسالة شرط أساسي لحدوث عملية التّواصل بين الباث والمستقبل، وبمعنى آخر أن وضوح الشّفرة يساهم في فاعليّة التّواصل، وهذا دليل على فهمه العميق للوظيفة التّواصلية لغة، يقول الجاحظ في هذا الباب: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه، وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطّبع بعيدا من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التّكلف؛ صنع في القلوب صنيع الغيث في التّربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشّريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصّفة؛ أصحبها الله من التّوفيق ومنحها من التّأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة»[1].

من خلال قول الجاحظ نخلص إلى أنّ من شروط الرّسالة ما يلي:

اللفظ القليل الواضح المعنى، البعيد عن الصّنعة والتّكلف، بحيث يفهمه العامي والخاص، وليس معنى هذا مخاطبة الجميع بنفس الخطاب، فلكل مقام مقال، ويظهر ذلك من خلال حديثه عن المعنى الشّريف واللّفظ البليغ.

1-3-2- شروط المتكلم والسامع: اشترط الجاحظ النية السليمة للمتكلم للتأثير في السامع وإحداث فعل التواصل، أي إرادة الاتصال، ويضاف إليها التقوى، والإيمان، والتوفيق من الله جلّ في علاه، وركز في حديثه على مراعاة السامع كون نجاح التواصل متوقف عليه؛ إذ لابد من التأكد من انتباهه وعدم انشغاله عن المتكلم، ولقد أورد ما أوصى به عبد الله بن الحسن ابنه محمدا إذ يقول: «أي بني إنّي مؤد إليك حق الله في حسن تأديبك فأدِّ إليّ حق الله في حسن الاستماع، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول؛ فإنّ للقول ساعات يضر خطؤه ولا ينفع صوابه»[2].

[1] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، مصدر سابق، ص83.

[2] - نفسه، ج2، ص174.

والسامع هو الذي يؤول إليه الخطاب، وهو الأساس الذي يتم الحكم به على فاعلية التواصل من عدمها فنشاط القائل على قدر فهم المستمع[1]؛ ولهذا وجب عليه الإصغاء؛ لأنه يساعد على فهم المعنى، وفي هذا الصدد يقول أبو هلال العسكري: «ربما كانت البلاغة في الاستماع، فإنّ المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي إليه الخطاب والاستماع الحسن عون للبليغ على إفهام المعنى»[2]، وقد نقل الجاحظ في هذا الخصوص قوله: «وقال أبو عباد: إذا أنكر القائل عيني المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه، وعن السبب الذي أجرى ذلك القول له، فإن وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث، وإن كان لاهيا عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة وعرفه بفسولة الاستماع، و التقصير في حق المحدث»[3].

الجاحظ من خلال هذه النصوص يشترط في السامع استعداده لوظيفة التواصل، والتي لا تكون إلا بحسن الاستماع، إذ على المستمع أن يكون متدبرا في قول محدّثه ليحدث الفهم، وبالتالي التفاعل؛ لأن المتكلم والسامع شريكان أساسيان في نجاح العملية التواصلية.

1-3-3- شروط المقام والسّنن المشترك: ذكر الجاحظ في هذا الموضوع وجوب مراعاة المتكلم للمقام فلكل مقام مقال، أي أنّ على المتكلم أن يختار من الألفاظ ما يناسب المخاطب، وما يناسب المقام أيضا وتظهر قضية السّنن المشترك بين أطراف العملية التواصلية واضحة في قوله على لسان شيخه بشر بن المعتمر (ت: 210هـ) في معرض حديثه عن قدر اللفظ، وعلاقته بالمعنى حتى يؤدي وظيفة التواصل بقوله: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[4].

---

[1] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، مصدر سابق، ص40.

[2]- أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 1989، ص25.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، مصدر سابق، ص41.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، مصدر سابق، ص138-139.

إن المتأمل لهذا النص يجده يركز على شروط التواصل الفاعل، فعندما يعرف المتكلم قدر المستمع وقيمته سيعرف ما هي المعاني التي سيُبلغه إياها حسبما تقتضيه الأحوال، فبناء على معرفة المتكلم للمستمع يقوم باختيار الكلام المناسب في المكان والزمان والمقام المناسبين، فلكل طبقة اجتماعية مستوى من الخطاب يليق بمقامها، على المتكلم أن يعرفه؛ ليختار الكلام الذي يقتضيه مقام التخاطب؛ كي يكون التواصل فاعلا، أي أنّ هناك سننا عاما يشترك في امتلاكه جميع الناطقين باللغة الواحدة، ومنها ما هو خاص ليكون حكرا على فئات اجتماعية دون أخرى فعدم امتلاك السنن المشترك يعد من بين معوقات التواصل، كما ذكر أيضا نوعا آخر من المعوقات، وهو عدم مطابقة اللفظ للمعنى بقوله: «وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل أن يهيئ المعنى عشقا لذلك اللفظ، وشغفا بذلك الاسم حتى صار يجر إليه المعنى جرا ويلصقه به إلصاقا»[1].

مما سبق ذكره يتبين أن الجاحظ كان على درجة كبيرة من الوعي بالبعد التواصلي للغة، إذ يظهر هذا البعد من خلال تعريفه للبيان، بذكره لأشكال التواصل من لفظ، وخط، وإشارة، وعقد، ونصبة، مع بيان دور المتكلم في صياغة الكلام وإنتاجه، والاعتداد بالسامع في العملية الكلامية، إلى جانب الإلمام بكل عناصر الإبلاغ، وكذا الشروط الواجب توفرها في تلك العناصر للوصول إلى التواصل الفاعل، حيث عبّر عنه بالفهم والإفهام.

2- التّواصل الاجتماعي عند عبد القهار الجرجاني:

سأتناول فيما يلي بعض ما ذكره الجرجاني حول عناصر التّواصل من خلال النقاط الآتية:

2-1- **البيان عند عبد القهار الجرجاني:** جعل عبد القاهر الجرجاني البيان من أجل العلوم وأحسنها وهذا واضح من قوله: «ثم إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا وأسبق فرعا، وأحلى جنى، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدرّ وينفث السّحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر، والذي لولا تحفّيه بالعلوم وعنايته بها، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة، ولما استبنت لها يد

[1]- الجاحظ، الرسائل، من رسالة المعلمين، ج3، مرجع سابق، ص41.

الدهر صورة، ولاستمر السّرار بأهلّتها، واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء»[1].

وقد أعطى للتواصل اللغوي الشفوي المكانة الأولى ضمن وسائل البيان، فهو يرى أنه يفوق الإشارة والحظ والعقد، وإن كانت هي أيضا من وسائل البيان، غير أنها لا ترقى إلى درجته حيث يقول: «إلا أنك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه، ومُني من الحيف بما مُني به، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه، فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة وظنون رديّة، وركبهم فيه جهل عظيم وخطأ فاحش، ترى كثيرا منهم لا يرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس والعين، وما يجده للخط والعقد، يقول: إنما هو خبر واستخبار وأمر ونهي، ولكل من ذلك لفظ قد وضع له، وجعل دليلا عليه، فكل من عرف أوضاع لغة من اللغات عربية كانت أو فارسية، وعرف المغزى من كل لفظة، ثم ساعده اللسان على النطق بها، وعلى تأدية أجراسها وحروفها، فهو بيّن في تلك اللغة كامل الأداة، بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه منته إلى الغاية التي لا مذهب بعدها، يسمع الفصاحة والبلاغة والبراعة فلا يعرف لها معنى سوى الإطناب في القول، وأن يكون المتكلم في ذلك جهير الصوت جاري اللسان لا تعترضه لكنة ولا تقف به حبسة، وأن يستعمل اللفظ الغريب والكلمة الوحشية، فإن استظهر للأمر وبالغ في النظر، فأن لا يُلحن فيرفع في موضع النصب، أو يخطئ فيجيء باللفظة على غير ما هي عليه في الوضع اللغوي، وعلى خلاف ما ثبتت به الرواية عن العرب»[2].

وقد ربط نجاح التواصل بالمتكلم، إذ اعتبره المحور الرئيسي في إنتاج الخطاب، وهو الذي يستعمل اللغة، وذلك باختيار العلامة اللغوية والإستراتيجية المناسبتين لنقل أفكاره، وفي هذا الصدد يقول: «واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط5، 2004، ص5-6.

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، السابق، ص07.

أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك، نعم، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة»[1].

ينظر عبد القاهر إلى المتكلم على أنه بنّاء، وهو الركيزة الأساسية في عملية التواصل، مشيرا إلى أن الارتباط وثيق بين نظم الكلام، وقصدية التواصل بعيدا عن العفوية والارتجال، ولهذا لابد للمتكلم من أن يستعمل مهاراته في اختيار ما يناسب من الصيغ اللغوية، وكذا الاستراتجيات المناسبة التي تتحقق بها الكفاءة التواصلية، وقد جعل للمتكلم فعل المزية في القول دون واضع اللغة؛ كون هذا الأخير تنحصر وظيفته في المواضعة فقط؛ ولهذا السبب ربط الفصاحة بالمتكلم دون واضع اللغة بقوله: «قد علمنا علما لا تعترض معه شبهة، أنّ الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغة، وإذا كان كذلك فينبغي لنا أن ننظر إلى المتكلم، هل يستطيع أن يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئا ليس هو له في اللغة، حتى يجعل ذلك من صنيعه مزية يعبر عنها بالفصاحة؟، وإذا نظرنا وجدناه لا يستطيع أن يصنع باللفظ شيئا أصلا، ولا أن يحدث فيه وصفا، كيف؟ وهو إن فعل ذلك أفسد على نفسه وأبطل أن يكون متكلما، لأنه لا يكون متكلما حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه»[2].

فالمتكلم متصرف في ترتيب وتنسيق ألفاظ اللغة دون أن يزيد فيها، أو ينقص منها، إذ عليه أن يحترم السّنن اللغوية المشتركة بينه وبين المخاطب، كما عليه أن يلتزم بالقوانين النّحوية لتلك اللغة، وهذا ما أشار إليه بقوله: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها»[3].

إن اختيار المعنى النحوي وحده غير كاف لجودة النظم والتواصل الفاعل، بل لابد من أن تكون تلك المعاني مناسبة لسياق التخاطب (الكلام)، فإن كانت اللغة تسهم في عملية التخاطب بتزويد

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص93.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، السابق، ص402.

[3]- نفسه، ص81.

المتخاطبين بالمادة اللغوية الخام فإن الكفاية اللغوية للمخاطِب كفيلة بالقيام بتركيب الرسالة المبلَّغة تركيبا سليما؛ لأداء مهمة الإبلاغ والإفادة إحداثا وإفهاما، وتكفل كفايتُه التخاطبية نجاحه في استخدام المقولات اللغوية استخداما مناسبا للسياقات المختلفة، ومعينا على تحصيل غاية التفاهم بينه وبين مخاطبيه[1].

2-2-**السّامع**: رغم اهتمام الجرجاني بالمتكلم حيث جعله المحرك الأول للعملية التّخاطبية إلا أنه يعتبر المخاطَب طرفا فاعلا في تلك العملية كون هذه الأخيرة نشاطا لغويا يتحقّق بتفاعل طرفين أساسيين هما: المتكلم والمخاطَب، وقد استعمل في كثير من المواضع لفظ السامع للدلالة عليه.

ويشترط في نجاح العملية التواصلية أن يكون السامع على علم باللغة وبمعاني الألفاظ (السّنن المشترك بينه وبين المتكلم)؛ لأن جهله بتلك المعاني يؤدي إلى خلل في فهم والإفهام، وبتالي إلى عدم فاعلية التواصل بينه، وبين المتكلم إذ يقول: «ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على "اللفظ" ثم لا تعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في أنها ليست له ولكن لمعناه قولهم: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك، وقولهم: "يدخل في الأذن بلا إذن" فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى، وأنه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة، ذاك لأنه لا يخلو السامع من أن يكون عالما باللغة، وبمعاني الألفاظ التي يسمعها، أو يكون جاهلا بذلك، فإن كان عالما لم يتصور أن يتفاوت حال الألفاظ معه، فيكون معنى لفظ أسرع إلى قلبه من معنى لفظ آخر، وإن كان جاهلا كان ذلك في وصفه أبعد»[2]، ولنجاح عملية التواصل وفاعليتها لابد للمستمع أن يتحلى بمواصفات من بينها:

الاستعداد للتواصل، وعدم الوقوف على ظاهر الخطاب، وتوفر إرادة التواصل أو الرغبة في الاستجابة، يقول عبد القاهر في باب اللّفظ والنظم: «واعلم أنّه لا يصادف القول في هذا الباب

[1]- محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت،ط2، 2007 ص152.

[2]- الرجع نفسه، ص267.

موقعا من السامع ولا يجد له قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحثّه نفسه لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة، ويعرى منها أخرى، وحتى إذا عجبته عجِب، وإذا نبهته لوضع المزية انتبه»[1]، فالمتلقي يهتدي إلى النظم البليغ من خلال فك تشفير المعنى وإعادة تركيبه، وكشف العلاقات بين الألفاظ ورصد التعالقات النحوية داخل التركيب باحثا عن تلك المعاني الخفية وطريقة نسجها وسبكها وسِرّ انتظامها، وتعالق بعضها ببعض، ومن ثم الاهتداء إلى مقاصد المتكلم، وهذا يتطلب وعيا بمسالك القول وقدرة على الغوص واستنطاق الدلالات العميقة، يقول عبد القاهر: «وإن كان مما ينتهي إليه المتَكلِّم بنظرٍ وتدبُّر، وَيَنَالُه بطلبٍ واجتهاد، ولم يكن كالأوّل في حضوره إياه، وكونه في حكم ما يقابله الذي لا معاناةَ عليه فيه، ولا حاجة به إلى المحاولة والمزاولةِ والقياس والمباحثة والاستنباط والاستثارة، بل كان من دُونه حجابٌ يحتاج إلى خَرْقِه بالنظر، وعليه كِمٌّ يفتقر إلى شَقّه بالتفكير وكان دُرّاً في قَعر بحر لا بدّ لهُ من تكلُّف الغَوص عليه، وممتنعاً في شاهقٍ لا ينالُه إلاّ بتجشّم الصعود إليه، وكامناً كالنار في الزَّند، لا يظهر حتى تقتدحه، ومُشابكاً لغيره كعُرُوق الذهب التي لا تُبدِي صَفْحتها بالهُوَيْنَا، بل تُنال بالحَفْرِ عنها وتعرِيقِ الجبين في طلب التمكن منها»[2].

فالسامع له دور فاعل في العملية التواصلية إذ يقوم بعمليات ذهنية لا تقل أهمية عن نظيرتها لدى المتكلم فهو يستمع أو يقرأ، يفهم، يستنتج ويربط، ثم يؤول؛ للكشف عن المعاني المستترة، وذلك للوصول إلى خبايا النص، وبالتالي الفاعلية في التواصل.

2-3- الخِطاب (الكلام): وقد ذكر ذلك ابن هشام في تعريفه للخطاب(الكلام) بقوله: «الكلام هو القول المفيد بالقصد»[3]، ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه.

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق ، ص291.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، 1991، ص143.

[3] - ابن هشام (جمال الدين الأنصاري)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك و مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص375.

ربط عبد القاهر الكلام بالمعنى النفسي، هذا المعنى يخرج إلى الانجاز بفعل علاقات الإسناد في القول لتصبح تلك العلاقات أفعالا كلامية مرتبطة بالمعنى النفسي حيث يقول: «وإن ثبت أن الخبر وسائر معاني الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قبله ويراجع فيها لبه، فاعلم أن الفائدة في العلم بها واقعة من المنشئ لها وصادرة عن القاصد إليها»[1].

فمن أجل تبليغ أيسر وتواصل فاعل يشترط عبد القاهر وضوح القصد من إعلام السامع، لأنه إذا خلا الكلام من القصد كان مجرّد أصوات تحيل إلى اللغو الذي لا فائدة منه.

وقد شرح كيفية اختيار المتكلم للمعاني، إذ يشترط بأن يراعي انسجامها مع بعضها البعض؛ لأنه يشكل مقصد الخطاب والغاية التّخاطبية (التّواصلية)، يقول في ذلك: «فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة مفردة، وأنّ الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريح اللفظ»[2].

لقد توصل عبد القاهر من خلال نظرية النظم إلى أن الروابط والعلاقات اللغوية هي التي تحدد معنى الكلمة وتمنحها قيمتها، فلا تفاضل للكلمات إلا باعتبار مكانها في النظم، وحسب ملائمة معناها لمعاني الكلمات التي تجاورها داخل إطار السياق؛ وهو جوهر الدرس النحوي، يقول في هذا الصدد: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تصنع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف منهاجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[3].

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص545.

[2] –عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، السابق، ص46.

[3] – نفسه، ص81.

بمعنى أن النحو يبحث في وظائف الكلمة من خلال العلاقات السياقية اللغوية، وهذا ما ذكره محمد حماسة عبد اللطيف بقوله: «يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة، ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ما لم يكن ذلك كلّه في سياق ملائم»[1].

فإذا كان السياق يؤدي إلى تحديد الدلالة المقصودة؛ فإن له أهمية كبيرة في عملية التواصل بين المخاطبين، إذ أن وضوح الدلالة والقصد يؤدي إلى الفهم والإفهام، وبالتالي الفاعلية في التواصل والعكس صحيح.

ما يمكن استخلاصه: إن النظم له علاقة وطيدة بالتواصل، فهو لا يقوم إلا بوجود عناصر التواصل كما أنه لا تواصل بدون قصد، والذي ربطه الجرجاني بمصطلح المعنى النفسي، كما أن القصد هو الهدف في الانجاز (انجاز المخبر)، والتأويل (تأويل المخاطب)، وهذا كله مرتبط بالسياق بنوعيه.

من خلال ما سبق ذكره أخلص إلى أنّ الدراسات اللغوية العربية ركزت على اللغة كونها وسيلة التّواصل الأساسية؛ ولهذا نجد هذه الوظيفة في كلّ تعاريف اللغة والبلاغة قديما، كما أن العلماء العرب لم يتخذوا العبارة اللغوية موضوع دارسة مستقل عما يلابسه بل ركنا من أركان عملية تواصل تامة العناصر تتضمن متخاطبين ومقاما مع بيان دور المتكلم في صياغة الكلام وإنتاجه، والاعتداد بالسامع في العملية الكلامية، إلى جانب الإلمام بكل العناصر الفاعلة في الإبلاغ.

– ثالثا: التّواصل الاجتماعي في الفكر اللساني الغربي:

سنكتفي ببعض النماذج المعروفة في هذا المجال، لأنه من الصعب استقراء كل النظريات التي حاولت فهم نظام التواصل:

1– الاتّجاه البنيوي:

قبل التطرق إلى موضوع التواصل عند هذا الاتجاه لابد من تحديد مفهوم البنية من منظور اللسانيات.

[1] – محمد حماسة عبد اللطيف، النّحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي، دار الشروق، مصر، ط1، 2000، ص98.

تعني بنية الشيء ما هو أصيل وثابت فيه، لا يتبدل بتبدل الأوضاع والحالات[1]، والبنيوية توجه فلسفي أساسه الشكل المجرد والصورة الظاهرة، وفي اللسانيات الحديثة ظهر هذا التوجه ليشمل النظريات اللغوية التي تعتبر أن اللغات الطبيعية أنساق مجردة يمكن دراسة بنياتها بمعزل عن وظيفتها في التواصل داخل المجتمعات[2].

ويعد العالم اللّغوي السويسري "فيرديناند دي سوسير" مؤسس المنهج البنيوي، حيث ينظر إلى اللغة بوصفها نظاما أو هيكلا مستقلا عن صانعه، أو الظروف الخارجية التي تحيط به، فاللغة هي شبكة واسعة من التراكيب والنظم وهي أشبه برقعة الشطرنج التي لا تتحدد قيم قطعها بمادتها المصنوعة منها، وإنما بمواقعها والعلاقات الداخلية بينها في هذه الرقعة، فكما أن كل قطعة تتحدد قيمتها وترتبط بموقعها على هذه الرقعة، كذلك تتحدد قيمة كل تركيب أو قيمة كل وحدة في التركيب بالنظر إلى هذه التراكيب، وتلك الوحدات[3].

ويمكن أن أشير باختصار إلى أهم أفكار هذا الاتجاه (مدرسة جنيف)، والتي أرى أن لها علاقة بموضوع التواصل وهي:

1-2- ألسنة اللغة وألسنة الكلام:

إن أبرز نقطة أثارها دي سوسير تظهر فيما أسماه بـ: "ألسنية اللغة وألسنية الكلام" حيث ضرب مثالا من أجل تحديد ذلك بأعضاء التصويت التي تعد خارجة عن اللغة، إذ يقول: «مثلها في ذلك مثل الأجهزة الكهربائية المستخدمة في عملية استنساخ أبجدية مورس التي هي غريبة علينا، كما أنّ التصويت أي تنفيذ الصور السمعية لا يمس بشيء من المنظومة ذاتها، ومن هذه الزاوية يمكن تشبيه اللغة بسمفونية واقعها مستقل عن طريقة عزفها والأخطاء التي يرتكبها العازفون لا تؤثر أبدا في هذا

[1]- ينظر: عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص16.

[2]* الطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، البقرة أنموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص2.

[3]_ كمال بشر، التفكير اللغوي القديم والجديد، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1989، ص101.

الواقع»[1]، فألسنية اللغة وألسنية الكلام شيئان متباينان؛ لأنّ ما يعتري اللغة من الخارج لا يصيب إلا الجزء المادي منها مثل التبادلات أو التغيرات الصّوتية، كما أن هذه الأخيرة لا تؤدي إلى تغيير مدلولات كلمات اللغة أو تراكيبها وجملها.

يقول دي سويسري في هذا الباب: «وتشمل دراسة اللسان (Langage) جزأين: الأول جوهري غرضه اللغة (Langue)، ذلك الجانب الذي يتميز بكونه اجتماعيا في ماهيته ومستقلا عن الفرد، وهذا الجانب هو نفسي فحسب، والثاني ثانوي وغرضه الجزء الفردي من اللسان، ونعني به الكلام (Parole) بما فيه التّصويت، وهذا الجانب هو نفسي فيزيائي»[2].

من خلال هذا الكلام يظهر أن سوسير يميز بين ثلاثة مواضيع في الدراسة اللسانية، وهي:

أ– اللسان: بوصفه الظاهرة اللغوية العامة التي تظهر ضمن وقائع لسانية متعددة، وغير متجانسة، ويشمل الجوانب التالية[3]:

– الجانب الفيزيولوجي: الذي يشير إلى قدرة الإنسان النظرية على الكلام سواء في دماغه أو في جهاز التصويت.

– الجانب الفيزيائي: والذي يتمثل في حركة خروج الصوت من الفم في شكل ذبذبات، وانتقاله عبر الهواء إلى أذن السامع.

–الجانب النفسي: وهو المتعلق بالعملية الذهنية والنفسية المسيطرة على الكلام إنتاجا وفهما، وبالإجراء الآلي لإنجاز الكلام.

ب–**اللغة:** من حيث هي قواعد نحوية وقوانين اجتماعية مستقرة بشكل تواضعي في أدمغة الناطقين باللسان الواحد.

[1] – De Saussure, cours de linguistique général, p156.

[2]_ De Saussure, cours de linguistique général, p38.

[3]_ ينظر، الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إبستمولوجية، مرجع سابق، ص71–72.

ج – **الكلام:** من حيث هو إنجاز فردي لقواعد اللغة، فعلى الرغم من الترابط المتلازم بين اللغة والكلام، فهذا لا يمنع من كونهما شيئين متمايزين كليا؛ لأن الكلام ذو طابع حركي، على عكس اللغة فهي ذات مظهر يبدو ثابت ومثال ذلك: قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر لقوله تعالى: ﴿**وَلِتَستَبِينَ سَبِيلُ ٱلمُجرِمِينَ**﴾بالياء وقراءة الباقين بالتاء[1] فالثلاثة ذكّروا لفظ السبيل قراءة على لهجة تميم، والباقون أنثوا الكلمة نفسها على لهجة الحجاز.

فالكلام (Parole) هو نشاط المتكلم الذي يلزم الشخص باستعمال اللغة، وهذه الأخيرة محددة كنظام مكون من مجموعة الدوال وقواعد التأليف، وعليه فكل دراسة لأنواع التواصل يجب أن تأخذ بعين الاعتبار هذه المعطيات فاللغة اتفاق يستجيب لمجموعة من القواعد التي تواضع عليها عناصر المجتمع اللغوي الواحد، والتكلم معناه الخضوع لتلك القواعد.

1-3 – العلامة اللّسانيّة:

إن التعريف التقليدي للعلامة اللسانية، والذي يرى أنّ حدّ الكلمة: «هو ذلك الرابط الذي يجمع بين اسم وشيء»[2]، يراه دي سوسير بعيدا عن الحقيقة، ولذلك عمد إلى تقديم تعريف بديل ويرى فيه أن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم، بل مفهوما أو تصورا (Concept) بصورة سمعية (acoustiqueimage)، وليس المراد بالصورة السمعية هو الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، إنما هو تمثلات هذا الصوت في ذهن المتكلم أو السامع، أي ذلك التمثل الذي تهبنا إياه شهادة حواسنا[3]، ويقدم دليلا من الواقع اللغوي فيقول: «إن الصفة النفسية لصورنا السمعية لتبدوا جيّدا عندما نلاحظ لساننا الخاص، إذ بإمكاننا أن نتحدث إلى أنفسنا، وأن نستظهر ذهنيا مقطعا من الشعر من دون تحريك الشفتين أو اللسان»[4].

فدي سوسير يرى أن العلامة كيان نفسي له وجهان؛ هما: الدال (Signifiant) والمدلول (Signifié)،

---

[1]– ينظر، عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، مرجع سابق، ص13.

[2]– الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، مرجع سابق، ص78.

[3] _Saussure (F.de), cours de linguistique générale, p 107-108

[4]-Ibid, p108.

حين يمثل التصور الذهني (المفهوم) المدلول، أما علاقة الدليل اللغوي بالواقع فهي علاقة اعتباطية، حيث لا يوجد إلا رابط الاتفاق بين الدال الذي يمثل اختيارا صوتيا تواضع عليه أهل اللغة للدلالة به على مدلول معين، وهذا ما أكده بقوله: «وهكذا فإن فكرة "أخت" لا ترتبط بأي علاقة داخلية مع تتابع الأحداث "أ،خ،ت"»[1].

إذن ليس هناك علاقة داخلية منطقية أو طبيعية تعلل هذا الدليل، بمعنى أنه اتفاق يتطلب تعلّما، وحتى يتواصل الفرد عليه أن يخضع لهذه الاعتباطية التي تصير الدوال أدوات للاتصال، وذلك وفق التوافق الاجتماعي[2].

إن مبدأ الاعتباطية يقوم على مبدأ المواضعة (التوافق الاجتماعي)، فهو قريبه الذي لا يفارقه، ويراد بالتوافق الاجتماعي أو بالمواضعة ذلك العقد الذي يتفق فيه أفراد المجتمع الناطق باللسان الواحد على ما يتم استعماله من وحدات، وعبارات يتداولونها في تواصلهم اللغوي، ولهذا عرف دي سوسير التواصل اللغوي بأنه حدث اجتماعي يلاحظ في الفعل الكلامي؛ ولتحقيق دائرة الكلام لابد من وجود شخصين على الأقل[3]، والشّكل التّالي يوضح ذلك[4]:

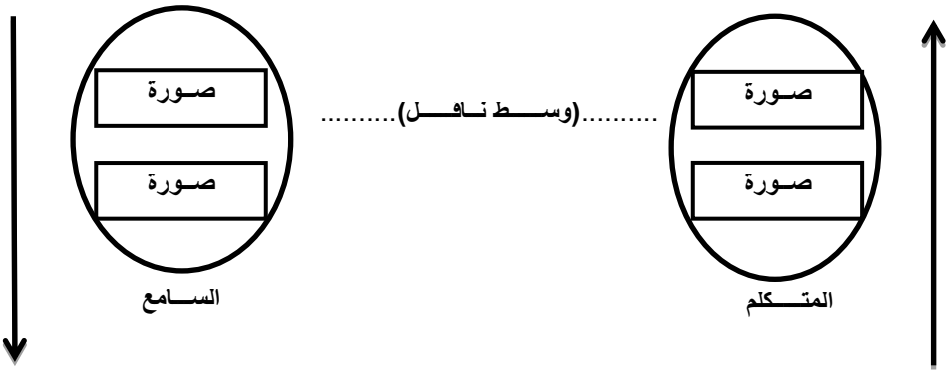

[1]–Saussure (F.de), cours de linguistique générale, p 110.

[2]– جاكبسون، وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، تر: عزالدين الخطابي، زهور حوتي، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1 ،2007، ص195.

[3]– جاكبسون، مونان، ميبكي، هابرماس وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، السابق، ص83.

[4]– انظر: نواري سعودي أبوزيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2007، ص14.

دورة التّخاطب عند دي سوسير:

من خلال المخطط يظهر أنّ دورة التّخاطب تتمّ عندما يحدث شيء في دماغ المتكلم يدفع عضلات النّطق لديه لتنتج الأصوات المناسبة، هذه الأخيرة تنتقل عبر الموجات الصوتية إلى أذن السّامع، ثم إلى دماغه، وباستجابة السامع تنتج دورة كلامية أخرى، وهذه المرّة سيتم النقل من دماغ السامع إلى فمه، ثم إلى أذن ودماغ المتكلم، وهكذا ما دامت المحادثة قائمة، أو بمعنى آخر فإن دورة الكلام عند دي سوسير تبدأ بالصورة الذهنية (المدلول) عند المتكلم وتنتهي بصورة ذهنية مماثلة عند المتلقي، مرورا بترجمتها عند المتكلم في شكل أصوات تتنقل عبر الفضاء الناقل، لتقرع أذن السامع الذي يحولها إلى صورة سمعية (دال) تتقمص هيئة الصوت إلى صورة ذهنية، أو فكرة هي عين ما أراد المتكلم أن يصل إليها، وباستجابة السامع يحدث العكس.

إذن فعملية التواصل الإنساني تتم عبر أكثر من مرحلة:

المرحلة الأولى: هي مرحلة تكوين الرسالة وإطلاقها أصواتا، وهذه تخص المتكلم.

والمرحلة الثانية: هي تلك التي تنتقل فيها الأمواج الصوتية عبر الهواء إلى أن تدق طبلة الأذن عند المستمع، ثم تنتقل إلى دماغه.

أمّا المرحلة الثّالثة: فهي التي يقوم فيها السامع بفك رموز تلك الرسالة الصوتية، والتوصل إلى تركيبها الصوتي والصّرفي والنّحوي، ويستخلص منها المعنى الذي يقصده المتكلم، فهي كالمرحلة الأولى من أعصى المراحل على التحليل والوصف؛ لأنها تتم كلها داخل الدماغ[1]، ثم يحدث العكس بانتقال الرسالة من المستمع نحو المتكلم، وبذلك يحدث التّواصل.

ورغم ذلك فإنّ دي سوسير أهمل جانبا مهما هو السياق (context)، كما أهمل عناصر أخرى كالقناة والوضع المشترك (السنن)، وهي عناصر في غاية الأهمية يتوقف عليها نجاح العملية التواصلية.

[1]- ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللّغة والتّواصل، مرجع سابق، ص37.

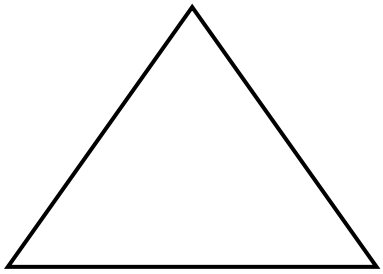

2- الاتجاه الوظيفي:

إن مصطلح الوظيفة في الدراسات اللغوية ارتبط باللسانيات الوظيفية التي تصنف الظواهر اللغوية انطلاقا من وظيفتها الأساسية، وهي وظيفة التواصل، وكلمة وظيفة في الدراسات اللغوية لها معنيان هما: الوظيفة كعلاقة والوظيفة كدور[1]، فالوظيفة كعلاقة هي التي تقوم بين عناصر الجملة كعلاقة الإسناد مثلا، أما المفهوم الثاني فيقصد به: الغرض الذي تسخّر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه[2]، وهو الدور الذي تؤديه اللغة كظاهرة اجتماعية وهو التّواصل.

أمّا الوظيفة عند الاتجاه الوظيفي، فيقصد بها ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والتبليغ والبيان ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة وتابعة لها، وتقوم الوظيفة على ألّا اعتبار للوحدات اللسانية إلا من خلال الدور الذي تلعبه في التواصل[3]، بمعنى أن اللغة وسيلة الإنسان في التواصل والتبليغ، وترتبط بمقوماته الاجتماعية والثقافية والحضارية.

يقول عبد السلام المسدي في كتابه اللسانيات وأسسها المعرفية: «محددا اللغة وظيفيا أنها أداة الإنسان إلى إنجاز العملية الإبلاغية في صلب المجتمع، مما يطوّع تحويل التعايش الجماعي إلى مؤسسة إنسانية تتحلى بكل المقومات الثقافية والحضارية»[4]

---

[1]_ الطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، البقرة نموذجا، مرجع سابق، ص06.

[2]_ أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية (قضايا و مقاربات)، مرجع سابق، ص23.

[3]_ محمد الحناش، البنوية في اللسانيات، مرجع سابق، ص96.

[4]_ عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986 ص31.

والاتجاه الوظيفي ينظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية تربط البنية اللغوية بوظيفة الاتصال[1]، ومن أهم رواد هذا الاتجاه نذكر: أندري مارتيني رومان جاكبسون، وديل هايمز.

وأما نعوم تشومسكي Chomsky)(Noam زعيم المدرسة التوليدية التحويلية فقد طبع الدراسة اللسانية بطابع يخالف ما كان سائدا عن الاتجاهين الوصفي والتجريبي، إذ لم يكن هدف تشومسكي وصف اللغة، بل تفسير الكفاية اللغوية، لهذا اهتم بالشخص المتكلم الذي يمكنه أن ينتج ويفهم عددا لا يحصى من الجمل الجديدة التي لم تسمعها من قبل، وقد ميز بين المعرفة الضمنية للغة أو ما يسمى بالكفاءة اللغوية (Compétence)، وبين الأداء الكلامي (Performance)؛ أي طريقة استعمال الكفاءة اللغوية بهدف التواصل، ويظهر تمييزه للكفاءة اللغوية بأنّ من خصائصها أنها قادرة على استنتاج عدد غير محدود من التراكيب، وقادرة على تقديم التفسير الشافي لتلك البنى المنجزة في الواقع، وذلك وفق النظام القواعدي لواقع اللغة.

يقول تشومسكي:«إن اللغة والتواصل يلعبان دورا خاصا وأساسيا في الحياة البشرية، وقد حلل وناقش العديد من العلماء ورجال الفكر والمعرفة مسائل اللغة والتواصل على عكس ما فعل علماء النفس ذلك أنهم لم يضيفوا إلا النزر اليسير لذلك المجهود العام ....، إن الحدث الأساسي الذي نواجهه ونحن نبحث في اللغة، والسلوك الإنساني هو كالآتي: يستطيع كل شخص أن يفهم عددا هائلا من الجمل المعبّر بها في لغته الأم تلك الجمل التي يسمعها لأوّل وهلة، وبوسعه في أي وقت شاء أن يعبّر شفويا بعبارات جديدة يفهمها الناس بنفس طريقة مالِكي تلك اللغة»[2]، وقد حاول دراسة اللغة بعيدا عن وظيفتها التواصلية، حيث يرى أن اللغة شيء والتواصل شيء آخر، وهذا واضح من خلال حديثه عن ماهية اللغة، والفرق بينها وبين من يقول بلغة الحيوانات ولغة النحل، يقول في هذا الصدد :«... ما الذي يعد لغة؟ فإذا كان المقصود باللغة "اللغة البشرية" فذلك يعني بالضرورة نفي اللغة عن جميع الحالات السابقة أما إذا فهمنا اللغة على أنها النظام الرمزي أو نظام التّواصل؛ فإن

[1]_ جعفر دك الباب، النظرية اللغوية العربية الحديثة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص61.

[2]_ نور الدين رايص، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، السابق، ص193.

جميع ما ذكر من أمثلة يصبح لغات، شأنه في ذلك شأن العديد من الأنظمة المختلفة الأخرى»[1]، فهو بذلك يبيّن أن مصطلح اللّغة خاص بالبشر، وأن الأنظمة الأخرى لا تكون سوى أنظمة تواصل، ويقول أيضا: «اللّغة ليست لها وظيفة جوهرية خارج الوظيفة العامة التي هي التعبير عن الفكر الإنساني، وإذا كانت للغة وظيفة فلا وجود لرابط مهم بين وظيفتها وبنيتها، فالبنيات التركيبية للغات البشرية هي نتاج للخصائص الفطرية للفكر الإنساني، وليس لها أي علاقة معنوية مع التواصل، رغم أن الناس يستخدمونها من أجل التواصل، إن ما هو جوهري في اللّغات هي خصائصها المحددة في بنيتها»[2].

رغم اعتراف تشومسكي بأنّ النّاس يستخدمون اللّغة من أجل التّواصل إلا أنه يعتبر ذلك شيئا عرضيا، ويرفض أن تكون وظيفة اللغة الأساسية هي التّواصل، بل يجب أن ينظر إليها على أنها مرآة للفكر (وظيفة التعبير عن الفكر)، ويؤدي ذلك إلى أن دراسة الكلام عليها أن تتم خارج المقام الاجتماعي، وحجته في ذلك قوله: «قد نكتب نصا ما دون أن نكون عازمين على نشره أو مخاطبة أحد ما به على الإطلاق»[3].

فالنّظرية التوليدية التحويلية تتساءل حول: «معرفة اللغة التي تضع الكلام في فعل حقيقي، وذلك من طرف المتكلم المستمع»[4]، ففي إطار هذه النظرية اللسانية حدد تشومسكي منطلق هذه النّظرية في كون الإنسان هو متكلّم ومستمع مثالي ينتمي إلى بيئة لغوية متجانسة تماما، ويتقن لغته جيدا، ولا يتأثر حينما يمارس معرفته اللغوية في ظروف الإنجاز الفعلي بقيود غير واردة نحويا[5]، ورغم أن الملكة اللسانية عند تشومسكي تتعلق بالعناصر والبنى اللغوية، إلا أنها وصفت اللغة بمعزل عن

[1] _Chomsky Naom, théorie du language,et de l'apprentissage Ed, seuil, paris,1979,p03.

[2] _Chomsky Naom, théorie du language, p71.

[3] _ أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية (قضايا و مقاربات)، مكتبة دار الايمان، الرباط، المغرب، ط1، 2006، ص24.

[4] _ Chomsky Noam, Aspectes de la théorie syntaxique, traduit par, Jean Claud Miluer, Edition seuil, paris, 1965, p19.

[5] _ Chomsky Noam, Aspectes de la théorie syntaxique, p12.

حالات استعمالها في الواقع الاجتماعي بحسب مقاصد الأفراد وحاجاتهم في أحوال التّخاطب اليومية.

فالملاحظ أن منهج النظرية التوليدية التحويلية عقلي همّه الوحيد في الدراسة هو استكشاف تلك القدرة الكامنة وراء الحدث الفعلي لحركية اللّسان، ثم السّعي من أجل تعليله وتفسيره بدلا من وصفه وتقريره

2-1- وظائف التواصل اللغوي عند رومان جاكبسون:

أ- **الوظيفة التعبيرية**(la fonction expressive): وقد فسّرها جاكبسون قائلا: «إن الوظيفة المسماة تعبيرية التي تتمحور حول المرسل تهدف إلى التعبير المباشر عن موقف الفرد مما يتكلم عنه، فهي تنزع إلى إعطاء الانطباع بوجود انفعال ما صحيح أو مصطنع»[1].

فهذه الوظيفة تحدد العلائق بين الرسالة والمرسل، وتشير بصورة مباشرة إلى موقفه من مختلف القضايا التي يتكلم عنها، وهي تنزع إلى تقديم انطباع معين عن انفعال المتكلم سواء أكان صادقا أم كاذبا، وتتمثل في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر والعواطف، وتتعلق بالعبارات والعناصر اللغوية التي تخص موقف المتكلم أثناء تبليغ خطابه، كاستخدام أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتعجب مثلا.

ب- الوظيفة الندائية (La Fonction Conative):

وتسمى التأثيرية، أي اعتماد اللغة للتأثير، وهي وظيفة تحدد العلاقات بين الرسالة والمستقبل؛ لأن غاية كل تواصل على رد فعل أو استجابة من هذا المستقبل، وتظهر هذه الوظيفة في المراسلات التي تتوجه إلى المرسل إليه لإثارة انتباهه، أو للطلب منه القيام بعمل معين، وتدخل الجمل الأمرية في هذه الوظيفة[2].

[1]- Roman Jakobson, Essais de de linguistique generale,T1, p216.

[2]- ينظر: نور الدين رايص، سر التواصل، التعبير الشفوي والتعبير الكتابي، مطبعة أنفو، فأس، المغرب، دط، دت، ص50

ج- الوظيفة الانتباهية (La Fonction Phatique):

تعمل هذه الوظيفة على تحقيق عملية التواصل بين المتكلم والسامعين، أو تمديده أو إيقافه، «كما تعمد إلى التأكد من فاعلية التواصل مثل ما يحدث عند قولنا، ونحن نتكلم هاتفيا: "ألو، أتسمعني؟"، أو إلى لفت انتباه المتحدث من عدم إهماله الخط الهاتفي: "قل أتسمعني ؟

وقد ذكر ذلك جاكبسون بقوله: «كم من رسالة تستعمل بصورة أساسية لإقامة التواصل أو إطالته أو قطعه، وكذا للتحقق من أنّ المدار الكلامي يعمل للفت انتباه المستمع، أو للتأكد من أن التّواصل لم يضعف ... وهذا التّأكيد على الاتصال بإمكانه أن يتيح الفرصة لتبادل العديد من العبارات، وحتى عند محادثات كاملة موضوعها الوحيد إطالة الحوار ... وتكون وظيفة إقامة الاتصال هي الوظيفة الكلامية الأولى التي يكتسبها الأطفال، لإرسال الرسائل الحاملة للمعلومات وعلى استقبالها»[1].

د- الوظيفة الشعرية la fonction poétique:

وقد سماها بالشعرية؛ لأن «الشعر يصور الجانب الجمالي للغة أحسن تصوير، بما يشتمل عليه من موسيقى داخلية وخارجية وتحسينات بديعية، وصور بيانية»[2].

والوظيفة الشعرية ليست هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة، إلا أنها تعتبر وظيفتها المهيمنة، في حين أنها لا تلعب ضمن الأنشطة اللفظية الأخرى سوى دور ثانوي وإضافي، لذلك فإن اللساني الذي يعالج الوظيفة الشعرية لا يمكنه أن يقتصر على مجال الشعر لوحده، كما أن هذا الأخير لا يمكنه أن يقتصر على الوظيفة الشعرية فقط، لذايقتضي مساهمة الوظائف اللفظية الأخرى، فالشعر الملحمي يركز على الغائب، ويعتمد بكثرة على الوظيفة المرجعية، أما الشعر الغنائي الذي يركز على المتكلم، فهو مرتبط بالوظيفة الانفعالية، أما الشعر المهتم بالمخاطب فيرتبط بالوظيفة التأثيرية[3].

---

[1]- R- Jakobson, Essais de de l'linguistique generale,T1, P217.

[2]- نصر الدين بن زروق، دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، ط1، 2011، ص19

[3] - جاكبسون، مونان، ميكي هابرماس وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، مرجع سابق، ص 72.

هـ- الوظيفة الميتالغوية (la fonction Métalinguistique):

وتسمى ما وراء اللغوية أو الميتا ليسانية، كما تسمى الوظيفة التفسيرية أو اللسانية (الواصفة)، وتظهر هذه الوظيفة في المرسلة التي تتمحور حول اللغة نفسها، فتتناول بالوصف اللغة ذاتها، أي أن اللغة تصبح موضوع التحليل دون الشعور بذلك، فهذه الوظيفة تشمل تسمية عناصر البنية اللغوية، وتعريف المفردات وشرحها[1]، والجدير بالذكر أن العمليات الميتالغوية نستعين بها في تعليم اللغة أي ضمن اكتساب الطفل للغته الأم.

و- الوظيفة المرجعية (la fonction référentielle): وهي أساس كل تواصل؛ لأنها: «تحدد العلاقات القائمة بين الرسالة والموضوع الذي ترجع إليه؛ لأن المسألة الأساسية تكمن في صياغة معلومة صحيحة عن المرجع وتكون موضوعية، ويمكن ملاحظتها والتأكد من صحتها»[2]، فالمتكلم يهدف للإشارة إلى محتوى معين يرغب في إيصاله للآخرين.

نستنتج أنّ كلّ عنصر من عناصر التواصل تنتج عنه وظيفة لسانية متميزة، وتجدر الإشارة إلى أنه من الصعب العثور على رسائل لا تقوم إلا بوظيفة واحدة؛ لأن تنوع الرسائل لا يكمن في هيمنة هذه الوظيفة أو تلك بل في الاختلافات فيما بين هذه الوظائف،بالرغم من أن الوظيفة التقريرية أو المعرفية أو المرجعية هي الوظائف المهيمنة في العديد من الرسائل فإن الوظائف الثانوية الأخرى لها أهميتها ضمن العملية التواصلية.

أما العالم اللساني"**ديل هايمز**"فقد تجاوز الاتجاه البنيوي المقتصر على البنية من جهة والكفاءة اللغوية الصرفة التي يسعى الاتجاه التوليدي لتحقيقها من جهة ثانية إلى كفاءة أخرى هي الكفاءة الإجرائية التواصليةّ communicative "[3]، فهو يرى أن القدرة اللغوية هي أوسع من أن تكون

[1] – نور الدين رايص، سر التواصل، مرجع سابق، ص 54.

[2] – نور الدين رايص، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرجع سابق، ص 105.

[3]– أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2006 ص46.

ملكـة ذهنيـة لقواعـد اللغـة، بـل تتمثـل في القـدرة على التواصـل الـذي هـو الوظيفـة الأساسية للغـات عامة، وهذا هو الذي يناسب الطبيعة الإنسانية والاجتماعية للغة[1].

ولقد وضع هايمز مصطلح (الملكة التواصلية) في مقابل ثنائية تشومسكي (الملكة والأداء) حيث يسعى إلى إيجاد نظرية تركز على الوظائف أكثر من تركيزها على البنية، واعتبار المنطلق ليس هو المنشأ اللغوي بل هو النشاط اللغوي للمتكلم، ويرفض هايمز التكلم عن اللغة الموحدة المقتصرة على نظام موحد، ويؤكد على تمثل اللغة في عدة أنظمة يطبقها المتكلم بفعالية أو بسلبية حسب الظروف المحيطة به.

فالملكة التّواصلية حسب هايمز: «تأخذ في الاعتبار العلاقة الفعلية بين اللّغة والثّقافة في الكلام الحي»[2]، فهو يرفض إهمال العناصر الثقافية والاجتماعية عندما يتعلق الأمر بتعليم اللغة، مع الحرص الشديد على العناصر اللّغوية لأن الطفل العادي «يكتسب معرفة بالجمل اللغوية، ليس كجملة سليمة نحويا، وإنما كونها ملائمة أو غير ملائمة فهو يكتسب الملكة التي تعلمه متى يتكلم، ومتى لا يتكلم، كيف يتكلم؟، مع من؟، في أي وقت؟ أين؟ وبأي طريقة؟، مشاركا في الأحداث الكلامية، مقوّما للكيفية التي ينجز بها الغير هذه الأفعال»[3]؛ بمعنى أن القدرة التواصلية لا تقتصر على معرفة النّسق اللغوي، وإنما تتجاوزه إلى معرفة كيفية استعمال اللغة في السياق الاجتماعي لأنّ الأمر الذي يحكم استخدامنا لتركيب لغوي ما في التّعبير عن وظيفة لغوية ما هو العلاقة الاجتماعية، وهذا ما جعل هايمز يصرح بأن الكفاءة التّواصلية أهم من سابقتها (أي الكفاءة اللغوية)، وأولى منها بالدراسة والتحليل لأنها قدرة اجتماعية حية ظاهرة للعيان في صورة رسالة أو حوار بين مرسل متحدث

[1]- يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر الألسنية، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 20، العدد3 1989، ص94.

[2] -Dell h . hymes, vers la compétance de communication, traduction de mugler (f) Marshude, les etion dihier, paris, 1991, p121.

[3]-Sophie Moirand, Enseigner a communiquer en langues étrangères, coll. (f) Hachette, paris,1982,p19.

ومستقبل سامع، فإذا كانت الكفاءة اللغوية تعني المعرفة بقواعد اللغة فقط، فإن هذه الكفاءة هي معرفة بأساليب الاتصال بالإضافة إلى المعرفة بالقواعد»[1].

ويتضح مما سبق أن الكفاءة التواصلية أشمل وأعم من الكفاءة اللغوية، فهي لا تتضمن عناصر البنى اللسانية التي تمكن الفرد من التعبير السليم فقط، بل تتضمن إضافة إلى ذلك قواعدها الاجتماعية، ومعرفة سياقاتها، وطرائق استعمالها بحسب مقتضيات أحوالها.

ومن أهم العلماء الذين تأثروا بمنظور ديل هايمز الباحثة الفرنسية صوفي موران (Sophiemoirant)، والتي ترى أن الكفاءة التواصلية التبليغية تتكون من[2]:

أ-المكون اللّساني la composante linguistique:

أي معرفة النماذج الصوتية والدلالية والتركيبية، والنّصية لنظام اللغة، ومعرفة استعمالها.

ب- المكون المرجعيréférentielle :

وهو معرفة مجالات التجربة الإنسانية، وموجودات العالم، والعلاقات القائمة بينها.

ج - المكون الخطابي la composantediscursive:

وهو معرفة مختلف أنواع الخطابات، وتنظيماتها، وتشكيلاتها، وفق الوضعيات التواصلية التي تنشأ فيها.

د- المكون الاجتماعي والثقافيsocioculturelle :

والمقصود به معرفة القواعد الاجتماعية، ومعايير التفاعلات بين الأفراد والمؤسسات، معرفة التاريخ والثقافة والعلاقات بين الموضوعات الاجتماعية، ثم معرفة استعمالها[3].

فالعملية التّواصلية لا تتوقف عند مكون واحد من المكونات السابق ذكرها لإنتاج وتفسير الخطابات، وإنما تتضافر جميعها لتحقيق القدرة التواصلية لدى المتعلم، وتتحدد انطلاقا من هذه المكونات الاستراتيجيات التّعليمية للنّشاط اللّغوي.

[1]- عبد العزيز إبراهيم العصيلي، النظريات اللغوية والنفسية وتعليم العربية، مطابع التقنية، الرياض، 1999، ص 112.

[2] - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص20.

[3]-Sophie Moirand, Enseigner a communiquer en langues étrangères, p20.

أما "سيمون ديك" فيرى أن الكفاءة التّبليغية ليست نسقا بسيطا، ولكنّها نسق مركب من عدة كفاءات صغرى هي:

أ- **الكفاءة اللّغوية**: وهي التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن ينتج ويؤول بطريقة صحيحة خطابات ذات بنى بسيطة أو معقدة في مقامات تواصلية مختلفة.

ب- **الكفاءة المنطقية**: وهي التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية بوصفه مزودا برصيد من المعارف المختلفة أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي.

ج- **الكفاءة المعرفية**: وبها يستطيع مستعمل اللغة الطبيعة أن يكوّن رصيدا من المعارف المنظمة، ويستطيع أن يختار هذه المعارف بالشكل المطلوب، وأن يستدعيها عند الحاجة لاستعمالها في تأويل الخطابات.

د- **الكفاءة الإدراكية**: وهي التي تمكن الفرد من أن يدرك محيطه، وأن يشتق معارف من هذا الإدراك، وأن يستعمل تلك المعارف في تأويل الخطابات وإنتاجها.

هـ- **الكفاءة الاجتماعية**: يستطيع مستعمل اللغة أن يدرك العناصر السوسيو نفسية التي تصاحب إنتاج الخطاب وتأويله، أي يعرف متى يخاطب؟، ومن يخاطب؟، ولماذا يخاطب ذلك الشخص في تلك الحال؟ ولأي غرض؟ ... الخ [1]؛ وبهذا تعد الكفاءة التواصلية مكملا أساسيا للكفاءة اللغوية؛ فهي تقتضي تمكن المتكلم من إحكام التعبير والكلام وعادات المتكلمين في ذلك، وهي تتطلّب حيازة معرفة مهارية براغماتية لما يتعلق بالأعراف الحديثية[2].

وخلاصة القول: أن الوظيفية اتجاه لساني يهتم بدراسة اللغة كونها أداة يتوسلها أفراد مجتمع تلك اللغة لتحقيق أهداف تواصلية معينة، ويكمن جوهر اهتمام الوظيفيين في محاولة الإجابة عن السؤال

[1] – ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص20-21.

[2]– الطاهر لوصيف، منهجية تعليم اللغة وتعلمها، رسالة ماجستير، إشراف خولة طالب الإبراهيمي، جامعة الجزائر، 1996 ص203.

التالي: لماذا تستعمل اللغة؟ لذلك فهم يحللون اللغة في ارتباطها بالوظيفة التي تؤديها من جهة والبيئة الاجتماعية، وتضافر العناصر من جهة أخرى.

3- الاتجاه التّداولي (la pragmatique):

البحث اللّغوي مقصورا على الجملة و دراسة تراكيبها الصوتية و الصرفية و النحوية و الدّلالية إلى منتصف القرن العشرين في غياب النّظرية اللّغوية التّي تتجاوز البحث في إطار الجملة إلى فضاء أرحب و أوسع في عملية التّواصل و الإبداع، و هو ما كانت تطالب به نظرية فيرث السّياقية بتوسيع مجال بحث علم اللّغة ليشمل السّياق أو المقام، و لم تعد دراسة الظّاهرة اللّغوية منحصرة في معرفة الأصوات والتّراكيب، بل انفتحت على أنساق معرفية مختلفة، تتقاطع مع العلوم الإنسانية والاجتماعية في أغلب فروع المعرفة كاللّسانيات الاجتماعية واللّسانيات النّفسية، والإعلامية والحاسوبية، والقانونية والتّربوية، وأصبحت اللّسانيات جسراً تعبره كلّ العلوم في محاولة لتحصين مواقعها ونتائجها، على حدّ تعبير الأنثروبولوجي الفرنسي" كلود ليفي ستراوس *claude lifistraus*".

و ظهر اتّجاه جديد و محوري لعلم اللّغة "انتقل من الخواص التّركيبية و الدّلالية الدّاخلية للنّظام إلى وظيفة اللّغة في بنية معقّدة للتّواصل الاجتماعي"[1]. أو بعبارة أخرى؛ الانصراف من علم اللّغة القائم على النّظام إلى علم اللّغة القائم على التّواصل، و في خضم التّنافس القائم بين المنحى الشّكلي الصّوري، و المنحى الوظيفي التّواصلي الذي ظهر متأخرا عن الأوّل بعض الشّيء، في هذه الظّروف ظهر تيار فلسفي جديد يحمل مفاهيم و رؤى جديدة، يجمع بين فروع علمية متعددة، يهتّم بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال في إطار التّواصل و التّفاعل، هذا الاتّجاه الجديد يُسمى بالبراجماتيّة Pragmatics أو "التّداولية" يكون أداة مفيدة في وصف و تفسير الظّاهرة اللّغوية كما تتجلى فعلا في العلوم الإنسانية و الاجتماعية بشكل عام، و لن يتحقّق ذلك إلّا في وجود ذوات و وجود لغة تتواصل بها هذه الذّوات [2].

[1]- جرهارد هلبش،تطوّر علم اللغة منذ 1970م، مرجع سابق،ص25.

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 14 ومابعدها,

إنّ البيئة التّي نشأ فيها الفكر التّداولي و الظّروف الثّقافية و التّنوّع المعرفي، كلّها عوامل تبعث على اتّساع المفهوم، وعدم الإحاطة بتعريف جامع مانع، خاصّة لدى لغوييننا العرب، ولذلك ترجم الفيلسوف المغربي طه عبد الرّحمن مصطلح البراجماتية إلى "التّداوليّات"، ويقول باحث آخر: لا توجد تداولية واحدة بل تداوليات متعددة يوحّدها العنصر الشّكلي لممارسة سلطة المعرفة في إطار إستراتيجيات توجيه الخطاب والحوار هذه التّداوليات هي: تداولية البلاغيين، وتداولية السّيكولوجيين، و تداولية اللّسانيين، و تداولية المناطقة و الفلاسفة.

وتُرجم مصطلح "Pragmatics" إلى العربية بعدّة ترجمات منها البراجماتية، والبراغماتية، والتّداولية، والتّبادلية والمقامية، والسّياقية، و الاستعمالية، والتّخاطبية، و الوظيفيّة، والنّفعية و الذّرائعية، أمّا البراخماتية و البراغماتية فليس بينها فرق وهي منقولة حرفيا للمصطلح الأجنبي، و أما بقية المصطلحات فهي عربية، لكن لا يُسمح باستعمالها مترادفة على حدّ تعبير الكثير الباحثين، وأشهر هذه المصطلحات شيوعا بين العلماء العرب هو مصطلح "التّداولية" للدلالة على كلمة Pragmatics الإنجليزية، الذّي استخدمه المتوكّل في كثير من مؤلفاته، خاصّة في كتاب "اللّسانيات الوظيفية، مدخل نظري"وربّما يعود سبب كثرة التّرجمات إلى الوظائف التّي تؤديها اللّغة في المجتمع، وهي التّواصل والتّخاطب والتّداول و المقام والسّياق والوظيفة و المنفعة، أو لأنّ البراجماتية مفهوم غامض تتقاذفه مصادر معرفية عديدة، وذلك لسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة، "هذا بالإضافة إلى أنّها تتداخل مع علوم أخرى ممّا جعل مجالها ثريّا وواسعا وعسيرا"[1]و هي تشغل اهتمام المناطقة و السّميائيين والفلاسفة و السّوسيولوجيين و السّيكولوجيين و البلاغيين و علماء التّواصل، و اللّسانيين . . . وبذلك فهي على مستوى التّحليل، لا يمكن أن نصنّفها في أي من المستويات، ولا تدرس جانبا محددا في اللّغة، بل تستوعبها جميعا، و ليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية[2]،و استطاعت أن تدعم الاتجاه الوظيفي في إقامة الرّوابط العلمية بين فروع علمية متعدّدة، "فالخطاب التّداولي خطاب

[1]– د.خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 2009م، ص63.

[2]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م، ص 10.

معرفي عام رصد مسالك الاستدلال وطرق معالجة الملفوظات، لأنّها الكفيلة بهذه الغاية في إطار التّواصل و مقتضياته التفاعلية"[1]

3-1- مفهوم التّداولية:

التداولية توجه معرفي يعنى بخصائص استعمال اللغة، والدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية والدلالية[2].

وتتحدّد التّداولية عند مؤسسها "جون لانغشاو أوستين" على أنّها: «جزء من دراسة علم أعم، هي دراسة التّعامل اللّغوي من حيث هو جزء من التّعامل الاجتماعي»[3]، وبهذا التعريف ينتقل "أوستين" باللغة من مستواها اللّغوي إلى مستوى آخر هو المستوى الاجتماعي في نطاق التّأثير والتّأثر.والتّداولية هي:«دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التّواصل؛ لأنها تشير إلى أن المعنى ليس متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى هي تداول اللّغة بين المتكلم والسّامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما»[4].

كما تركز التّداولية على الهدف من الخطاب والقصد منه، من خلال الحدث اللّغوي في مقام معين، فهي تهتم " بدراسة اللّغة التّي يستعملها المتكلم في عملية التّواصل، وعوامل المقام المؤثرة في اختياره أدوات معينة دون أخرى للتّعبير عن مقصده"[5]. فالقصدية شرط من شروطها، و التداولية عند بعض المفكرين هي"إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللّغوي، و التّعرّف على القدرات الإنسانية للتّواصل اللّغوي، إذ تتطرق التّداولية إلى اللّغة كظاهرة خطابيّة،و تواصليّة، واجتماعيّة معًا"[6]، وهنا

---

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص15.

[2]-نعمان بوقـرة، اللسانيات، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص16.

[3]- راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب، مجلة الموقف الأدبي، اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، ع399 2004، ص56.

[4]- حامد أحمد طاهر، الوصايا النبوية، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 2005، ص387.

[5]- براون و سيرل، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي و منير التركي، جامعة الملك سعود، 1997م، ص 32.

[6]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 16.

يقتضي الإشارة إلى العلاقة القائمة بين التّداولية و الحقول المعرفية المختلفة، فهي حلقة وصل بين الكثير من المعارف، وأنّ أقرب حقل معرفي إلى **"التداولية"** في رأي الباحث مسعود صحراوي هو حقل **"اللّسانيات"**، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بدّ من البحث في الصّلة التي يتقاطع فيها هذا العلم التواصلي الجديد مع بقية العلوم، منها الفلسفة التّحليلية و علم النّفس المعرفي و علوم التّواصل و اللّسانيات، حيث أنّها تلتقي في عدّة مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التّخاطب،و الاستدلالات التّداولية، و العمليات الذّهنية لإنتاج الكلام وفهمه، و علاقة البنية بملابسات الاستعمال.

فالتّداولية تدرس التّواصل اللغوي في إطاره الاجتماعي، وهذا الأخير يفرض خصوصيات تؤثر في الفعل الكلامي، والفعل الكلامي حسب ما كتبه "ج.ل أوستين" وتلميذه "ج سيرل": «هو التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام»[1]، فالكلام في نظرهم ما هو إلا عبارة عن إنجاز أفعال؛ ولهذا انصب اهتمامهم على تحليل اللغة انطلاقا من تحليل أفعال الكلام معتبرينها أساسا لكل فعل تواصلي، كما يجمعون على أن الوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق التواصل، وأن تفسير الجمل ومعانيها يجب أن تراعى فيه القواعد، وكل الملابسات المحيطة بالخطاب[2].وقد كانت نظرية أفعال الكلام (كيف ننجز الأشياء بالكلام) لأوستين سابقة لتلك الدراسة، حيث صنف الجمل في نظريته إلى صنفين:

أ- جمل خبرية واصفة phrases constatives.

ب- جمل إنشائية إنجازية phrases performative.

وللتمييز بين الجمل الواصفة والجمل الإنجازية يرى أن تكون هذه الأخيرة غير محتملة لخاصيتي الصدق والكذب، وأن تشكل فعلا أو عملا معينا أثناء النطق بها[3].

[1]- المرجع نفسه، ص 8.

[2]- يوسف تغزاوي، التداوليات وتقنيات التواصل، مطبعة بنلفقيه، المغرب، ط1، 2012، ص 14.

[3]- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص 108.

ولتكون جملة ما إنجازية حدد شروطها فيما يلي[1]:

- أن يكون الفعل الرئيسي للجملة من طبقة الأفعال الإنجازية (قال، وعد، ...).
- أن يكون المتكلم هو الفاعل.
- أن يكون زمن الفعل الزمن الحاضر.

فهذه العبارات الإنجازية لا تصف شيئا، ولكنها تفعل شيئا، وتشكل في ذاتها أفعالا، والإنجاز ذاته يتطلب إلى جانب الملفوظ اعتبارات أخرى كالسياق، والظروف، والشخصيات المنجزة للفعل، وإذا غابت إحدى هذه الاعتبارات، فإننا لا نقول إن الفعل (التلفظ) قد وقع (أنجز)، وبذلك يصبح عبارة عن معطيات غير منجزة.

3-2- أفعال الكلام عند أوستين و سيرل:

وقد ذهب إلى أن الفعل الكلامي الكامل ينقسم إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي:

أ- **فعل القول**: ويتمثل في تلفظ المتكلم للجملة، أي «إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة»، ففعل القول يتضمن:

- فعلا صوتيا: ويشمل التلفظ بسلسلة من الأصوات.
- فعلا تركيبيا: فالمتكلم يؤلف مفردات طبقا لقواعد لغته.
- فعلا دلاليا: أي توظيف الأفعال حسب معان محددة.

ب- **الفعل المتضمن في القول**: هو الفعل الإنجازي الحقيقي، فهو عمل ينجز بقول ما[2]، ومن أمثلة ذلك: السؤال، الإجابة على السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، أمر، شهادة في محكمة.

ج- **الفعل الناتج عن القول**: ويسمى فعل التأثير، ويتمثل في إحداث تأثير في المخاطب من خلال الفعل الإنجازي، بمعنى أن المتكلم من خلال القيام بفعل القول، وما يصاحبه من فعل متضمن في القول.

---

[1]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، 1989، ص19.

[2]: Austin-John,Quant dire C'est faire, p113.

ذلك[1]: **الفعل الكلامي الشّكل رقم (01)**

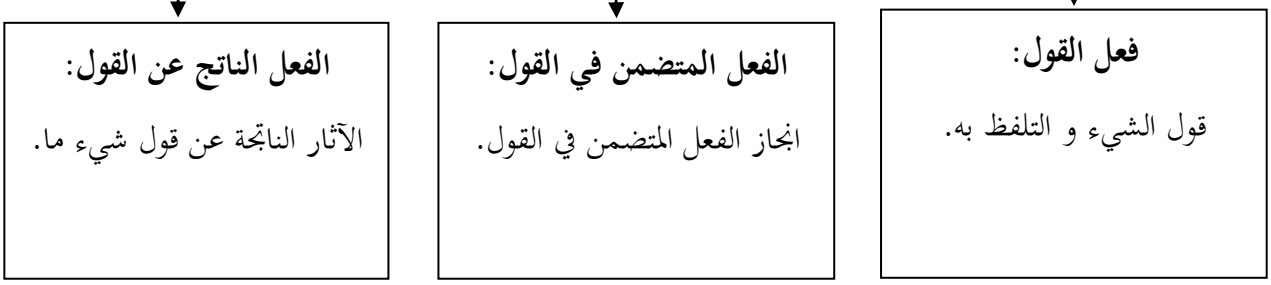

الأفعال الكلاميّة عند أوستين

وقد أضاف "سورل" فعلا رابعا إلى الأفعال التي اقترحها "أوستين" وسمّاه الفعل القضوي، وقسمه بدوره إلى فعل إحالي وفعل حملي، فالفعل الإحالي يظهر في الإحالة على شيء أو حدث أو شخص، ويتجلى الفعل الحملي في حمل العبارة لذات من الذوات، ولذا فكل جملة تكون تحمل أربعة أفعال تنجزها أثناء فعل التلفظ بها، وهي[2]:

أ–الفعل التلفظي: وهو تلفظ كلمات وجمل.

ب **الفعل القضوي**: ونقوم به حين نحيل على شيء، ونحمل عليه عبارة ما.

ج– **الفعل الإنجازي**: ونقوم به حين نسأل، أو نخبر، أو نعد، أو نأمر.

د– **الفعل التأثيري**: ونقوم به حين يحدث فعلنا الإنجازي أثرا لدى المخاطب.

ففي المثال: أخبرك بأن أعود، يمثل الفعل (أخبرك) الفعل الإنجازي (الاخبار)، بينما يمثل (أن أعود) المحتوى القضوي(العودة)، وقد لاحظ "سورل" أنه لا توجد عبارات تحوي قوة إنجازية واحدة، ومثال ذلك: الجو حار هنا تحتوى على قوتين إنجازيتين على الأقل، فقد يعني هذا القول الأمر (فتح النافذة)، أو (لنغيّر هذه القاعة)، أو بتقديم موقف ما (لا أستطيع النوم في هذه الغرفة)، أو (أريد تشغيل المبرد).

[1]،أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مرجع سابق ص58.

[2] – أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، مرجع سابق، ص29.

وعليه أقول: إنّ الاتجاه التداولي اهتم بالفعل الكلامي، وبالظروف المحيطة به، حيث أن لكل فعل قيمة يكتسبها تدفع السامع إلى القيام بشيء، كفعل فتح النافذة بمجرد سماع عبارة "الجو حار"، أو إطفاء المدفأة، فاللغة تنتج في وضعيات تواصلية، وأثناء عملية التواصل لا ينتج المتكلم جملا معزولة، وإنما ينتج خطابا أو حوارا يتجسد في أفعال كلامية،فمعطيات التّداول ليست مجرد خطاب لغوي، بل تتجاوزه لدراسة رد فعل المستقبل في المرسل نفسه ولذلك لم تكن مكتفية بالعلاقة بين المرسل، والعلامة، أو بين العلامة والمستقبل، بل تحاول دراسة العلاقات المتبادلة بين المرسل والمستقبل عبر رسالة اتصالية.

إن الاتجاه التداولي اهتم بظاهرة التواصل اللغوي باعتبار أن التواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، كما اهتم بدراسة أفعال الكلام التي يقوم بها المتكلم أثناء عملية التخاطب باعتبارها أساس التواصل اللغوي؛ لأن كل فعل تواصلي هو تعبير عن أغراض المتكلم اتجاه المستمع، إذ تتخذ الأفعال اللغة قناة يتم عبرها نقل تلك الأغراض حسب المقامات التواصلية.

وخلاصة القول:إنّ الاتجاه التداولي يهتم بدراسة التواصل بشكل عام بدءا من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها لإحداث الكلام قصد محدد، إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات في السامع وعناصر السياق، وقد أسهم هذا الاتجاه بأبعاده في توجيه طرائق التعليم إلى الاهتمام باللغة في مواقفها الحية.

الفصل الثّالث

الازدّواج اللّغوي في الجزائر

أوّلا: الوضع اللّغوي في الجزائر:

قبل أن نخوض في تفصيل القول حول مشكلة الازدواج اللّغوي في الجزائر، فإنّه ينبغي أن نركز على بعض الملاحظات و بعض المعطيات التاريخية في غاية الأهمية.

توطئة: إنّ المجتمعات الإنسانيّة شهدت على مرّ العصور تحوّلات عدّة في مختلف الميادين، الأمر الذي كان له الأثر الكبير، على طرائق التّواصل الاجتماعي، بين أفراد المجتمع الواحد، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات، شهد الكثير من التّحولات، والظّروف التّاريخية التي تعاقبت على أرضه والتي جعلت منه مجتمعا متعدّدا لغويا، إذ يتنوّع الوضع اللّغويّ في بلادنا بتنوع ثقافات المجتمع ولغاته، فنحن نعيش وضعية لغوية مميزة وهي "وضعية معقّدة بسبب وجود عدّة لغات أو بالأحرى عدّة تنوّعات لغوية"[1]، والمتمثلة في اللّغات الوطنية ولهجاتها واللّغات الأجنبيّة.

فاللّغة أهم مقوّمات المجتمع لأنها أساسه، وكيانه، ووعاءه الحافظ لتراثه، وهي التّي تميّزه عن غيره من المجتمعات، باعتبار أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة، « فهي كائن حي مثل الكائنات الحية الأخرى، تعيش قوية أو ضعيفة تصارع من أجل البقاء والنّماء والفاعلية »[2] وبذلك فهي تؤثر وتتأثر بما حولها من أحداث وأوضاع، وتعكس كلّ المظاهر التي تقع في المجتمع من قوة وضعف؛أي تعكس الواقع الاجتماعي بمختلف معطياته، وهي الرّابطة الأساسيّة التي تجمع الأفراد، فلها صلة وثيقة بالمجتمع والعلاقة بين المجتمع واللّغة هي علاقة جدلية فلا تظهر اللّغة لوحدها دون مجتمع، ولا المجتمع يستطيع إقصاء اللّغة من حياته[3]. إذ أنّ حاجة النّاس إلى الاتّصال والتّفاهم قد تدفعهم دفعا لاختيار الوسيلة التي تحقّق لهم وجودهم الاجتماعيّ"[4].

---

[1]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية،" عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، (دط) ، 2007، ص13.

[2]- عبد القادر الفاسي، الفهري، اللّغة والبيئة، منشورات الزّمن، مطبعة النّجاح، الدّار البيضاء، المغرب،2003م، ص24.

[3]- عبد المجيد عيساني، نظريات التّعليم وتطبيقاتها " المهارات الأساسيّة" دار الكتاب الحديث، القاهرة،ط1، 2012م، ص90.

[4]- يُنظر، محمد عيّاد، المستوى اللّغوي للفصحى واللّهجات للنثّر والشّعر، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص17.

1-المغرب العربي قبل العهد الإسلامي:

تعاقبت على الوطن الجزائري، الكثير من الأمم التي مازالت آثارها إلى حدّ الآن، وكان لهم تأثير كبير على لغة السّكان، بفعل التّداخل والتّمازج وما يحصل بين اللّغات من استعارة الألفاظ والمفاهيم."فالبربر هم السّكان القدماء الأصليون ثمّ الفينيقيون فالرومان والوندال فالبيزنطيون."[1]، أمّا البربر فلغتهم الأمازيغية ويذكر المؤرخون أنّهم من فلسطين، استوطنوا شمال إفريقيا بعد انهزام ملكهم جالوت، على يد النّبيّ داوود عليه السّلام، فقد "انتقلت أمّة البربر من آسيا جنوب فلسطين إلى إفريقيا عن طريق مصر حوالي سنة 1300ق م."[2] ويرجع أصلهم إلى الأصل المازيغي الحامي، وكانوا يدعون بالأمازيغ إذ إنّ اسم أبيهم مازيغ ... ومَلكهم جالوت. ومنهم من يرى أنّهم من جنس آرى هاجر من نواحي الكنج بالهند."[3] والذي يهمنا في هذا لغة الأمازيغ بقدر، فهي لغة مشافهة أكثر منها لغة كتابة، ولها لهجاتها المتفرعة عنها المنتشرة في المغرب والجزائر، "ولا نعلم البتّة أنّ البربر أقاموا مدينة تعتمد على الكتابة أداتها لغتهم ."[4]

وقد استعمر الأمازيغَ الكثيرُ من الشّعوب كالفينيقيين وتنتمي اللّغة الفينيقية إلى مجموعة اللّغات السّامية، وتتشابه معها في " مرونة ألفاظها والتّصريف الذّي يطرأ على مصادرها وغالبا ما يتكوّن فعلها من ثلاثة أحرف"[5]. وبعد الفينيقيين احتلّ هذه المنطقة الرّومان الذّين حاولوا بشتّى الطرق قهر السّكان وتحطيمهم والقضاء على لغتهم وفرض اللّغة اللاتينية مكانها، ثم الوندال فالبيزنطيون، فقد لقي البربر من الحروب شدّة مع الكثير من الشّعوب التّي حاولت سلب الأراضي البربرية وقمع السّكان والقضاء على لغتهم وثقافتهم وأدبهم.

2-المغرب العربي أثناء وبعد الفتح الإسلامي .

[1] – عبد الرحمن الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت ط4، 1980م، ص59.

[2] – المرجع نفسه، ص 67.

[3] – المرجع نفسه، ص 67.

[4] – أندري جوليان شارل، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد ميزالي، الدار التونسية للنشر، تونس 1959م، ج1، ص66.

[5]– غانم محمد الصّغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت، ط2، 1982م،ص87.

تعدّ فترة الفتح الإسلامي من أهمّ المراحل التي مرّت بها الجزائر، لما حدث فيها من تغيير كبير في حياة البربر بعد دخول الإسلام ونشر اللّغة العربية الفصحى، إلاّ أنّ السّكان قاوموا المسلمين لاعتقادهم أنّهم محتلون كباقي الأمم التي توالت على هذا الوطن، وسرعان ما اقتنع البربر بأهداف العرب، وقبلوا بالدّين الإسلامي و باللّغة العربية فاندمج بعد هذا الفتح البربر والمسلمون، وبدأت القبائل العربية تهاجر إلى الجزائر. فقد هاجرت إلى المغرب العربي شعوب كثيرة قبل الفتح وبعده ، واستوطنت شمال إفريقيا، وأصبحوا مع مرور الزمن عرباً أفارقة وكانت أكبر هجرة عربية، هجرة أعراب بني هلال، وبني سليم في القرن الخامس الهجري يقول ابن خلدون: " سارت قبائل بني ذياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقيا، كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه، حتّى وصلوا إفريقيا سنة ثلاث وأربعين."[1] و دخل الإسلام إلى الجزائر نتيجة الفتوحات التي قطعت علاقة البرابرة بالعالم الغربي، فامتزجت كل من الثّقافة البربرية والعربية، ليشكّلا معالم دولة إسلامية لغتها الأولى هي اللّغة العربية، "ففي القرن السّابع الميلادي قطعت بلاد البربر صلاتها بالغرب، وارتبطت بالمشرق ارتباطا وثيقًا لا محيد عنه... بحيث أمسى المغرب اليوم جلّه مقاطعة نائية تابعة للعروبة."[2] وأصبح لهم نفوذ على كامل المنطقة سياسيا واقتصاديا، وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة وبيّن أن نفوذهم قد استمر في إفريقيا والمغرب زمنا طويلا.

والهجرة الثانية هجرة الأندلسيين في موجات متتالية في الفترة مابين القرن 12م و16م وأهمها الهجرة العكسية بعد سقوط الأندلس، باستقرار أعداد كبيرة منهم في أغلب بلاد المغرب العربي، ثم بعد ذلك أعقبها صراع الإسبان والأتراك على البحر الأبيض المتوسط كل هذه الموجات البشرية والشعوب التي مرّت من هنا ،كانت كافية لترك بصمات لغاتها في لغة الاستعمال إلى يومنا هذا في أسماء بعض العائلات والمدن والغلال والحرف والألعاب وغيرها. وقد كان لدخول العرب إلى المغرب أثر كبير في تعريب البربر وإدماجهم في العنصر العربي، وذلك بفضل الدّين الإسلامي والصّفات

[1] – ابن خلدون، المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2004م، ص415.

[2] – خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية، عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، مرجع سابق ص 14.

المتشابهة نحو:البساطة، والشّجاعة، والصّبر، والأنفة، والقناعة، ومقاومة الأعداء وغيرها. " والبربر يعلمون جيدا أنّ هجوم الهلاليين ليس القصد منه الحرب أو العنصرية، وهو ما أدى إلى الاختلاط بهم وأخذ عاداتهم الاجتماعية، واستعرب الكثير منهم لما رأوا أنّ اللّغة أدب راق وثروة لفظية كبيرة وهي التّي بها يُفهم الدّين فاستبدلوا بحياتهم حياة عربية، فكان نفوذ الهلاليين في البربر اجتماعيّا ولغويّا."[1]

وفي بداية القرن التاسع عشر انضمت الدول الأوربية الحديثة كفرنسا وإيطاليا إلى التنافس على مقدرات جنوب المتوسط، فكان للّغة الفرنسية الأثر البالغ في معجم المهن كالبناء، والفلاحة، والصيد البحري، وكان تأثيرها أوسع وأشدّ في الإدارة والفنون والمدارس نتيجة تحوّلها إلى لغة المستعمر ابتداء من سنة(1830 وحتى سنة 1962) في الجزائر ونفس المدة تقريبا في بلدان الجوار (المغرب وتونس) .فكان من الطبيعي نتيجة هذه الموجات أن يتعقّد الوضع اللّغوي ويستمر التنافس بين العربية ولهجاتها من جهة، وبين العربية والفرنسية من جهة أخرى، إضافة إلى تنافس قد يكون غير معلن بين الفرنسية و اللغات الأجنبية. ولذا اعتبر المختصون أن هذا الوضع تهديدا لهوية البلاد العربية الإسلامية، فنشأت فكرة التعريب في بلاد المغرب العربي وفي الجزائر، واعتمدت الدولة الحديثة على سياسة جزأرة الإطارات، بعد استرجاع السيادة الوطنية على الإذاعة والتلفزيون، وتأميم المحروقات وظهر صراع حاد في الندوات الوطنية، خاصة ندوة التعريب سنة1975 حيث صرح الرئيس هواري بومدين وقتها بوجوب ربط التعريب بالتصنيع، وأنّ اللّغة العربية لابدّ أن تصبح في المستقبل لغة الحديد والصلب والبتروكيمياء، احتدم النقاش بين دعاة التعريب الفوري ودعاة التعريب التدريجي، وألحت الندوة في قراراتها وتوصياتها على البعد الاجتماعي لمسألة التعريب، وعلى دراسة مشروع مجمع اللّغة العربية بالجزائر، و اعتماد سياسة التخطيط والتنسيق، وتوحيد المصطلحات المستعملة في مختلف المؤسسات، وتعليم الكبار، واستعمال الوسائل السمعية البصرية في التعليم، فرغم أن القرار كان جريئا إلا أنّه كان يواجه تحدّيات كبرى فقد تواصلت السياسة الفرنسية اللغوية والثقافية بوسائل أخرى كإنشاء الأكاديمية البربرية بعد سنوات من الاستقلال.

[1]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مرجع سابق، ص 559

3-توصيف الوضع اللغوي في الجزائر:

يعتبر الازدواج اللّغويّ من المسائل المعقدة، الّتي كثر الحديث حولها مؤخرا، لما لها من آثار على المجتمع عامة، واللّغة القوميّة خاصة، الأمر الذي دفع الحكومات، والدّول المتعدّدة لغويا، إلى محاولة ترتيب الوضع اللّغويّ في البلاد لتجنب المشاكل اللّغوية، والتّحكم في نتائج الازدواج اللّغويّ، وهذا بانتهاج تدابير عقلانية وخطط مدروسة، وجهود تنظيمية، الأمر الذي دفع المختصين إلى الاهتمام البالغ بالبحث في كيفية تسييره ومعالجته.فالتّعامل اليومي باللّغة الوطنية في كلّ نشاطاتها من العوامل الأساسيّة لإحياء أصولها، والحرص على سلامتها واسترجاع مكانتها"[1]،"هذه اللّغة في وضع غير مريح، بل هي مهدّدة في بقائها نتيجة تآكل وظائفها تّدريجيا، واستنزاف نقاط قوتها لصالح اللغات الأجنبية واللهجات العامية"[2] حيث " إنّ الكثير من الدوّل التي مرّت بتجارب قاسيّة، و لربّما مأساوية فيما يخص التّعدّدية اللّغوية استطاع الكثير منها، أن يصل بشعبه إلى شاطئ الأمان، ومصاف الأمم المتقدّمة بفضل سياسة لغوية واضحة"[3]، لذلك أصبحت السّياسة اللّغوية مطلبا ضروريا، وهو ما يعد مجالاً مهمّاً للدراسة من منظور علم اللغة الاجتماعي؛ لأنه يثير قضايا مثل أثر تعدد اللغات على النمو الاقتصادي، وما يمكن أن تتبناه الحكومات من سياسات لغوية[4]

وينطلق هذا العمل من تصور المفهوم، والوفاق الاجتماعيّ، حيث إنّ قوة أي مجتمع تكون في تنوعه اللّغويّ، والثّقافي، وبالتالي لابدّ من تحقيق لغوي يحفظ كلّ اللّغات الموجودة في المجتمع. فالدول المغاربية قد تبنّت منذ استقلالها، سياسة لغوية تعلن عن أولوية اللغة العربيّة الفصحى، لكنّها في الواقع

[1]- عابد بوهادي، تحديات اللّغة العربيّة في المجتمع الجزائري، دار اليازوري العلمية للنشر، عمّان، الأردن ،(دط)،2014، ص76.

[2]- عبد القادر الفاسي الفهري، السّياسة اللّغوية في البلاد العربيّة، ص278.

[3]- عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللّغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة ، الجزائر، د ط، 2007م، ص35.

[4]- د. هدسون :علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق ذكره، ص ص.(18-17)

تشتغل افتراضيا فقط، حيث إنّ الاتجاه العام يتمثّل في فسح المجال للفعل الطّبيعي للمنافسة بين اللّغات"[1]،الأمر الذي يجعل هذه السّياسات غير واضحة المعالم.

3-1-اللّهجات العربيّة:

وهي لغة التّداول اليومي في معظم مناطق الوطن، والتي تتنوّع بتنوّع تلك المناطق مثل: العاميّة العاصميّة نسبة لسكان العاصمة، والعاميّة الوهرانيّة، والعاميّة السّطايفيّة وغيرها، فالعاميّة الجزائرية لها خصوصياتها التي تجعلها متفرّدة عن العاميّات الأخرى، وهي سليلة اللّهجات العربيّة، وهي:"تمثل اللّغة الأمّ لأغلبية الشّعب الجزائري (على الأقل بالنسبة للنّاطقين بالعربيّة)، فهي لغة أوّل اندماج اجتماعيّ"[2]، ويطلق عليها اسم التّنوعات اللّهجية*، وهذه التّنوعات اللّهجية تتوزع وفق معيارين هما:

أ- المعيار الجغرافيّ: يتوزع على أربعة مناطق وهي:

* المنطقة الشّرقية وتمثل منطقة الشّرق الجزائري (قسنطينة).

* المنطقة الوسطى وتمثل منطقة الجزائر العاصمة وما جاورها.

* المنطقة الغربية تمثل منطقة الغرب الجزائري (وهران وما جاورها).

*المنطقة الصحراوية تمثل منطقة الجنوب.

ب- **المعيار الاقتصادي والاجتماعي**[3].فهو الذي يميّز التّنوعات اللّهجيّة للعالم الرّيفي والتّنوعات الحضرية للمدن الكبرى الجزائر، قسنطينة، تلمسان، وغيرها من المدن الكبرى .

[1]- أحمد بوكوس،مسار اللّغة الأمازيغيّة الرّهانات والإستراتجيات، تعريب فؤاد ساعة، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط المملكة المغربية، (دط)، 2013م، ص333.

[2]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية، مرجع سابق، ص20.

* مصطلح التّنوعات اللهجية مصطلح استخدمته خولة طالب للدلالة على اللّهجة الجزائرية.

[3]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية، مرجع سابق، ص20.

3-2-تعريف اللهجة العاميّة:

مصطلح العاميّة من المصطلحات القديمة، في المجتمع العربيّ نجده في مؤلفات القدماء «لحن العامة» «لحن العوام» وبقيت هذه النسبة إلى العوام حيث يقول الزبيدي «هذا ما أفسدته العامة عندنا فأحالوا لفظا، أو وضعوه غير موضعه....[1]» ، والمقصود بالعامّة هم النّاس العاديون، والعاميّة هنا ليست اللّهجة التي لها صفات صوتية خاصة، وإنّما أصل العاميّة هنا ما أفسدته العامة، أي أنّ أصلها اللّحن حيث يقول الرافعي"كان منشؤها من اضطراب الألسنة، وخبالها و انتقاص عادة الفصاحة»[2] ، فالعاميّة تختلف عن اللّهجة، حسب تعريف القدماء باعتبار العاميّة نشأت بواسطة اللّحن، "وهي مستوى بعيد عن اللّهجة أو الفصحى، تختلف اختلافا بيّنا بين منطقة وأخرى، ولا تفهم خارج المنطقة اللّغوية التي تحتلها."[3] أمّا اللّهجة فهي الطّريقة أو العادة الكلامية التي تكون صوتية في الغالب، وهي "مستوى أدنى من الفصحى ولا تظهر فوارق كبيرة بينهما حيث تكون مفهومة من قبل الكثير من الأفراد"[4].

أمّا في وقتنا الحاضر فيطلق مصطلح العاميّة، واللّهجة على أداة التّواصل اليومي التي يستخدمها السّواد الأعظم من النّاس في جميع تعاملاتهم اليوميّة، في البيت والشّارع والسّوق و تجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح العاميّة يتّخذ عدّة تسميات عند بعض المحدثين منها "اللّغة العاميّة، الشّكل اللّغويّ الدّارج، "اللّغة المحكيّة، اللّهجة العربيّة العاميّة، الكلام العامي"[5]، كما يُطلق عليها لغة التفاهم*.

---

[1]- الزبيدي، لحن العوام نقلا عن، محمد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م ص245.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2000،1م ص185.

[3]- صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التّطبيقيّة، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، (دط)، 2003م، ص16.

[4]- المرجع نفسه، ص19.

[5]- إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص144-145.

* استعانت لغة التّفاهم بأبسط وسائل التّعبير اللّغوي، فتنازلت عن التّصرف الإعرابي، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة، وتصريفها كما ضحت بالفرق بين الأجناس النّحوية، يوهان فك، العربيّة"دراسات في اللّغة واللّهجات والأساليب"ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، (دط)، 1980م، ص20.

3-3-اللغة الأمازيغية:

وهي أوّل لغة مكتسبة لدى غالبيّة سكان شمال إفريقيا، والأمازيغيّة هي الأخرى تحتوي على عدّة لهجات تشكّل عناصر مكوّنة للكثير من مناطق الوطن وهي: القبائليّة بمنطقة القبائل بكل أنواعها، الشّاويّة بمنطقة الأوراس، والميزابيّة بمنطقة ميزاب، والتّارقيّة بتمنراست، وجانت وإليزي، والشّنوية بمنطقة تيبازة والزّنتية بتميمون وأدرار، والشّلحيّة القريبة من الشّلح المغربيّة بجنوب منطقة وهران[1]، وهي تستعمل في الخطاب الشّفوي اليومي وفي الحوارات والتّواصلات الحياتيّة الطّبيعيّة. وتعتبر اللّهجات البربريّة الحاليّة « امتداد للتّنوعات اللّغويّة القديمة التي عرفها المغرب، أو بالأحرى في الرّقعة النّاطقة بالبربرية الّتي تمتّد من مصر إلى المغرب الأقصى، ومن الجزائر إلى النّيجر وهي تمثل أقدم اللّغات الأصليّة، وبذلك تشكل في الجزائر اللّغة الأمّ* لجزء من السّكان »[2]

الأمازيغيّة من أقدم اللّغات في شمال إفريقيا، إذ يسبق وجودها التّواجد العربّي في بلدان المغرب العربّي، إذ "ترجع مصادر علم آثار مصر القديمة تاريخ الأمازيغية المكتوب إلى الألفية الثّانية قبل الميلاد على الأقل[3]، كما تعتبر أول لغة مكتسبة للناطقين بها ويفضل "أغلب الباحثين في المغرب، والجزائر استخدام مصطلح أمازيغ للدلالة على السّكان الأصليين » *،لشمال إفريقيا بدلا من مصطلح البربر.

و تعتبر الأمازيغيّة لغة تداول، وتواصل يومي، وقد بقيت محصورة في دائرة المشافهة لسنوات، ولم تستطع أن تفرض نفسها كلغة مكتوبة في المدارس إلاّ مؤخرا، حيث تّم إقرارها في المنظومة التّربويّة

[1]-Malika koudache, La Langue des néo alphabétisé,la langue arabe standard en Algérie, thèse de doctorat université de Stendhal, Grenoble III, France, 2003, p8.

[2]- خولة طالب الإبراهيمي،الجزائريون والمسألة اللّغوية، مرجع سابق، ص25.

[3]- أحمد بوكوس، مسار اللّغة الأمازيغية الرّهانات والإستراتجيّات، مرجع سابق ص20.

* اختلف الباحثون حول مصطلح اللغة الأم ، حيث يرى صالح بلعيد اللّغة الأمّ هي العربيّة الدارجة والأمازيغية. كما يقصد بها اللغة الأصل، واللغة الأهلية، ولغة المنشأ في المجتمع وتكتسب عادة في البيت، والشّارع، وهي لا تتعلّم أبدا، يرضعها الصبّي وهو يحبو، يسمعها في محيطه الدّائم ويستبطن الطّفل نظامها بفعل الاحتكاك المتواصل.يُنظر صالح بلعيد، ترسيم الأمازيغية" حل أم عقد"، مجلة التّخطيط والسيّاسية اللّغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربيّة، الرّياض، المملكة العربية السّعودية، ع1، 2015م، ص48،49.

(المدارس والجامعات) في الألفية الثّالثة، ويبقى حضورها محدودا ومحصورا في المناطق النّاطقة بها فقط، في انتظار تعميمها في باقي مدارس الوطن في السّنوات المقبلة، حسب التّصريحات الأخيرة للحكومة الجزائرية.

وتتميز جميع هذه اللهجات بأنها لا تتعدى حدود اللغة المنطوقة، فهي ما زالت تبحث لها عن هوية داخل إطار المكتوب، رغم أنها تملك مقومات الكتابة، حيث أنها تتوفر على أبجدية عدد حروفها أربعة عشر حرفا تعرف منذ القديم بالتيفيناغ، يقول صالح بلعيد: «الصفة الرمزية الأولى التي كتبت بها الأمازيغية خط التيفيناغ الذي حرمت منه واستقطبها الحرف اللاتيني بتوجيه مقصود في الوقت الذي كتبت في العصور السابقة بالحرف العربي منذ آلاف السنين ولعل هذا الاستقطاب هو الذي ساهم بشكل ما في رهن مصير هذه اللغة، وإبقاء المسافة بين المنطوق منها والمكتوب لا يسمح لها أبدا بأن تكون لغة العصر أو الإبداع، فاختيار السجل اللغوي لا يكون محايدا، وكذلك رسم اللغة لا يكون محايدا، إن الرسم ليس رزمة تُلف بها أيّة لغة، بل هو الهُوية والرمز»[1]، وإذا كان دستور 1997 قد أعاد لها الاعتبار، فإنّ دستور(2002م) اعترف بها لغة ثانية لها فضاءات محدودة، ومحيط هذه اللّغة المؤسسات الإعلاميّة والتّعليميّة. كما تّم اعتبار اللّغة الأمازيغيّة لغة رسميّة و لغة وطنيّة ثانيّة، بعد اللّغة العربيّة في الجزائر في التّعديل الدّستوري الأخير (جانفي 2016م). وهي تُدرّس اليوم في بعض المدارس الجزائرية، لكنّ التحدي أمامها يبقى كبيرا حتى تثبت نفسها كهيكل لغوي بارز يعكس الهوية الوطنية، ويجسد طموحات الناطقين بها.

3-4-اللّغة الفصحى:

تعتبر اللّغة العربيّة الفصحى أول لغة ثانيّة بالنّسبة للأطفال، يتمّ تعلّمها في المدرسة منذ سن التّمدرس، فهي لغة المدرسة، ولغة الصّحافة وبعض وسائل الإعلام، ولغة الكتب العلميّة والأدبيّة، وهي اللّغة الوطنيّة والرّسمية.

[1]- نقلا عن: خالد عبد السّلام، دور اللّغة الأم في تعلّم اللّغة العربيّة الفصحى في المرحلة الابتدائيّة بالمدرسة الجزائريّة (رسالة ماجستير تخصص أرطوفونيا)، وزارة التّعليم العالي، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2012/2011، ص18.

وعرفت الجزائر اللّغة العربيّة كغيرها من البلدان المغاربية، بقدوم الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، حيث تعتبر اللّغة العربيّة لغة القرآن والدّين والثّقافة، وكلمة الفصحى مأخوذة من كلمة "الفصاحة" حيث عرّفها ابن سنان الخفاجي « الفصاحة الظّهور والبيان، وقيل أفصح اللّبن إذا تحلّت رغوته، فَصُح فهو فصيح لقول الشّاعر:**وتحت الرّغوة اللّبن الفصيح**، ويقال أفصح الضّوء إذا بدا وأفصح كل شيء إذا وضح »[1]، وبذلك فالفصاحة تعني لغة الانجلاء، والظّهور حيث نقول"أفصح الإنسان إذا عبّر وأبان عمّا في جوارحه"[2]،ولقوله تعالى: ﴿ **وَأَخِي هُرُونُ هُوَ أَفصَحُ مِنِّي لِسَانا فَأَرسِلهُ مَعِيَ**﴾[3] يطلق العلماء على العربيّة الفصحى في الدّراسات المعاصرة عدة تسميات لأساليبها منها: العربيّة الكلاسيكيّة la langue arabe classique، وعربية أدبية arabe littéraire... »[4] و"النّمط العاليvariété haute كما أسماها فيرغسون."[5]، و تُعرف اللّغة الفصحى بأنّها « لغة القرآن الكريم، والتّراث العربي جملة، والّتي تستعمل اليوم في المعاملات الرّسميّة، وفي تدوين الشّعر والنّثر والإنتاج الفكري[6] » .

ويدل واقع اللّغة العربيّة في المغرب العربي على"أنّ السّياسة اللّغوية المتبعة تجاهها هي سياسة عدم التّدخل، وسياسة عدم التّدخل تنتهجها الدّول حينما تكون لغتها الوطنيّة قوية ومتمكنة لا تخشى عليها، وأمّا حيت تكون اللّغة الوطنيّة مهدّدة باللّهجات وباللّغات الأجنبيّة، وبضعف الإمكانيات المتاحة لتعلّمها، وبانحسار تداولها في الإعلام والإدارة وغيرها، وبتراجع وضعها الاعتباريّ في مجال العلوم، والاقتصاد، فإنّ ذلك يعد إسهاما في هذا الوضع، والإبقاء عليه[7].

3-5-اللّغة الفرنسية:

[1]- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص58.

[2]- سهام مدان، الفصحى والعاميّة وعلاقتهما في استعمالات النّاطقين الجزائريين، ص09.

[3]- القصص، الآية 34 .

[4]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية،مرجع سابق ص16.

[5]- محمد راجي الزغول، دراسات في اللسانيات الاجتماعية العربية، دار اليازوري، عمّان، الأردن، ط1، 2011م، ص 19.

[6]- إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربيّة وخصائصها، مرجع سابق، ص144.

[7]- أحمد بوكوس، اللّغة الأمازيغيّة الرّهانات والإستراتجيات، مرجع سابق ص42.

منذ عقود من الزّمن كانت ومازالت اللّغة الفرنسيّة تحتلّ مكانة خاصّة لدى طبقات اجتماعية ميسورة من الجزائريين، وخاصّة في المدن الكبرى، حتّى أصبحت بالنّسبة لهم لغة التّواصل اليومي والتّميّز الثّقافي، كما أنّها لغة المعاملات الإداريّة والاقتصاديّة في الكثير من القطاعات الخدماتيّة والإنتاجيّة والصّناعيّة، وحتّى التّعليميّة، ولا ينفك المواطن الجزائري يصطدم بها في واقعه اللغوي إن في المنطوق منه؛ فهي تنتشر عند بعض النخب التي تجعل منها لغة التخاطب والتواصل بتجلياتها الكاملة، أو تنتشر بمصطلحاتها وبعض مفرداتها في ثنايا لغة العامّة، وإن في المكتوب؛ بحيث يصادفها في المدرسة، وفيما يعرض أمامه في المكتبات من كتب وصحف ومجلات، أو في لافتات الإشهار في لباسه وفي طعامه وفي لُعبه.

وتتربّع اللّغة الفرنسيّة على عرش اللّغات الأجنبيّة في الجزائر، ووجود هذه اللّغة يعود إلى الربّع الثّاني من القرن التّاسع عشر للميلاد، لما استعمرت الجزائر من قبل فرنسا، وقد فرضت الفرنسيّة على الجزائريين ابتداء من سنة (1830م إلى غاية 1962م) حيث حاول الاستعمار، في هذه الفترة طمس الشّخصية الجزائريّة بنشر، وتعميم هذه اللّغة "لذلك فهي أكثر اللّغات الأجنبيّة بقاء وتأثيرا في الاستعمالات، الأمر الذي جعلها تظفر بمنزلة متميّزة في المجتمع،[1] فالفرنسيّة لغة أجنبيّة عن المجتمع الجزائري، لأنّها موروثّة عن الاستعمار، لكنّ البعض اعتبرها " غنيمة حرب Butin de guerre*وهي ملك للجزائريين والمغاربة وجب الأخذ بها"[2]، أي على الجزائريين الأخذ بها، وتبّنيها وتملّكها وعدم اعتبارها لغة المستعمر.

وظّلت الفرنسيّة لفترة طويلة اللّغة الرّسمّية للجزائر، قبل أن تصبح لغة أجنبيّة بعد سياسة التّعريب[3]، لذلك اكتسبت مكانة هامة في السّوق اللّسانيّة الجزائريّة بفضل السّياسات اللّغويّة الّتي انتهجت في السّابق، ويظهر ذلك جليا في المجال التّعليمي، وعلى مستويات عديدة من القطاعات كقطاع التّعليم،

[1]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية، ص27.

[2]- أحمد نعمان، مستقبل اللّغة العربيّة بين محاربة الأعداء و إرادة السماء، شركة دار الأمّة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2008م، ص44.

[3]- ينظر لويس جان كالفي، حرب اللغات السّياسات اللّغويّة، مرجع سابق، ص89.

والإدارة، والإعلام، ويتمّ تدريس هذه اللّغة في المدارس الجزائرية ابتداء من السّنة الثّالثة من التّعليم الابتدائي، « بوصفها لغة أجنبيّة ليس شأنّها في ذلك شأن بقية اللّغات الأجنبيّة الألمانيّة والإنجليزيّة والإسبانيّة، إلا أنّ هذه اللّغة لا تزال طاغية في بعض التّخصصات العلميّة والتّكنولوجيّة »[1]وهي لغة للتّواصل في الجزائر، كما تعتبر جزءا من المناهج التّعليميّة، فهي مستخدمة بشكل كبير من طرف الجزائريين قراءة وكتابة، وعلى نطاق واسع خاصة في المدن الكبرى، لأنّها « اللّغة التي فُرضت بقوة الحديد والنّار، لذا شكلت أحد العناصر الأساسيّة لسياسة فرنسا في الجزائر»[2] إذا فإنّ كل أصابع الاتّهام موجهة إلى الاستعمار الفرنسي على أنه سعى جاهدا إلى تحطيم اللغة العربية كون اللغة هي عامل توحيد وتفريق في آن واحد لهذا نراه يركز على فرض لغته في البلد المستعمَر.

فهو يدرك جيدا أنه :"ما ذلّت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمَرة، ويشعرهم بعظمتهم فيها، ويستلحقهم من ناحيتها فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد: وأمّا عن الأوّل فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا، وأمّا الثالث، فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع"[3]

فالدعوة إلى التخلي عن اللغة العربية الفصحى واستبدالها بلهجة أو لغة أخرى أكثر سهولة وتناسبا مع متطلبات العصر باعتبار اللغة العربية لغة التخلف والجهل واستبدالها بلغة المحتل لاعتبارها لغة العصرنة والحداثة فتعالت "الأصوات على الترويج للهجات المحلية و اتّهام اللّغة العربية أنها عسيرة معقدة وقواعدها وضوابطها كثيرة مشتّتة يتعذّر استيعابها والانقياد لها في حياتهم اللغوية إن أرادوا الإبداع والانطلاقة في التعبير علما وأدبا وثقافة"[4]

---

[1]- خولة طالب الإبراهيمي،الجزائريون والمسألة اللّغوية،ص32.

[2]- نفسه، ص25.

[3]- مصطفى صادق الرفاعي، وحي القلم، مطبعة الهلال، مصر، دط، 1941، ص33-34

[4]- فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، بحوث ودراسات في علوم اللغة والأدب ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا ،ط1، 1999، ص16

من خلال ما سبق نلاحظ أنّ اللّغة الفرنسيّة تتبوأ مكانة هامة في استعمالات الجزائريين لأنّها تركة استعماريّة، ولغة النّخبة، وهي اللّغة الحاضرة في مجالات عدّة رغم طابعها الأجنبي.

أمّا خولة طالب الإبراهيمي فترى أنّ منزلة اللّغة الفرنسيّة في الجزائر غير واضحة، إذ تقول « إنّ الفرنسيّة تتأرجح بين منزلة اللّغة الثّانية، ومنزلة اللّغة الأجنبيّة ذات الامتياز، والّتي يتنازعها النّكران الرّسمي، وتعاظم سلطانها الرّمزي، وواقع استعمالاتها، فإنّ الغموض الذي يغشى المكانة الموهوبة لها هو السّمة الغالبة على الواقع الجزائري»[1] و بذلك فاللّغة الفرنسيّة هي أكثر اللّغات الأجنبيّة استعمالا، وتداولا، وحضورا في الجزائر، ولها وزنها الثّقافي، والاقتصادي، الذي جعلها تحظى بمنزلة خاصة في المجتمع الجزائري، والذي أهّلها للسّيطرة على القطاعات والحيوية في المجتمع خاصة التّعليم والإعلام.

3-5-1-أنماط التّفاعل مع اللّغة الفرنسيّة و آدابها في الجزائر:

يشير الكاتب **عز الدين مناصرة** في كتابه "**الهُويات و التّعددية اللّغويّة**" حين يتحدّث في أحد فصول الكتاب عن الفرونكوفونية في إفريقيا العربية (الجزائر، المغرب، تونس، مصر) ويقسّم مستويات التّفاعل إلى أربع مستويات:

أ-التعرّف الطّبيعي: يحدّد هذا المستوى طبيعة التّفاعل بطريقة تلقائية، بهدف التعرّف على الآخر، لضمان أساليب التّواصل، و في هذه الحالة يتمّ تدريس اللّغة الفرنسية بالاختيار الحر، كلغة أجنبية ضروريّة للتفتّح على الثّقافات الإنسانية، أو لأغراض علميّة بحتة.

ب- **التّفرنّس**: عندما تصبح الثّقافة الفرنسية تقليدا يُحتذى به، وتلجأ إليه طبقة من الشّعب متأثرة مقلّدة تقليدا أعمى، ليس لغرض علمي أو إنساني، بل لغرض التّباهي باللّغة الفرنسية، واستخدامها في الحياة اليومية، و اصطناعها أثناء الحديث باللغة العربية ، فهذا الاتجاه لا يدلل على معرفة عميقة باللغة الفرنسية، بل الهدف منه التّغريب و المباهاة الشّكليّة السّاذجة.

[1]- فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان المرجع السابق، ص27.

ج- **الفرانكوفونية**:(francophone) هذا النّوع من التّفاعل يتعلّق بأديولوجيا الهيمنة، لأنّ في هذه الحالة تمارس فرنسا سلطة قهريّة على الشّعوب المستعمَرة أو حتّى بعد استقلال هذه الشّعوب التّي فُرضت عليها الثّقافة الاستعمارية (كإرث استعماري)، رغم أنّ مصطلح الفراكوفونية قديم يعود إلى بداية القرن التّاسع عشر، إلّا أنّه تمّ إحياءه في نوفمبر 1962م، و تحوّل إلى دعوة إديولوجية بمناسبة استقلال الجزائر .

د- **الفرانكوفيليه**(francopholie): يعني هذا المصطلح في القاموس الفرنسي: "محبّ لفرنسا " التّي فرضت لغتها بشتّى الطّرق على بلدان المغرب العربي، خاصّة على الجزائر التّي كانت فرنسا أكثر قسوة معها، و نجحت في تشكيل نخبة محبّة لها، فالطبقة الإقطاعية المرتزقة التي خلقها المستعمر هي التّي استفادت من التّعليم في المدارس الفرنسية، أما الأهالي فكانوا يلازمون الحذر من التّعليم الفرنسي، و إلاّ كيف نفسّر أن نسبة الأميّين في الجزائر لا تقل عن 85% من السّكان رغم أنّ هؤلاء ظلّوا على صلة باللّغة الفرنسية طيلة 130عاما.

3-6-اللّغة الإنجليزيّة:

تعتبر اللّغة الإنجليزية لغة علم، ولغة تواصل عالميّة، فرضت نفسها في إطار العولمة اللّغويّة الّتي مسّت جميع دول العالم، مما أوجب على الجزائر تدريسها في الأطوار التعليميّة المختلفة، ابتداء من السّنوات الأولى من التّعليم الابتدائي والتعليم المتوسط و إلى غاية التّعليم الجامعي، وعلى الرغم من وزنها العالمي، إلاّ أنّ فئة قليلة من الجزائريين تتقن هذه اللّغة أغلبها من الشّباب، وهذه اللّغة في انتشار مستمر في الآونة الأخيرة مقارنة مع الفرنسيّة، وهي تحتل المرتبة الثّانية بعد اللّغة الفرنسيّة من حيث الاستعمال في الجزائر. والإنجليزيّة "بوصفها لغة مهيمنة على العالم، فلا تلعب لحدّ الآن، إلاّ دورا هامشيّا"[1] في دول المغرب العربي مقارنة باللّغة الفرنسيّة، التي تحتل الموقع الأعلى والأقوى.

[1]- أحمد بوكوس، مسار اللّغة الأمازيغيّة، مرجع سابق، ص333.

فالخريطة اللّغويّة في الجزائر، تبّين أنّ المجتمع الجزائري، يتميز بتعدّد لغويّ يتنوع بتنوع مناطقه ، هذا التّعدّد قائم بين مجموعة من اللّغات (اللّغة العربيّة و لهجاتها، والأمازيغيّة و لهجاتها، واللّغات الأجنبية) حيث تعمل كلّ لغة من هذه اللّغات على ضمان موقعها، ودورها ومكانتها، وعلى احتكار مناطقها الجغرافيّة هذا التّعدّد كان نتاجا لحقبة معينة، فرضتها ظروف تاريخيّة (الاستعمار) وسياسات إيديولوجيّة متعدّدة منها سياسة الانفتاح، والعولمة.

4- آثار الازدواج اللغوي في التواصل الاجتماعي:

إنّ لغة التّعامل اليومي في الجزائر تختلف تماما عن لغة المدرسة، ولغة الثّقافة، و لغة الكتابة والأدب بصفة عامّة، ولم تحظ الفصحى بمكانة أولى في الاستعمال، حيث تسيطر اللّهجات على نطاق الاستعمال الشّفوي على ألسنة المتكلّمين سواء بالعربيّة أو بالأمازيغيّة، مع تداخل الفرنسيّة مع هذه اللّهجات في كثير من المواقف، وتظلّ الفصحى لغة المثقّفين والمتعلّمين، وهي لغة مجهولة لدى الفئات غير المتعلّمة، ويرجع ذلك إلى عجز في استعمالها من جهة وتغلّب العاميّات واستحكام ملكتها من جهة أخرى[1]، كما نشير إلى هيمنة العاميّة في الوسط التّعليمي من الابتدائي إلى الجامعي الذي يُفترض أن تسود فيه اللّغة الفصحى بشكل لافت للانتباه.

4-1-التّداخل اللّغوي : هو انتقال سمّة لغوية إلى أخرى، يقول عبدو الراجحي: التّداخل اللّغوي هو" إنّنا نتعلّم مهارة جديدة على أساس مهارة موجودة تعلمناها قبلاً. "[2]ويعرفه أمين الخولي بقوله: يدلّ التّداخل اللّغوي على تأثير متبادل بين لغتين..."[3] ويؤدي التّداخل إلى حصول نتائج وخيمة في العملية التّعلمية وأثبتت الدّراسات أن من بين أهم نتائج التّداخل اللّغوي؛ الوقوع في الأخطاء اللّغوية وكثرة الهجين، وفقدان السيطرة على لغة واحدة. حيث لا يمكن للفرد التّمكين بلسانيين مختلفين من

[1]- ينظر: الطّاهر لوصيف، منهجية تعليم اللّغة وتعلّمها، مرجع سابق ، ص53.

[2]- عبده الراجحي، علم اللّغة التطبيقي وتعليم العربية، مرجع سابق، ص54.

[3]- محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثنائية اللّغوية، مرجع سابق، ص91.

دون أن تجذب إحداهما الأخرى، وتؤثر فيها بعاداتها النّطقيّة وخصائصها على مستويات عدّة، أهمها المستويين الصّرفي والدّلالي"[1].

وبمعنى آخر فإنّ " لفظ التّداخل يدل على التّحوير (Remaniement) للبنى الناتج عن إدخال عناصر أجنبيّة في مجالات اللّغة الأكثر بناء مثل مجموع النّظام الفونولوجي وجزء كبير من الصّرف والتّراكيب، ومجال المفردات."[2] إذن فالتداخل اللّغوي يحدث بين لغتين اثنتين، تطغى إحداهما على الأخرى. وقد تكون البيئة الاجتماعيّة التي يعيش فيها الفرد فعالة أكثر في تولد توجه سلبي أو إيجابي، اتجاه لغة ما أكثر من الأخرى، وهناك يظهر أثر اللّغة الأجنبيّة في اللّغة القوميّة"[3] والملاحظ أنّ هذا التّداخل يمس جميع مستويات اللّغة من المستوى الصّوتي، والصّرفي والتّركيبي، والدّلالي، ولعل أكثر المستويات عرضة لهذه الظّاهرة، هو مستوى الأصوات و الوحدات المعجمّية نتيجة الصّر

ولقد برز تأثير البيئة الاجتماعية كمصدر للأخطاء ومن أسبابه " تزاحم اللّهجات المحلية العامية مع الصور الصوتية الفصيحة للكلمات، تزاحمًا يؤدي إلى الخطأ في رسم الصّورة الصّوتية للحروف والكلمات، فضلا عن عدم اكتراث أفراد المجتمع بالخطأ الكتابي، وقد يُشاهد هذا التّهاون واضحًا في ورود الأخطاء الإملائية في وسائل التّواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام في كتابة الرسائل والإعلانات."[4]

ويرى البعض أنّ التّداخل ظاهرة طبيعية، تخصّ جميع اللّغات، تحدث نتيجة احتكاك اللّغة بغيرها، لكنّها تتمظهر بصورة أوضح في حالات التّعدّد اللّغوي، والواقع اللّغوي الجزائري يعيش هذه الظّاهرة باعتباره مجتمعا متعدّدا" الأمر الذي ينتج عنه تداخلات لغوية سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، فإذا كان المتكلم يتعامل في حياته اليوميّة مع ثلاث مستويات أو أنماط أو أكثر؛ وهي

[1]- باديس لهويمل، نور الهدى حسني،مظاهر التّعدّد اللّغوي و انعكساته على تعليميّة اللّغة العربيّة، مرجع سابق، ص110.

[2]- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللّغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة، الجزائر،د ط، 2006م، ص27.

[3]- صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التّطبيقيّة، مرجع سابق، ص124.

[4]- فهد خليل زائد، الأخطاء الشائعة، النحوية والصرفية والإملائية، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان 2006، ص80.

العربيّة الفصحى والدارجة والأمازيغيّة بالإضافة إلى اللّغات الأجنبيّة، على رأسها الفرنسيّة"[1]، قد يكون إيجابيا وقد يكون سلبيا، فيؤثر على المجال التّعليميّ وبخاصة اللّغة العربيّة لكونها لغة التّعليم الأولى، فتتسرب إليها ألفاظ أخرى وصفات نطقية؛ صوتيّة وصرفيّة، لم تكن موجودة فيها.

أ–الأثر الصوتي : تخفيف الهمز: الهمزة في اللّهجة صوت حنجري، شديد، وقد عُدّ هذا الصوت من الأصوات الساكنة وأعسرها عند النطق، وهو ما يبرر ميل اللّهجات الحديثة في الجزائر و غيرها إلى تسهيله أو التّخلص منه، ويؤكد ذلك إبراهيم أنيس بقوله: "إنّ للهمزة وضعًا خاصًا يخالف جميع الأصوات الأخرى، لأنها صوت ليس بالمهجور ولا بالمهموس وهي أكثر الأصوات الساكنة شدّة، وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية، لأنّ مخرجها فتحة المزمار التّي تنطبق عند النطق بها ثمّ تنفتحُ فجأةً، لهذا مالت كلّ اللّهجات العامية إلى التّخلص منها في النطق."[2]

ومن خصائص اللّهجات العربية المغاربية عموما و الجزائرية خصوصا تسهيل الهمزة، وحذفها أو إبدالها أيضًا، وهو ما يترتب عنه تأثر طلبة المدارس والجامعات في تعابيرهم الشّفهية، وربما حتى الكتابية. يقول أحد المشرقين، **جان كانتينو**: أمّا في لهجات المغرب العربي فإنّ تطوّر الهمزة هذا قد بلغ حدًّا أبعد مما بلغه في المشرق، وذلك أنّ الهمزة لم تعد تمثل صوتًا(phonème)، ففي اللّغة الشعبية فإنّ الهمزة إما تسقط تمامًا وإما تُعوّض بنصف حركة، أي بياء أو بواو كما في اللّهجات الشرقية.

ب–التبديل الصوتي : وهو نوع من اللحن في الجانب الصوتي من اللّغة، بإبدال صوت مكان آخر، وهذا الفساد سببه المؤثرات الخارجية في الغالب، مثلما يقع للّغة العربية في الاستعمال المعاصر، وهو ليس ظاهرة جديدة، بل تعرفها العربية في عصور مبكرة، فهذا أبو بكر الزبيدي أدرك أنّ الاستعمال يُعرّض الألفاظ للانحراف، فألف كتابه (لحن العوام) يقول في بداية كتابه :" ولعل طاعنا يطعن في

[1]– عبد الحميد بوترعة، واقع الصّحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التّعدّدية اللّغويّة، مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد08، 2014م، ص:204.

[2] – إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، مرجع سابق ص 77.

كتابنا هذا، بما ذكرناه من الكلام السوقي، واللفظ المستعمل العامي؛ جهلا منه أنّ الفساد إنّما يقع في المستعمل على الألسنة، وأنّ الحوشي مصون عن التغيير والإحالة، لقلّة استعماله وجهل العوام به."[1]

ج– الأثر الصرفي :التثنية: المثنى كما هو معروف في كتب النّحو ما دلّ على اثنين أو اثنتين بزيادة ألف ونون في حالة الرفع، وياء ونون في حالتي النصب والجر، إلا أنّ بعض القبائل العربية تلزمه الألف في جميع الحالات، وهي ظاهرة لهجية قديمة تخالف قواعد اللّغة قال الشاعر قديما:

إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها.

هذه هي طريقة التثنية في اللّهجات المعاصرة، وفي لهجات الدول العربية.: إضافة الياء والنون مثلمَا هي في الفصحى، مذكرًا كان أم مؤنثًا دون تغيير في بنية الكلمة، ومن أمثلة ذلك ، "عَامِين، يُومين"، ومن خصائص هذه اللّهجة تحوّل فتحة الحرف الذي قبل الياء كسرة "يُومين"، وإبقائها دون تحويل في بعض الكلمات، يأتون بالمثنى مسبوقًا بكلمة زوج، جوز، زوز ، وفي هذه الحالة يُنطق الاسم بعدها جمعًا،" زوج رجال، زوج أولاد، زوج بنات"، حيث إنّ التثنية جمع في الحقيقة، ويكون الاسم بعد السابقة "زوج" مفردًا كقولهم: " زوج كيلو" . ضمائر المثنى: خُلُو اللّهجة من ضمائر المثنى (أنتما، هما)، كما تخلو من أسماء الإشارة المثناة (هذان، هتان)، (هاذو زوج) في المذكر والمؤنث، "هاذوك الذراري (هذان الولدان) . عدم المطابقة، بين المسند والمسند إليه في العدد أو في الجنس، بحيث يُعامل معاملة الجمع، وهذه الظّاهرة موجودة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾[2].

من خلال ما سبق يمكننا القول بأنّ صيغ المثنى داخلة في حيز الجمع، وإنّ كان اللفظ مثنى فالمعنى للجمع، تُستعمل الضمائر في الدارجة أقل مما هي في الفصحى ويرجع ذلك لاستعمال ضمير واحد للدّلالة على المثنى والجمع[3]

[1]– أبو بكر الزبيدي، لحن العامة، مرجع سابقن ص9.

[2]– الحجرات، الآية 09 .

[3] – محمد خان، ومختار نويوات، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، مرجع سابق، ص:50.

د–التّغيّر الدّلالي للألفاظ : وهذا النوع من الانحراف يمُس دلالة الألفاظ، ويُعزيه بعض اللّغويين إلى التّطور الدّلالي وهو مستعمل في القرآن الكريم بكثرة كقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيمٰنُ وَلٰكِنَّ ٱلشَّيٰطِينَ كَفَرُواْ﴾.[1] فكلمة كَفَرَ دلالتها حسية عند العرب، وهي التغطية، فاستعملها القرآن استعمالا معنويا فأصبحت الكُفر بالله، لقرينة بين المعنيين .

4-2– الهجين اللّغوي :

الهجين في الكلام: بما يلزمك من العيب، تقول لا تفعل كذا فيكون عليك هُجنة.يقول نهاد الموسى: إنّ الثنائية قد أخلّت بالاتساق في المجتمع العربي بما أدخلته على بعض الناشئة من هذه الاتجاهات السلبية نحو لغتهم، وما أدخلته على بعضهم من الزهو والاستعلاء باللّغة الأخرى، كما أفضت إلى تهجين العربية على ألسنة الناطقين بها في المشرق والمغرب.[2] والثنائية عنده نوع من التّعدّدية، وفي وصفه لواقع اكتساب ملكة اللّغة العربية في ظلّ واقع متعدد ومزدوج اللّغة يرى عبد القادر الفاسي الفهري: أنّ هذا الوضع المتعدد، والمزج بين العربية الفصحى والدارجة واللّغة الفرنسية قد ينتج عنه تهجين اللّغة أو (تبغيلها) إذا لم تتوفر الشروط للمحافظة على نظامها وصفائها، على حدّ تعبير عبد القادر الفاسي الفهري، و"ساهم بشكل كبير في تشكيل جماعة لغوية يتكلمون هجينا لغويا، على حدّ قول صالح بلعيد، وأنتج لغة رابعة، هي لغة التّواصل بينهم"[3] ، لا هي لهجة عربيّة، ولا هي أجنبيّة بل، « تشويه للغّة على يد الأحفاد باعتبار التّهجين اللّغوي نوع من الأسلبة، والمحاكاة السّاخرة باستعمال الفصحى والعامية واللّغة الأجنبيّة واللّهجات المحليّة دون وعي بما ينتجه هذا الخليط الذي ينخر المجتمع من داخله، ويقلعه عن موروثاته"[4] و اللّغة ممارسة اجتماعية يستعملها الإنسان ليقضي حوائجه ويحقق أهدافه ويتواصل مع الآخرين بهدف التفاعل الإنساني، فالإنسان إذا

---

[1]– سورة البقرة، الآية 102.

[2]– نهاد الموسى، اللّغة العربية في العصر الحديث بين الثبوت و التّحوّل، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2007م، ص160.

[3]– حياة خليفاتي، التّهجين في الجزائر (مدينة تيزي وزو أنموذجا) دراسة وصفية تحليليّة، مجلة المجلس الأعلى، ص111.

[4]– صالح بلعيد، الأمن اللّغوي، دار هومة للطباعة و النشر،الجزائر (دط)، 2010م، ص225.

لم تسعفه أدواته اللّغوية، سوف يبحث عن أدوات لغوية أخرى بغض النظر عن مدى توافق هذه الأدوات مع الأعراف اللّغوية والاجتماعية. بحيث "لم تسلم ألسنة الجزائريين من الازدواج اللّغوي في توظيف الكلمات الّتي تجمع نغمة الأداء فقط وهي تنتمي إلى ألسن هويات متعدّدة، وهي حالة من التّداخل المعيب، والتّمازج المشين والخلط السّيئ بين اللّغة العربيّة، ولغات أخرى غير عربيّة، مما ينتج لغة مشوهة مزيجة، بين العربيّة وغيرها إنّها عمليّة تلفيق لغوي، لكلمات لا صلة لها بالعربيّة دخلت حديثا و أنشأت مظهرا لغويا مزدوجا"[1]، تُستخدم فيه عبارات أجنبية في تراكيب عربية ما يُسمّى العربتيني (arbatini) والكلمة منحوتة من كلمتي العربي واللاتيني مثل: رومركيتها: (لاحظتها)، ومتكزيزتيش: (لا توجد) روطرديت: (تأخرت) وفاسيها :(أمحيها)....والأمثلة كثيرة. النفي: باستعمال "ما النافية"، وإضافة "الشين" في آخر الكلمة، وهذا ما أشار إليه عبد المالك مرتاض في قوله "ماعنديش " نحتت هذه العبارة من "ما عندي شيء"[2].

كما يتشكل الازدّواج اللّغويّ من "الاغتراب الثّقافيّ الّذي يؤثر سلبا على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته فيقع الفرد في عالمين متناقضين، حيث يستخدم اللّغة الأمّ، ولغات أخرى في وقت واحد، ويؤدي هذا إلى هشاشة في التّواصل،وهو نوع من الانحراف الثّقافي الذي يؤدي إلى هلهلة النّسيج الاجتماعيّ."[3]

واللّغة العربية تمتلك من الخصائص الذاتية ما يؤهلها لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية، فثراء ألفاظها وكثرة معانيها، وآلية توليدها واطّراد قواعدها، إضافة إلى خصائصها الأخرى قد أشاد بتميّزها غير العرب من المستشرقين وهو قول المستشرق الألماني يوهان فك:" إنّ العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنّها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزًا لغويًا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد

[1]- سمرة رفاس، إشكالية التّعايش اللغوي في المجتمع الجزائري، مجلة الممارسات اللّغوية، مخبر الممارسات اللغوية بالجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ع24، 2014م، ص19

[2]- عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،1981، ص21

[3]- محمد الأوراغي، التّعدّد اللّغوي، انعكاساته على النّسيج الاجتماعيّ، مرجع سابق، ص12.

على أنّه أقوى من كل محاولة يُقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تُخطئ الدلائل فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ."[1]

4-3-الكتابة بالأحرف اللاتينية:

هذه واحدة من الصعوبات التي تواجه الإنسان العربي في الاندماج في مجتمع المعلومات لأنّ المواقع العربية لم تكن في بدايتها تُعرض بشكل واضح على المتصفّحات، لعدم وجود الهجاء العربي ممّا أجبر بعضهم على استبدال الحرف العربي بالأرقام أو بالصور، أو بالأحرف اللاتينية، وهو ما أسماه بعض الباحثين العربتيني (arbatini) والكلمة منحوتة من كلمتي العربي واللاتيني [2] ومن المصطلحات التي أطلقت على هذه الظاهرة مصطلح العربيزي (arabizi). وهي دعوة صريحة إلى التّخلي عن الكتابة بالحرف العربي واستبداله بالحرف اللاتيني، يقول رمضان عبد التواب:"حتى خطّها الذي شرّق وغرّب واستحسنته أمم غير عربية فكتبت به لغاتها، لم يسلم هو أيضا من الطّعن فيه، والادّعاء بأنّه هو سبب تأخّر العرب وبذل الجهد في محاولة تنحيته عن السّاحة وأن يُستبدل بالخط اللاتيني، حتّى إذا ضاعت اللغة وضاع الخط العربي، تهدّمت أقوى قلاع هذا الشرع الشريف "[3].وهذه الظواهر اللّغوية انتشرت مع التّوسع في استعمال الهواتف الذكية ومواقع التّواصل الاجتماعي، خاصّة عند فئة الشّباب من الجنسين، ممّا حذا بكثير من المتخصصين في الدراسات اللّغوية إلى انتقاد هذه الظاهرة، ومع ذلك تبقى نوع من أنواع الخطاب اللّغوي الحديث.

نستنتج ممّا سبق أنّ الازدواج اللغوي في الجزائر يوصف بالطّابع الاجتماعي و بالطّابع الرسمي:

أ-الازدّواج اللّغوي الاجتماعي:وهذا الذّي نجده متفشيّا في مختلف طبقات المجتمع دون ما إقرار من جانب الحكومة، ويكتسبه المجتمع نتيجة احتكاكه مع شعوب أخرى مختلفة عنه في اللّغة، أو نتيجة الهجرات، أو الاستعمار، أو غيرها من العوامل الأخرى .

[1]- عبد العزيز بن حميد، الشباب، مشكلة اللّغة الهجين ، ص 32/31 مقال منشور.

[2]- سعد بن طفلة العجمي، العربيني، الكتابة العربية بالأحرف اللاتينية، ص 7 مقال منشور.

[3]- رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1988 ص165.

ب-**الازدّواج اللّغوي الرّسمي**: وهو الذي تقرّه الدّولة في دستورها الرّسمي، و في تعاملاتها الإدارية ووثائقها الرسمية ، ففي الواقع اللّغوي الجزائري، تتراءى لنا التعدّدية اللّغوية بصفة جليّة، سواء على مستوى المجتمع أم المستوى الرسمي دون أي إقرار دستوري، اللّغة العربية و الفرنسية و الإنجليزية، و في بعض المناطق الألمانية والإسبانية وغيرها.

فيجب أن يكون التّعدّد في خدمة المواطن إذا كان متعلّما، أو إذا كان مستمعا، لنصل من خلاله إلى التّواصل، إذا علمنا أنّ التّواصل مبني أوّلا على التّنازل و التّعاون، فهو بالضرورة يقتضي التوحّد و التنازل للآخر، فهو مرتبط بكثرة و تنوّع وسائل التّفاهم و التّخاطب، كمقاربة تحدّد عدد المنظومات اللّغوية المستعملة في البلد الواحد، و يتجلى في جانبين منفصلين: الأوّل يتعلق باللّغة وجاتها كالعربية، و هو ما يُطلق عليه بالازدواج اللّغوي، و الثّاني يتعلق بالنّسيج اللّغوي الذّي يحكم تفاعل لغات وطنية وأجنبية، و هو ما يُسمى بالثّنائية اللّغوية.

ثانيّا: السّياسة اللغوية في الجزائر بعد الاستقلال:

اتخذت معظم الدّول، السّياسة اللّغوية الفاعلة كحل لمعالجة المشاكل اللّغوية، وترتيب الوضع اللغوي في البلاد، حيث رأت أنّ رسم سياسة لغويّة حكيمة كفيلة بتصحيح وضع اللّغة القوميّة، لذلك أصبحت السّياسة اللّغوية مطلبا هاما وضروريا ومرتكزا أساسيا في جميع الدّول، الأمر الّذي أوجب على كلّ دولة السعي للارتقاء بلغتها، بتبني سياسة لغوية حسب الوضع السّوسيو لساني الخاص بمجتمعنا، لأنه "لا يمكن أن يكون هناك لغة قوية في أي مجتمع ما، إذ لم تسبق الدّولة بوضع سياسة قوية محكمة تجسّد واقعيّا عن طريق تخطيط لغوي"[1]، فالحاجة إلى سياسة لغوية واضحة المعالم والأهداف ضرورية للدّول لحماية لغتها والذّود عنها والنّهوض بها والحفاظ على وحدة شعبها وهويتها.

والوضع اللّغوي في بلادنا متنوع بتنوع ثقافات المجتمع، وتميّز لغته باعتباره يتوفّر على عدة لغات محلّية مستعملة من قبل أفراد المجتمع، إلاّ أنّه لا يُعترف رسميّا إلاّ بلغة واحدة كلغة رسميّة ووطنيّة وهي

[1]- عبد المجيد عيساني، نظرية التّعليم وتطبيقاتها واكتساب المهارات اللّغوية الأساسيّة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مص، ط1، 2011م، ص102.

اللّغة العربية إذ تستعمل في التّعليم والإدارة والإعلام وبعض القطاعات الاقتصاديّة، والمعاملات الرّسمية، مع الاعتراف في السّنوات الأخيرة بالأمازيغيّة كلغة وطنيّة.إذن يعيش المجتمع الجزائري وضعيّة لغويّة مميّزة من عدّة فضاءات لغويّة.[1]

حيث لخص الباحث **لويس جان كالفي** الوضع اللّغويّ في بلدان المغرب العربي بوجود عدة لغات، تؤدي وظائف شديدة التّنوع، وهي: العربيّة الفصيحة، واللّغة الفرنسيّة، اللّغة الأمّ (الدّارجة) واللّغة الأمازيغيّة، نقلًا عن **جيلبير غرانغيوم** (Grandguillaume) في كتابه التّعريب والسيّاسة اللّغوية في بلدان المغرب حيث يقول: "تُستخدم حاليا في بلدان المغرب العربي ثلاث لغات: العربيّة والفرنسيّة، واللغة الأمّ (اللهجات العاميّة واللهجات الأمازيغية)، أمّا الأوّليان فلغتا الثّقافة والأدب، وهما لغتان مكتوبتان، غير أنّ اللّغة الأمّ الحقيقة التي يستخدمها النّاس عادة في خطابهم اليوم اللهجة العربية والبربرية"[2]، فالمشهد اللغوي في الجزائر يعرف تعايش ثلاث لغات وهي اللّغة العربيّة الفصحى ولهجاتها، اللغة الأمازيغية ولهجاتها التي تمّ الاعتراف بها مؤخرا كلغة وطنية، واللّغات الأجنبيّة وعلى رأسها اللّغة الفرنسيّة، ما جعل المجتمع الجزائري أمام ثلاثية لغوية trilinguistique فرضت عليه تزاحما لغويا وأنشأت فيه علاقة تنافسية بين اللّغات.

1-السّياسة اللّغوية:

المعنى اللغوي للفظ السياسة مأخوذ من قولهم فلان يسوس الدّواب إذا قام عليها و روّضها والسياسة القيام على الشّيء حتّى يصلحه، و الوالي يسوس رعيّته، و سُسْت الرعية سياسة أمرتها ونهيتها، وفلان مجرّب قد ساس و سيس عليه، أدّب، و أُدّب، كما لها دلالات أخرى في المفهوم الغربي و منها: كل ما يتعلق بالأمور السياسية و المدنية و الدولة والدستور و النظام و السيادة، وهي من مدلولات كلمة politika. أمّا من حيث مفهومها الاصطلاحي فهي: علم يبحث في أصول الحكم و تنظيم شؤون الدولة، وقد عرّفها أرسطو بأنّها علم السيادة، وهي سيّدة العلوم.

[1]- ينظر: خالد عبد السّلام، دور اللّغة الأم في تعلّم اللّغة العربيّة الفصحى في المرحلة الابتدائية، مرجع سابق، ص98-99.

[2]- لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللّغوية، مرجع سابق ص89.

1-2- مفهوم السّياسة اللّغوية:

مصطلح السّياسة اللّغويّة مصطلح غربي ظهر في السّتينيات من القرن الماضي يقابل المصطلح الفرنسي Politique linguistique حيث عرفه **لويس جان كالفي** بقوله: "نحن نعتبر السّياسة اللّغوية هي مجمل الخيارات الواعيّة المتخذة في مجال العلاقة بين اللّغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللّغة والحياة والوطن."[1] فالّسياسة اللّغوية هي مجموعة من الخيارات المتعلقة باللغة.

و يعرّفها صالح بلعيد: "بأنّها موقف رسمي ضمن مبادئ، وتوجهات، وقرارات تستهدف إقليم الدولة، أو الإقليم الخاضع للحكم المحلي، أو الكنفدرالي، كما أنّها تدخل في باب الحقوق اللّغوية"[2]. و يعرفها آخرون "بوصفها الإطار القانوني، والتّهيئة اللّغويّة كمجوعة الأعمال التي تهدف إلى ضبط وضمان منزلة للغة ما، أو عدّة لغات"[3]، فالسّياسة اللّغويّة تهدف إلى ضبط استعمال اللّغات في المجتمع الواحد، وضمان موقع كلّ لغة.

يُعتقد أنّه أوّل ما ظهر مصطلح السّياسة اللّغوية في اللّغة الإنجليزية على يد "جوشوا فيشمان سنة 1970م، ثم ظهر في اللّغة الإسبانية سنة 1975م، وفي الألمانيّة سنة 1981م"[4]

و يعرف مصطلحات أخرى، أو تسميات منها: "التّهيئة اللّغوية l'Amenagement linguistique في الكيبكوالتقييسNormalisation في كتالونيا.[5]كما ورد مصطلح السّياسة اللّغويّة متداخلا، مع مصطلح التّخطيط اللّغوي "فيستخدم الواحد مكان الآخر"[6]، لأنّ هذا المصطلح لم يكن "متداولا في

[1]- لويس كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللّغوية، مرجع سابق، ص:221.

[2]- صالح بلعيد، في الأمن اللّغوي، ص60.

[3]- لويس كالفي،حرب اللغات و السّياسات اللغوية، مرجع سابق، ص:11.

[4]- المرجع نفسه :ص10.

[5]- نفسه ، ص11.

[6]- نفسه ، ص221.

الكتابات الأولى التي تناولت هذا النّشاط حيث كان مصطلح "الهندسة اللّغوية هو الشّائع[1].الأمر الذي أدى إلى تداخل المصطلحات وصعوبة التعامل معها لحل المسائل اللغوية في العالم العربي.

اتّسع استعمال مصطلح السياسة من حقل الحكم و السيادة و النظام إلى مجالات أخرى حيث يتحدّد معناها على مقتضى ما أضيفت إليه تركيبا أو ما تعلّقت به توصيفا، ومن ذلك مصطلح السياسة اللغوية، و هو مصطلح مركب من السياسة و اللغة، فاللّغة على حدّ تعبير ابن جني هي أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، و هو تعريف يحيل على عدّة جوانب متعلّقة بماهيتها وجوهرها و وظيفتها و بعدها الاجتماعي، فهي ظاهرة صوتية سمعية من حيث طبيعتها، أمّا غايتها فهي تحقيق الاتّصال و التّواصل بين المتخاطبين، كما يشير تعريف ابن جنّي إلى البعد التّداولي للغة والّذي يكمن في تصرّف مستعمليها في التّعبير بها عن مقاصدهم .

وفي علاقة اللغة بمصطلح السياسة نقف على بواكير ظهور مصطلح السياسة اللغوية عند اللساني (**أنطوان ميبه**) في دراسته للقوانين الّتي تحكم وضع اللّغة في مجتمع متعدّد اللّغات، حيث اعتمد في ذلك منهجا مفاده "أنّه من الواجب أن نحدّد مع أيّ بنية اجتماعية تتّفق بنية لغوية معيّنة، كما أنّه من الواجب أن نحدّد كيف تتمثّل تغيّرات البنية الاجتماعية بطريقة عامّة مع تغيّرات في البنية اللغوية "، و لعلّه ممّا مهّد للدّراسات المتعاقبة في مجال السّياسة اللغوية هذا المصطلح الّذي ظهر في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين كفكرة حول النّشاط المتعلّق أساسا بالمظاهر الداخلية للغة، والّذي يكمن في إعداد الكتابة المعيارية و النّحو و المعجم لتوجيه الكتاب و المتكلّمين في الجماعة اللّغوية.

ثمّ توالت البحوث بعد ذلك و تطورت من حيث دخولها ساحة البحوث العلمية والأكاديمية في الثمانينات من نفس القرن، و زاد الاهتمام به تنظيرا و تطبيقا بعد ذلك لارتباطه بالهوية و القومية و المعتقد و الإيديولوجيا، مع الإشارة إلى وجود هذا المصطلح كإجراء عملي في مراحل الحملات

[1]- بلال دربال، السيّاسة اللغوية المفهوم والآلية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ع10، 2014م، ص327.

الاستعمارية الغربية على بلاد العرب بخلفية طمس معالم دينهم و هويّتهم، و هو ما تجسّد في فرض لغات الاستعمار و محاربة اللغة العربية ومعاقبة معلّميها ماديا و معنويا، أمّا من حيث حقيقة هذا المصطلح فقد ورد مفهومه لدى بعض الباحثين الغربيين بمعنى الاختيار المدروس من قبل الحكومة – أو أيّ سلطة– فيما يخصّ العلاقة بين اللّغة و الحياة الاجتماعية ، كما أنّ مفهوم هذا المصطلح يتّسم بالتوسع ليشمل تلك الإجراءات و الغايات و الوظائف المنتخبة من وراء هذا المفهوم، بمعنى أنّ السياسة اللغوية لا تقتصر على السياسات و الأنظمة و اللّوائح الرّسمية المتعلّقة باللغة، بل يضم كذلك الأهداف و المقاصد و الأفعال المتعلقة بالسياسة اللغوية والجانب التطبيقي، و انعكاساتها على الواقع.

ومن مرادفات هذا المصطلح عند بعض المتخصّصين ؛مصطلح التّخطيط اللغوي، حيث يماثل مصطلح السياسة باعتبارهما مفهومين لهما منطلقاتهما العلمية في حقل اللغويات الاجتماعية فالتّخطيط اللّغوي كما يعرّفه العلماء أصحاب نظرية التّخطيط اللغوي على أنّه" ليس نشاطا لغويا صرفا، بل تتداخل فيه عوامل مختلفة سياسية واقتصادية وإدارية، كلّها تصبّ في حلّ الإشكالات اللغوية في المجتمعات "، ويذهب البعض إلى أنّ التخطيط جزء من السياسة، ومنهم من يرى العكس إلّا أنّ ثمّة تقاطعا و تقاربا بين المصطلحين من حيث الاهتمام باللغة في مستواها التنظيمي و التقنيني و الرسمي، و في مستواها الإجرائي التّفعيلي أو الواقعي، وهو ما بيّنه لويس كالفي في تعريفه للتّخطيط اللّغوي على أنّه: "البحث عن الوسائل الضّرورية لتطبيق سياسة لغوية و عن وضع هذه الوسائل موضع التّنفيذ"[1]

1-3-مبادئ السّياسة اللغوية:

أنّ تستند السّياسة اللّغوية إلى مبادئ "الهوية الثّقافيّة الوطنيّة الشّموليّة، وإيجاد خطّة تنظّم استعمال اللّغات الموظفة، بتحديد واضح لوظائف اللّغة الرّسمية المشتركة"[2].

[1]– لويس كالفي، حرب اللغات والسّياسة اللّغوية، مرجع سابق، ص221.

[2]– عبد القادر الفاسي الفهري، اللّغة والبيئة، منشورات الزمن، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء، المغرب، 2003 ص11.

أن تنطلق السّياسة اللّغوية من " العقيدة، والتّاريخ المشترك للمجتمع، والكيان الوطني والهوية النّابعة من كيانه، واللّغة المجسدة للثقافة، المعبرة عن حضارته مراعاة طبيعة اللّغات المحلية المنتشرة عبر ربوع الوطن، كوضع الأمازيغيّة في الجزائر"[1] وهذا تحقّيقا لسياسة ناجعة، لأنّ السّياسات اللّغوية النّاجحة، هي التي تستند على أساس الهوية اللّغوية والعقيدة والتّاريخ المشترك. و"اعتماد منهج يعلي شأن اللّغة بوصفها عنوانا للهوية، ويحافظ عليها باعتبارها أداة ضرورية للتقدم، ويعمل على استثمارها الاستثمار الأمثل"[2] وتنطلق من مشروع المجتمع، لأنّ السّياسة اللّغوية "وليدة مشروع مجتمعي ووليدة الكيفية التي يحدد بها هذا المجتمع مستقبله"[3].

1-4-أهداف السّياسة اللغوية

تهدف السياسة اللغوية باعتبارها لوائح تنظيمية و قرارات مصدرها السلطة إلى :- تحديد اللغة الرسمية -بحكم أنّها رمز للسيادة - و تفعيل استعمالها في المؤسسات و الإدارات بموجب قرار رسمي (التّنصيص القانوني على هيمنة اللغة الوطنية على اللغات الأخرى)، وهو ما يهدف إلى تثبيت الهوية اللغوية، و ممّا يندرج في ذلك ؛التّوجيه الفعّال للغة الواقع التّعليمي بكلّ أطواره و مستوياته،دون إهمال للتّحوّلات العالمية في مجال السياسة و الاجتماع و الاقتصاد و التعليم و الثّقافة ؛ومدى ارتباطها باللغة الأم و مظاهر التّعدّد اللغوي، حيث مواكبة المستجدات العلمية و التطورات العالمية الحديثة ، و هو مجال لنشر اللغة و فرض قيمتها على المستوى العالمي من خلال الابتكارات و ترجمة مختلف المصطلحات العلمية، كما تهدف السياسة اللغوية إلى حلّ المشاكل اللغوية و كل ما يتعلق بمعوّقات التواصل بأشكاله ، و في هذا السياق يحدّد ميشال زكريا بعض الأهداف المتعلقة بالسياسة اللغوية والتي أوجزها في : الإبقاء على اللغة الرسمية وإزالة التّعدّد اللغوي، وذلك عبر جملة من المراحل(مرحلة الاختيار والنمذجة) بمعنى اختيار النموذج القياسي من هذه اللغات، ثم مرحلة التقنين و توسيع

[1]- عبد المجيد عيساني، نظرية التّعليم وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص104.

[2]- محمود السيد، اللغة العربية "واقعا وارتقاء"، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، سوريا، دط، 2010، ص98.

[3]- المرجع نفسه، ص11.

الوظائف؛ و هي التنصيص على وظيفة اللغة تشريعا، لتليها مرحلة المواضعة على النوعية ؛و هي تقبل المجتمع لهذه اللغة كما يقرّر في خطوة ثانية تبنّي التّعدّدية اللغوية و الاعتراف بها و ذلك بالمحافظة على اللغات الأساسية داخل الدولة و انتخاب لغة واحدة أو أكثر كلغة رسمية، لأجل تكريس التعايش الثقافي و تنوّعه، و تبني لغتين رسميتين و الاعتراف بهما لكونهما تتفقان مع التركيبة اللغوية الوطنية. لذلك فالجزائر بحاجة إلى تبني، وانتهاج سياسة لغوية حكيمة للنّهوض باللغة العربيّة وحمايتها هذه السّياسة يجب أنّ تأخذ في الحسبان الوضع اللّغويّ المعقد للبلاد، والمتّسم بالتّعددية اللّغوية لأنّ "الارتقاء اللّغوي يتطلب وضع سياسة لغوية متكاملة على المستوى القومي، أو على مستوى كلّ قطر"[1]، هذه السّياسات اللّغويّة الّتي انتهجت في السّابق لم تستطع حماية اللّغة العربيّة ولا ترقيتها. رغم أنّ كلّ الدّساتير العربيّة تنصّ في موادها على"أن اللّغة الرّسمية هي اللّغة العربيّة، وكثيرا ما تصدر الحكومات قوانين لصيانة اللّغة الرسمية ورعايتها"[2] لتحقيق تنمية لغوية مستدامة تقوم بما يلي:

– إعلاء شأن اللغة العربية بوصفها عنوانا للهوية والانتماء، والحفاظ عليها باعتبارها أداة ضرورية للتقدم، والارتقاء والتّنمية المستدامة، ومواكبة روح العصر، عصر العلم والتّقانة "التّكنولوجيا" في مجتمع المعرفة، والحرص على سيرورتها في ميادين الحياة كافة هذا على النّطاق الإقليمي والعالمي.

– تهدف إلى تعليم مواد المعرفة كافة باللغة القوميّة "العربيّة الفصحى، وتأمين مستلزمات هذا التّعليم إمّا لأبنائها، وإما للناطقين بغيرها في داخل الوطن، أو خارجه، بحيث نجعل اللّغة القوميّة مطلبا أساسيا للالتحاق بالجامعات، كما ترمي السّياسة اللّغوية إلى تحديد موقع اللّغات الأجنبيّة في نطاق النّظام التّعليمي"[3].

– ضرورة الفصل بين العربية كلغة رسمية، واللّغات المحلية كلغات تراثية محصورة، لا ترتقي إلى مرتبة العربية، واللّغات الأجنبية التي ليست بديلا عن العربية وعن اللّغات المحلية.

[1]– محمود السيد، اللغة العربية "واقعا وارتقاء"، مرجع سابق، ص98.

[2]– عبد السلام المسدي، الهوية العربيّة والأمن اللّغوي، مرجع سابق، 2014م، ص112.

[3]– محمود السيد، اللغة العربية "واقعا وارتقاء"، مرجع سابق، ص180.

– إقامة المؤسسات الحامية للغة العربيّة، وضرورة وضع حدّ لسيّاسة الخطاب المزدوج[1].

– إيجاد خطّة لتنظيم استعمال اللّغات الوطنية، بتحديد واضح لوظائف اللّغة الرّسمية المشتركة وتحديد أدوات اللّغات/ اللّهجات ذات البعد الهوي، ووظائف لغات الانفتاح[2].

– دعوة رجال الحكم، والسّياسة في كلّ الدّول العربية التحدّث باللغة العربية الفصيحة تشجيعا للرعية على احترام اللّغة، وبث الثّقة والولاء لتراثها[3]. والنّاس على دين ملوكهم.

1-4-1-توصيف الوضع اللغوي الاجتماعي:

يتمّ هذا الإجراء من خلال البحث الميداني و أخذ العيّنات لتحليلها وفق عناصر المنهج الاستقرائي الإحصائي، على أن تكون الدراسة في ذلك مطبقة على ميادين مختلفة تمثّل طبقات المجتمع، ومنها المدارس و المراكز التعليمية و الإدارات و أماكن التجمعات الشعبية، والاطلاع على الصحف و المجلات و الصّحف المقروءة من حيث نسبة استعمالها، وكذا المحادثات و كل أشكال التواصل الاجتماعي، وهو ما يؤسّس أهم مرتكزات السياسة اللغوية و يعزّز من سبل فهمها وتحليلها و يتمّ ذلك على عدّة مستويات منها: معرفة مصدر السياسة اللغوية و السلطة الّتي تحدّد القرارات و المراسيم الخاصّة بها، أو ما يسمّى بالحوكمة اللغوية، و هي تصرّف قانوني له تفعيل على المستوى الاجتماعي فيما يخصّ المعنيين أو المستهدفين بالسياسة اللغوية لكلّ فئة مجتمعية، خاصّة مجال التّعليم و التربية و تحديد المناهج و ضبطها، و هي مرحلة تسبق التّطبيق، حيث الإجراء العملي المتمثّل في ترجمة هذه السياسة واقعيا، من خلال الجمع بين مصدرها و واقعها الّذي لا ينفكّ عن ماضيه وسياقه التّاريخي من حيث إدراك الحقائق التاريخية ؛ سواء في النظام و الحكم أو الدين و الأخلاق، أو الثقافة و الهوية وغير ذلك، ممّا له علاقة وشيجة بهدف رصد سياسة لغوية ناجعة في الحاضر و المستقبل . مراعاة طبيعة اللّغات المحلية المنتشرة عبر ربوع الوطن، كوضع الأمازيغيّة واللهجات الناطقة بالعربية في

[1]– محمود السيد، اللغة العربية "واقعا وارتقاء" مرجع سابق، ص61.

[2]– عبد القادر الفاسي الفهري، اللّغة والبيئة، مرجع سابق، ص11.

[3]– محمود السيد، اللغة العربية "واقعا وارتقاء"، ص99.

الجزائر[1] وهذا تحقّيقا لسياسة ناجعة، تستند على أساس الهُوية اللّغوية والعقيدة والتّاريخ المشتركوالوحدة اللّغوية، لأنّ السياسة اللّغوية "وليدة مشروع مجتمعي ووليدة الكيفية التي يحدد بها هذا المجتمع مستقبله"[2]

1-4-2- رصد المشكلات اللغوية و تحديد الغايات:

تقدّم الدّراسات و البحوث الميدانية للسياسة اللغوية منطلقا لفهم واقعها الاجتماعي و فحص كل الجوانب المتعلّقة بها، سواء على سبيل الأفراد أو الجماعات، وهو ما يمكّن من تشخيص المشكلات اللغوية وتفسيرها تفسيرا علميا في ضوء معطيات الحياة الاجتماعية ؛ مع الاعتبار بالتّجارب اللغوية والعمل على الاستفادة منها، وما ترتّب عن العولمة و تأثيراتها على كافة مناحي الحياة من سياسة واقتصاد و إعلام وثقافة و غير ذلك، حيث يرى لويس جون كالفي أنّ تطوّر علم اللغة الاجتماعي ارتبط بتطوّر السياسة اللغوية، و أنّ اشتداد هذا العلم كان نتيجة الاهتمامات الأولى بالسياسة اللغوية، وفي هذا السياق تلعب الإشكالات اللغوية دورا أساسيا و محوريا في النّهوض بسياسة لغوية ذات مستوى رفيع، تركّز على اعتماد اللغة الرسمية للدولة، و لغة التعليم و وسائل الإعلام و التّخاطب و التواصل بشكل عام، ومن مخرجات هذا العنصر تتحدّد جملة الأهداف والغايات التي تسعى السياسة اللغوية لتحقيقها، حيث تحديد مجالاتها الموزّعة على عدّة فروع كالتّرجمة والتدريب اللغوي، و التقنيات اللغوية.

2- التّخطيط اللّغوي ودوره في التّنمية اللّغويّة:

أمّا المطلب الثّاني الذي يحقق نهضة اللّغة العربية الفصحى هو "التّخطيط لوضع سياسة لغوية"[3] فالحاجة إلى تخطيط لغوي هو ضرورة حتمية لمعالجة المشاكل اللّغوية في أي مجتمع كان، حيث يرى عبده الراجحي أنّه" من المستحيل أن ننهض بتعليم العربيّة إلاّ بوجود منهج علمي يفرض وجود

[1]- عبد المجيد عيساني، نظرية التّعليم وتطبيقاتها،ص104.

[2]- المرجع نفسه، ص11.

[3]- المرجع نفسه، ص105.

تخطيط حقيقي، ويفرض تكاملا في مصادر تعليم اللّغة"[1]. وعليه فمبدأ التّخطيط اللّغويّ، قد يكون الخطوة الأولى لبداية الطّريق لحل المشكلات التي تتعرض لغاتنا، و يرتبط مصطلح التّخطيط اللّغوي بعلاقة مع السّياسة اللّغوية، إذ أنّ "مفهوم التّخطيط اللّغويّ يفرض سياسة لغوية."[2]، فالتّخطيط يصعب نجاحه، ما لم تتوفر السّياسات اللّغوية، والإدارة القوية، إذ أنّه يندر أن نجد إسهاما علميا يعالج التّخطيط، دون أن يعرض على السّياسة اللّغوية، لما لهما من علاقة قوية.

2-1-التّخطيط اللّغوي مفهومه:

بدأ الحديث عن التّخطيط اللّغويّ منذ أن أطلق اللّساني الأمريكيّ هوغن (E-Hougen)" عبارة التّخطيط اللّغويّ langage planning عام1959م في مقالة مخصصة للوضع اللّغوي في النّرويج"[3]،ثمّ انتقل هذا المصطلح إلى بقية العالم، وأصبح "يعنى بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع، ومدى تأثّر كلّ منهما بالآخر، ويعنى بدراسة المشكلات التي تواجه اللّغة سواء أكانت مشكلات لغوية بحتة كتوليد المفردات، وتحديثها، وبناء المصطلحات وتوحيدها، أم مشكلات غير لغوية ذات المساس باللّغة واستعمالها، وإيجاد الحلول العلاجية لتلك المشكلات"[4]، حيث تقوم به الدّولة في سياستها، وتخطّط له، لأنّ " السّلطة السّياسية دائما ما تنتصر لهذه اللّغة أو تلك وتختار لغة بعينها، أو تفرض لغة الجماعة الأقليّة على الجماعة الأكثرية"[5].

يعتبر التّخطيط اللّغويّ"le Planification linguistique"فرع من فروع اللّسانيات الاجتماعيّة"[6] ويقصد به"مجموعة التّدابير الّتي تُتّخذ من أجل تنفيذ هدف معين، وهذا يعني أنّ مفهوم الخطّة

[1]- عبده الراجحي، علم اللّغة التّطبيقيّ وتعليم اللّغة، سابق، ص91.

[2]- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللّغوية، مرجع سابق، ص222.

[3]- نفسه، ص220.

[4]- فواز محمد الراشد العبد الحق، مرئيات التّخطيط اللّغوي: عرض ونقد، مجلة مجمع اللّغة العربية، الأردن، مج 20، ع51، 1996م، ص199.

[5]- لويس جان كالفي، السّياسة اللّغوية، سابق، ص07.

[6]- مرجع نفسه، ص08.

يحدّدها عنصران، أوّلهما وجود هدف أو غاية، وثانيها وضع تدابير محددة، ووسائل مرسومة من أجل بلوغ هذا الهدف"[1]، فالتّخطيط اللّغويّ هو مجموعة الآليات المعتمدة لبلوغ الهدف المسطر ويعرّفه لويس كالفي بأنّه"البحث عن الوسائل الضّرورية، لتطبيق سياسة لغويّة، وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ"[2] أي الوسيلة الّتي تطبق سياسة لغوية ما، كما يعتبر التّخطيط " نشاط رسمي تضطلع به الدّولة، وتنتج عنه خطة تنصّب على ترتيب المشهد اللّغويّ في البلاد لاختيار لغة، أو أكثر من لغة رسميّة"[3]، فهو النّشاط الّذي تختصّ به الدّولة دون غيرها من أجل اختيار اللّغة.

من خلال ما سبق نستنتج أنّ التّخطيط اللّغويّ هو مجموعة التّدابير، والخطط، والجهود والوسائل الّتي تسخرها الدّولة في سبيل رسم، وتطبيق السّياسة اللّغويّة للبلد، لحماية اللّغة القوميّة من التغيرات الّتي تتعرض لها، و يعبّر عنه فهمي حجازي: "بالبحث المنظم عن حلول للقضايا اللّغويّة الّتي تطرح نفسها على المستوى القومي"[4].

وترى خولة طالب الإبراهيمي أنّ "التّخطيط اللّغويّ هو نشاط منهجي لتنظيم، وتحسين اللّغات الموجودة، أو لإنشاء لغات مشتركة جهوية، أو وطنيّة، ودوليّة"[5]، وهو الجهود الّتي تبذل "لتحقيّق السّياسة اللّغويّة، وتجسيدها على أرض الواقع لحماية اللّغة الرّسميّة، أو القوميّة، وتنظيم وتحسين اللّغات الموجودة في المجتمع، وبالتالي التّطبيق الفعلي لسياسة لغويّة بعينها"[6]. وعليه فمسؤولية التّخطيط اللّغويّ تقع بالدرجة الأولى على عاتق الدّولة، ثم مؤسساتها من الأفراد والجماعات أن يكونوا جزءا من عمليّة التّخطيط، وقد يقومون بدور كبير في إنجاحه[7].

---

[1]- صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التّطبيقيّة، سابق، ص12.

[2]- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللّغوية، سابق، ص221.

[3]- علي القاسمي، العربية الفصحى، وعاميتها في السّياسة اللّغوية، سابق، ص194.

[4]-محمود فهمي حجازي، اللّغة العربية في العصر الحديث:قضايا ومشكلات، دار قباء للطباعة، القاهرة،1998م، ص140.

[5]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية، سابق، ص190.

[6]- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللّغوي، سابق، ص111.

[7]- يُنظر: نهاد الموسى، قضية التحوّل إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر، عمّان،1987م، ص30-32.

لذلك على" المسؤول عن التّخطيط اللّغويّ أن يلم بقضايا اللّغة في المجتمع، قبل بدء العمل به وأن يتحرى المشاكل الألسنيّة و يدرس العوامل الاجتماعيّة، والثّقافيّة، والسّياسيّة والاقتصاديّة والتّربويّة الّتي تتداخل مع المسألة اللّغويّة"[1]. ويعتبر التّخطيط اللّغوي مجال عمل منفذي هذه السّياسة اللّغويّة وما أكثر هؤلاء من المؤلفين والمترجمين، والعلماء والإعلاميين وغيرهم"[2]

و"من الحقائق الأساسيّة للّغة أنّها في تغيير مستمر، وهناك طيف كامل من التّنوعات اللّغوية، في العالم يبدأ من التّنوعات الأسلوبيّة المحضة داخل اللّهجة الواحدة، ليصل إلى اللّغات المنفصلة التي لها نظم مختلفة جوهريا للنّطق والقواعد، ليس هناك تغيير في تركيب اللّغة فحسب، ولكن في استخدامها وهذا يعني أنّ لدى المتحدثين بها دائما بدائل متاحة أمامهم، فهم في حالة اختيار دائم بين الضّروب اللّغوية، أو بين البدائل الموجودة في نظام لغويّ ما، فوجود البدائل يجعل عمليّة التّخطيط أمرا ممكنا"[3] فأهمية التّخطيط تكمن في الاختيار بين البدائل اللّغوية الممكنة، والعمل على تطوير اللّغة بما يخدمها كإيجاد ألفاظ، ومصطلحات تواكب التّطورات العلميّة، وهذا كلّه دون المساس بجوهر اللّغة ونظامها.

2-2-مهام التّخطيط اللّغوي:

يعالج التّخطيط اللّغويّ "المشكلات اللّغوية التي نتجت عن الدّول المستعمرة حيث حلّت بعض اللّغات العالميّة والأجنبيّة (كالإنجليزية، والفرنسيّة) محل اللّغات المحلية الوطنية القوميّة "[4]، أمّا المهام الرّئيسية للتخطيط اللّغويّ، تتمثل في وضع السّياسة اللّغوية التي"تسير عليها المنظومة التّربوية وفق الاختيار الشّعبي، وثوابت الأمة، ومرجعية الدّساتير، والقوانين الرّسمية للبلاد، حيث يهتم

[1]- ميشال زكرياء، قضايا ألسنيّة تطبيقيّة،" دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 119.

[2]- محمود فهمي حجازي، اللّغة العربية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص119.

[3]- رالف فاسولد، علم اللّغة الاجتماعيّ، تر: إبراهيم محمد الفلاي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع،(دط)،2000م ص437.

[4]- فوازمحمد الراشد عبد الحق، مرئيات التّخطيط اللّغوي، عرض و نقد، مجلة مجمع اللغة العربية، الأردن، مج،20 العدد،51، 1996م، ص106.

بالتطبيق، وإعداد الوسائل البشرية، والمادية، و يبحث في المهام والأهداف والغايات، وقد يكون التغيير محليا، يشمّل محو الأمية، وضع المصطلحات، والتّرجمة واستخدام وسائل الاتّصال لفرض اللّغة"[1]، وعليه يكتسي التّخطيط أهمية كبيرة في حل المشكلات اللّغوية، ووضع السيّاسة اللّغوية.

فاللّغة العربيّة في الجزائر تواجه مشكلة كبرى تتمثل في مزاحمة العاميات(الازدواج اللغوي) واللّغات الأجنبيّة(الثنائية اللغوية) ومنافستها في وظائفها، الأمر الذي يجعل الدولة الجزائرية بحاجة إلى إعادة النظر في سياستها اللغوية، مع توفير الظّروف المواتية للنهوض باللّغة العربية، وهذا التّخطيط يجب أن يكون شاملا، حتّى يحقق الأهداف المرجوة منه، ويتأتى ذلك بوضع خطة إستراتيجية تتضمن:

– العمل المتواصل على تعزيز اللّغة العربية، وتحيينها في المؤسسات الفاعلة في المجتمع، لكي تضطلع بدورها، وتأخذ المكانة اللائقة بها.

– تفعيل الهيئات العلمية والمجامع اللغوية و المؤسسات الحيوية، الّتي تعمل على ترقية اللّغة والمحافظة على سلامتها الاجتماعية"[2].

– تمكين اللّغة "من حقّها في مختلف مجالات التّواصل، وخدمة جوانبها الداخلية، وتطويعها بهدف جعلها لغة تعبيرية تامّة، إضافة إلى تهيئتها وتطويرها من الداخل، وتعميمها في مظاهر الحياة العمليّة لتصبح لغة التّعليم، والبحث العلمي، ولغة تسيير مختلف المؤسسات وفي جميع نواحي الحياة العمليّة"[3].

– العمل على التطوير الشامل للّغة العربية في مختلف مساراتها، ومجالات التّعبير بها، وفي أطرها العامّة والخاصّة.

[1]– راضية مرجان، تأثير التّخطيط اللّغوي على النّظام التربوي في المدرسة الجزائرية واقع وآفاق، أعمال الملتقي الوطني حول التّخطيط اللّغوي، مخبر الممارسات اللّغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ج2، ديسمبر2012م، ص141.

[2]– صالح بلعيد، في الأمن اللّغوي، سابق ، ص62.

[3]– راضية مرجان، تأثير التّخطيط اللّغوي على النّظام التّربوي، السابق ص142.

– ينبغي أن يكون التّخطيط اللّغويّ في الجزائر قائما على " نطاق المجلس الأعلى للّغة العربية، ووزارة التّعليم والبحث العلميّ، ومخابر اللّغة العربيّة، ويكون هذا التّخطيط على مستوى التّعليم بمختلف المراحل، ثم على مستوى الإعلام ووسائله، وكذلك على مستوى الإدارة"[1].

– ضرورة اتّخاذ قرارات شجاعة، تفعّل قوانين العربيّة في الإدارات والجامعات، وذلك برسم خطّة ليكون التعميم بالتدريج.

– يجب على التّخطيط اللّغوي أن يضع "التّعدّد اللّغوي و توجيهه في حماية المكانة الحضارية للغة العربية، وجعلها محور اللّغات كلّها الوطنيّة والأجنبيّة، وليس لمزاحمة مكانتها، أو تقليص دورها ومساحات استعمالها، في مقابل ذلك يجب أن تعطي اللّغات الأجنبيّة التي يمكن تعلّمها قيمة اعتبارية متساوية، فيما بينها لا فضل لإحداها على الأخرى، مع عدم الاقتصار على لغة أجنبية واحدة"[2].

– هذا التّخطيط يجب أن يُعمل على تطبيقه حرفيا، وتجنيد الإعلام لمعاضدة التّخطيط من أجل تعليم ناجح، مع رسم سياسة لغوية شاملة، ومنسجمة مراعية الأبعاد الحضارية، والتّاريخية والعلمية.

– أما في مرحلة التّطبيق والتّقويم:كلّ جوانب الحياة تحتاج في التّعامل اللّغويّ إلى الوضوح، ولا يمكن تحقيق التّغيير في السّلوك اللّغويّ، إلاّ في ضوء حملات إعلامية مكثفة[3].

إنّ المشروع النّهضويّ للغة العربيّة سوف يُكتب له النّجاح، كما نجحت تجارب التّخطيط في مختلف الدّول، كتّجربة بعض الدول العربية، ومنها الجمهورية السّورية. حيث قامت سوريا " بخطّة عمل وطنيّة لتمكين اللّغة العربيّة والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، بإصدار القوانين الّتي تحمي اللّغة وتحافظ عليها، وتتابع تنفيذها"[4].

---

[1]– أحمد بناني، حتمية التّخطيط اللّغويّ لصيانة اللّسان العربي في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول التّخطيط اللّغوي، ص31.

[2]– صالح بلعيد، ترسيم الأمازيغية "حل أم عقد"، مجلة التّخطيط و السياسة اللغوية، مركز الملك عبد الله الدولي، الرياض، المملكة السعودية، العدد 1، 2015م، ص55.

[3]– محمود فهمي حجازي، اللّغة العربية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص121،.

[4]– محمود السيد، اللغة العربية "واقعا وارتقاء"، مرجع سابق، ص99.

2-3-سياسة التّعريب:

إنّ الحاجة ملحة إلى خطة تعريبية فاعلة في الجزائر، من شأنها جعل اللّغة العربيّة قائمة الوظائف ومتمكنة في محيطها الاجتماعيّ "لأنّه ضرورة حيوية لإعادة التّوازن الاجتماعيّ المختل في الوقت الحالي"[1]، فالعربيّة اليوم تعاني في محيطها اللّغوي معاناة مريرة نتيجة تنامي العاميات، ومزاحمة اللّغات الأجنبية لها. ولأنّ اللّغة تعتبر مرتكزا أساسيا من مرتكزات الهُوية، ومكونّ من مكونات الشّخصية الفردية من حيث إنّها تقدم الصّورة الحقيقة على حضارة الشّعوب، وانتمائها الحضاريّ لهذا عملت الأمم عبر العصور على التّفاني في خدمة اللّغة وصيانتها، ومن ثّم توفير العناصر الخاصة للّغة، والّتي بإمكانها جعل اللّغة صورة الأمّة، ومقومّ من مقومّات عزّتها وانتمائها، ومن التّحديات الرّاهنة، تنظيم حملة التعريب أي تعميم استعمال اللّغة العربية في المجال الدراسي، في مختلف أطواره والتربوي والمهني، وحتّى المجال الاجتماعيّ.

يتّخذ مصطلح التّعريب عدّة تسميات، واختلفت تعارفه وتباينت من قطر لآخر، حيث " يختلف مفهوم التّعريب في المشرق العربّي عنه في المغرب العربيّ، لأنّ الظّروف الجغرافيّة والسّياسية لكّل قطر عربي قد حدّدت هذا المفهوم بسمات خاصة"[2]، والّذي يقصد منه ترجمة المصطلح من اللّغة الأجنبيّة إلى العربيّة.

أمّا المقصود من "التعريب بالمغرب العربي هو إحلال اللّغة العربيّة، في التّعليم محل اللّغات الأجنبيّة وتوسيع اللّغة العربيّة بإدخال مصطلحات جديدة عليها، وإلزام الإدارة بعدم استعمال لغة دون العربيّة، والعمل على أن تكون لغة الاتّصال، هي اللّغة العربيّة وحدها، والدّعاية لها، ومقاومة كلّ الذين يناهضون لغتهم للتفاهم فيما بينهم بلغة أجنبية، وبالجملة فإنّ التّعريب يجعل اللّغة العربيّة أداة

[1]-نازلي معوض أحمد، التّعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز الدراسات العربيّة، بيروت،ط1، 1986م، ص197.

[2]- محمد حسين عبد العزيز، التّعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة، دار الفكر العربي، القاهرة،(دط)، (دت)، ص268.

صالحة للتّعبير عن كلّ ما يقع تحت الحس، وعن العواطف، والأفكار والمعاني الّتي تختلج في ضمير الإنسان"[1]، وهذا النّوع من التّعريب لجأت إليه هذه الدّول بعد استقلالها، لإعادة الاعتبار للغتها.

يعتبر التّعريب من أهم السّبل" لتحقيق الوحدة العربيّة الشّاملة، والحفاظ على اللّغة العربيّة في عصر التّحديات، ومن ثّم تكون معركة التّعريب قضية أساسيّة من قضايا الوجود الحضاريّ، والذّات الثّقافيّة المميّزة للأمة العربيّة"[2]، وهو" المسلك الّذي يتوافق مع ما جرت عليه الأمم والشّعوب الأخرى في العالم، إذا اتخذت من لغاتها القوميّة لغة للتّعليم، والتّعلّم من اتخاذ اللّغات الأجنبيّة جسرا يوصلها بالثقافات، وعلوم الغير"[3]، وبذلك يعتبر التّعريب قضيّة من قضايا الأمّة، والمسلك الذي تتّخذه الدّول للنهضة بلغتها ورقيها، ويكون هذا التّعريب تعريبا للتّعليم بالدرجة الأولى وسائر المجالات الأخرى بالدرجة الثّانيّة.

والتّعريب من الموضوعات الهامة الّتي تعالجها اللّسانيّات الاجتماعيّة، ويعد أيضا محورا هاما من الأبحاث التّعليميّة، الّتي تسعى إلى إحلال اللّسان العربي بمستواه الفصيح، محل الألسن الأجنبيّة في التّعليم، ومن ثّم فإن التّعريب بمفهومه هذا يحسم مسألة لسان التّعليم، ويحمي اللّغة العربيّة ويعيد لها مكانتها كلغة رسمية ووحيدة في المجتمع الجزائري. هذا التّعريب ليس "شأنا لغويا فحسب، بل هو صورة من صور التّحرير الوطني –من الهيّمنة اللّغويّة– على المستوى القطري، والتّحرير القومي، وعلى المستوى العربيّ الشّامل حيث تكون لغتنا هي اللّغة التي نعبر بها عن كلّ شؤوننا الفكرية، والمعيشية"[4] وتجدر الإشارة إلى أنّ التّعريب الّذي انتهجته بلدان المغرب العربي غداة الاستقلال شّامل لجميع نواحي الحياة، والنّشاط الإنسانيّ داخل المجتمع، و هو الّذي تسعى إليه الجزائر منذ بداية الاستقلال

[1]– نازلي معوض أحمد، التّعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مرجع سابق، ص43.

[2]– نفسه،ص40.

[3]– سالم عمار، شحاذة الخوري، التّعريب في الوطن العربي واقعه ومستقبله، من أجل خطة عامة للتّعريب، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، (دط)، 1996م، ص95.

[4]– نفسه، ص30.

إلى يومنا هذا. أمّا وضع التّعريب في "المشرق العربيّ، فيختلف عن نظيره في المغرب العربيّ لأنّه يحمل الطّابع المحلي، وما استجد من مصطلحات علميّة، وتقنيّة"[1].

2-3-1-أهداف التّعريب:

ويمكن أن نجمل أهم الأهداف المرجوة من التّعريب في النقاط التالية:

- من شأن هذا التّعريب أن يحقّق التّوازن الطّبيعي بين الفكر، واللّسان، ويفتح الباب للابتكار وللإبداع، وهذا كله يساعد على تكوين الفرد تكويّنا سليما، ويحقّق التّقدم للمجتمع، وتوطين العلم واستتابه، ودفع عمليّة التّنمية الاجتماعية.

- تحقّيق الانسجام، والتّفاهم، والتّعاون بين الأفراد، والأمة، لأنّ اللّغة العربيّة دون سواها هي الجسر الرابط بين فئاتها، ولا سيما المتعلمين، والمختصين، والباحثين.

- يساعد التّعريب على تنمية اللّغة العربيّة، ويعيد لها حيويتها، ويسمو بمكانتها، فتتحقّق لها عمليتها بعد أن تحقق عالميتها[2].

- إنّ التّعريب قرار سياسي، ومهمة وطنيّة تتطلب مسعى من طرف الدّولة فهي الوحيدة القادرة على إرساء دعائمه، وتحقيق أهدافه، فتمكين اللّغة العربيّة لا يأتي إلاّ"باتخاذ القرار السيّاسي، الذي يجعل اللّغة العربيّة اللّغة الوحيدة والأساسيّة، في المحيط التّعليمي والإعلامي والاقتصادي... وأنّ هذا التّمكين في المحيط ينتج عنه ضرورة تطوير، وتنميّة اللّغة داخليا"[3].

3- التّعريب في الجزائر:

[1]- أحمد ناشف، تعريب التّعليم في الجزائر بين الطرح المعرفي والطّرح الإديولوجي، كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، (دط)، 2011م، ص30.

[2]- المرجع نفسه، ص ،118.

[3]- عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتّخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1998م، ص159.

تعتبر اللّغة العربيّة في الجزائر اللّغة الوطنيّة، والرّسمية، تنص على ذلك المادة الثّالثة من الدّستور، هذه اللّغة لها حقوق الاستعمال، لكن الواقع المعيش لا يعكس ذلك، و لمعالجة الوضع اللّغوي المتأزم، يتم "توحيد استعمال لغة واحدة في العمل و التّعليم والثّقافة، وأنّ تقترن هذه الغاية باستعادة جميع المقومات التّاريخية للأمة الجزائريّة"[1]، هذه الخطة تسمح للّغة العربيّة بتبوء مكانتها الطّبيعية التي سبلت منها، وحقّها في التّعميم في جميع المجالات بدءا بتعميم التّعريب المدرسيّ والجامعيّ وصولا إلى تعريب المحيط الاجتماعي، لأنّ "التّعريب أولا هو خدمة اللّغة العربية من الدّاخل (على مستوى نسقها وعلى مستوى إنتاج الأدوات التي تمكن من تنميتها ونشرها) وأيضا إعادة النّظر في المحيط إزاء اللّغات واللّهجات الأخرى، (في إطار الازدواج اللّغوي والتعدّد اللهجي) وهو اختيار إستراتيجي معقول لتمكين اللّغة الوطنية الرّسمية في محيطها"[2]، إذن فمطلب التّعريب ضرورة حتميّة هذا التّعريب يجب أن يكون فاعلا على أساس رسّمية اللّغة العربية .

3-1-تعريب التّعليم الجامعيّ:

إنّ مفهوم التّعريب في التعليم الجامعي يتمثّل في "إقامة النّظام التّعليميّ للقطر على أساس من اللّغة العربيّة تدريسا، وتحصيلا، وذلك طبقا لمخططات دراسيّة تعريبية، تدخل ضمن السيّاسات العامة ، وبمعنى آخر هو طلب العلم باللغة القوميّة العربيّة"[3]، وهذه هي الغاية المنشودة من التّعريب، فالمهمة الّتي أنيطت بالنّظام التّربوي بعد الاستقلال هي القيام بعمليّة استرجاع التّراث التّربوي، الّذي تعرض خلال عهد الاحتلال للطمس، والاستلاب، سعيا لتعميم استعمال اللّغة العربية في المدرسة إلاّ "أن التّعليم العالي في الشّعب العمليّة كالطب، والصّيدلة،والإعلام الآلي والتّكنولوجيا، والهندسة المختلفة

[1]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية، سابق، ص189.

[2]- عبد القادر الفاسي الفهري، اللّغة والبيئة، سابق ص06.

[3]- نازلي معوض أحمد، التّعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مرجع سابق، ص45.

بقي يُدرّس بالفرنسيّة. ولم يبق للغة العربيّة سوى بعض الشّعب الإنسانيّة، والاجتماعية، وتشاركها فيها اللّغات الأجنبيّة"[1].

الأمر الذي يدفع الدّولة إلى تعريب التّعليم الجامعيّ الأدبي العلميّ لأنّ "التّعليم أقوى الوسائل لنشر اللّغة، وجعلها لغة الاستعمال والتّداول، ولغة الشّعب المرنة والمعبّرة عن مختلف الأنشطة والأوضاع. ولا يمكن أن نتصور نهوضا باللّغة العربيّة وتعليم الفئات المحظوظة أو ذات النّفوذ يتم باللغة الأجنبيّة، ولا يمكن النّهوض باللّغةالعربيّة إذا انحصر التّعليم بها في المواد الأدبيّة والدّينيّة، وتركت المواد العلميّة التّقنية للغة الأجنبيّة"[2].

والملاحظ في مجال التّعليم أنّ "هناك قطيعة بين التّعليم الأولي، والتّعليم الجامعيّ، وغياب التّصور الواضح بين التربيّة، والتكويّن، والتّعليم المهني، حيث لم يقع الفصل في لغة التّدريس في المرحلة الجامعيّة، فالتلميذ يتكونّ بلغة، ويجد لغة جديدة في محيطه الجامعيّ، والمهنيّ، وذلك ما يجعله يصطدم بعراقيل لغوية أثناء التّحصيل العلمي للمواد الدّراسيّة."[3]، هذا الوضع اللّغويّ خلق صعوبات كبيرة أمام متعلمّ اللّغة العربيّة، غير أنّه يجب الاعتراف بأنّ" تعريب العلوم يعرف صراعا غير مكشوف بين اللّغة العربيّة واللّغات الأجنبيّة، وأنّ موضوع النّهوض باللغة العربيّة في كلّ فضاءات الحياة ينطوي على نفس الصّراع"[4]، الأمر الذي يضع عراقيل كثيرة في سبيل تحقيق هذا الأخير.

تعريب التّعليم العالي يجب أن يرتكز " على اللّغة الوطنيّة كأداة للتعليم الجامعي، التي هي ضرورة قومية، ولكنّ الحفاظ على المستوى العلمي الإنسانيّ يستلزم عدم الارتجال، وتعزيز هذا النّوع من التّعريب المرحلي بلغات ومراجع أجنبية. وهذا الأمر مألوف في الأوساط العلميّة، ولا عيب فيه مطلقا طالما أنّ هناك جهودا عربيّة تبذل لترجمة المصطلحات، وتعريبها"[5].

[1]- عابد بوهادي، تحديات اللّغة العربيّة في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص51.

[2]- عبد القادر الفاسي الفهري، السّياسة اللّغوية في البلاد العربيّة، ص282.

[3]- صالح بلعيد، مقام اللّغات في ظل الإصلاحات التّربوية، ص36.

[4]- عبد السلام المسدي اللّغة والأمن اللّغوي، مرجع سابق، ص106.

[5]- عابد بوهادي، تحديات اللّغة العربيّة في المجتمع الجزائري، ص99.

3- 2-تعريب المحيط الاجتماعي:

يؤثر المحيط الاجتماعيّ تأثيرا بالغا على اكتساب اللّغة العربيّة، فالتّصرفات السلبيّة والسلوكيات المعادية والفوضى اللّغوية المنتشرة في محيطنا لا مثيل لها، إذ كلّ مؤسسة تضع على واجهتها ما تشاء حتّى ليخيّل إليك أنّك في بيئة أجنبية، لأنّ المحيط يؤدي دورا أساسيّا في الارتقاء باللغة أو انحطاطها "فالشّارع لا يحسن اللّغة العربيّة والإدارة لا تتقنها، والمؤسسات الثّقافية لا تعنى بها كما ينبغي، ومراكز التّكوين لا تعلّمها كما يجب، والإعلام يقترف في حقّها جرائم لا تُغتفر والأسرة لا تولي لها أهمية"[1] و بالتالي ينعكس الأمر على اللّغة العربيّة وتتدهور على كلّ المستويات، على مستوى التّعليم والتحصيل و التواصل و التّداول.

فاستخدام اللّغة العربية في المحيط الاجتماعي كخطوة أولى في جميع النواحي والمساهمة في كتابة "جميع اللافتات في الشوارع، والطّرقات بالعربيّة الفصحى مع منع استعمال اللّغة الأجنبيّة، والحروف اللاتينية إلاّ في الأماكن التي يؤمها الأجانب كالمطارات والسّفارات، والفنادق وفي هذه الحالة تكتب اللّغة الأجنبيّة بحروف أصغر تحت الكتابة العربيّة"[2].

كما أنّ تعريب المحيط من خصوصيات الدّولة والمجتمع المدني، وهذا "يعني أنّ دعم المعرفة ونصرة اللّغة والنّهوض بها يكون بالمشاريع الوطنيّة القوميّة وبالتّخطيط التّربوي، وهذا من واجب المؤسسات المختصة، وعلى رأسها مجامع اللّغة العربيّة، ومراكز البحوث، ومخابر اللّغات"[3] والأجهزة السّياسية لها و الجامعات والمجامع.

---

[1]- أحمد ناشف، تعريب التّعليم في الجزائر بين الطرح المعرفي والطّرح الأيدلوجي، كنوز الحكمة للنشر،الجزائر، (دط)، 2011م، ص121.

[2]- علي القاسمي، العربيّة وعاميتها في السّياسة اللّغوية، أعمال الندوة الدولية، يوم 4 و5 يونيو 2007م،الجزائر،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2008م، ص210.

[3]- صالح بلعيد، ترسيم الأمازيغية "حل أم عقد"، سابق، ص58.

هذا التّعريب يعيد للغة العربيّة منزلتها كلغة وطنيّة، وقوميّة تضطلع بمهمة التّعبير في جميع الميادين، وتكون وسيلة التّواصل الأولى وأداة التّعليم في مختلف مراحله وسائر تخصصاته، خاصّة مجال البحث العلمي في جميع فروعه، و هذا الأمر يعطي لها سيادة تامة على أرضها في كامل المجالات.

هذا التّعريب لا يعني إهمال اللّغات الأجنبيّة، بل انفتاحا على مصادر العلم والمعرفة، تعريب قوامه جهد تخطيطي فعّال ومتكامل تتكافل بشأنه جميع المؤسسات المعنية بالأمر "بدءا من السّلطة والّتي لها الدّور الفعّال، والقدرة الهائلة في مجال ترقية اللّغة ونشرها بين النّاس بما تملكه من أدوات تنفيذية واسعة، حاسمة وقرارات إلزاميّة صارمة، وصلاحيات إدارية واسعة أثبتت فعاليتها في الرّفع من شأن اللّغة وجعلها هي المهيمنة في المجتمع"[1]، ولهذا كان هذا التّعريب هو الخيار الأسمى الذي يجب علينا السّعي إلى تحقّيقه بكل إمكانياتنا، لتعزيز مكانة اللّغة العربيّة، وإقرارها في جميع المجالات "وإحياء للشّخصية العربيّة الأصليّة بمقوماتها الحضارية الحقيقيّة، وبنائها المعنوي الخاص"[2].

ثالثًا: الحلول الممكنة لمشكل الازدواج اللغوي:

لعل كثيرا من النّاس يتساءلون، مثلما نتساءل نحن منذ بداية هذه الدراسة: كيف يمكننا التّخلّص من هذا الوضع المزدّوج؟ أم أنّ الاعتراف بالواقع اللّغوي؛ حيث يسود الازدواج، هو الأمر الوحيد المنطقي والمقبول، والتسليم به كما هو أمر محتوم يجب التّكيّف معه،مع الإقرار بمخاطره وأضراره؟ أم أنّ ثمة مقاربة أخرى، تنتهج منهج التقريب بين العامية والفصحى كحلّ وسط تقوى على حلّ مثل هذا الإشكال، والتقليل من هذه المخاطر والأضرار؟ وهل الحل يكمن في اللغة بشكل محض؟ أم أنّ الحل في أيدي رجال السّياسة و رجال التربية وعلماء الاجتماع أم أنّ الحلّ ثقافي أم ماذا ؟، وطُرحت أسئلة كثيرة في معرض هذا البحث لعلنا نجد طريقة للخروج من مأزق الازدواج الذي يشكل أزمة لغوية ومعضلة فكرية حقيقية، تحول دون مواكبة عصر التطوّر و التكنولوجيا والدخول في دائرة الحداثة؛ كون هذه الظاهرة تشتت الجهد وتشوش الفكر وتعيق عملية التواصل الحقيقية بكل

[1]- عابد بوهادي، تحديات اللّغة العربيّة في المجتمع الجزائري، ص113.

[2]- نازلي معوض أحمد، التّعريب والقومية العربية في المغرب العربي، ص196.

مستوياتها، الفكرية والاجتماعية والعلمية والفنية والشعورية، فهي تمثل وضعًا لغويًا غير وظيفي، ومهما يكن من أمر، فإنّ ظاهرة الازدواج تظلّ مشكلة العصر، وهي مشكلة تتطلب حلولا هذه الحلول – إن توفرت– ستكون صعبة وحاسمة، والبحث عن هذه الحلول، ليس بالسهل أو اليسير، وخاصة حين يُراد لهذا الحلول أن تكون حلولا جذرية وممارسة لغوية شاملة، وليس مجرد حبر على ورق ينتهي بانتهاء القول، فكيف يكون ذلك واقعيا ومنطقيا، وحسب آراء الخبراء و أهل الاختصاص من علماء و مفكرين ينحصر في ثلاث مقاربات أساسية، قد يكون إحداها حلّا لما نعيشه من وضع لغوي شائك :

1- التّسليم بالازدّواج اللّغوي (الواقع اللّغوي كما هو):

يرى أحد المفكرين العرب في معرض إجابته عن سؤال حول أيسر الطرق إلى نشر الفصحى أنّ الازدواج ظاهرة لغوية عامّة "وأن كلّ لغة فصيحة من لغات البشر لها بجانبها لغة متولّدة منها هي اللغة العامية أو اللغة الدّارجة"[1]، فالازدواجية ليست حكرًا على العربية وحدها[2]، فهي شأن اللغات جميعًا، وتجيء ضمن السياق التطوري الطبيعي لأية لغة، بل هي إحدى أهم السّمات الحضارية للشعوب، والتسليم بها أمرٌ طبيعي ومنطقي؛ إذ هو تسليم بالواقع اللغوي السائد من جهة، واعتراف بطبيعة التوسع الحضاري للغات، وأنّ من المستحيل في خضَم البشرية وقانون تطورها تظل اللغة معزولة دون أن تتأثر؛ كونها تواكب حالة من التطور والتغيّر الذي يطال كل شيء وفقا لسنن الطبيعة والكون، ومن الطبيعي أن يطال اللغة أيضا، وعليه فلا حرج من وجود الازدواجية اللغوية، مع الاعتراف بكونها مشكلة العصر.

والاعتراف بالتسليم يفضي بالضرورة ومن الطبيعي إلى تراجع اللّغة الفصحى لحساب العامية حتى تطغى العامية في كل قطر على جميع الأصعدة وفي كلّ المستويات الفكرية والاجتماعية والعلمية والثقافية، وما يترتب عنه إزاء الهُوية و الانتماء، ويكون ذلك مدخلا لاستقلالية كل قطر عن غيره،

[1]– المغربي،عبد القادر،أقرب الطرق إلى نشر الفصحى،مجلة المجمع العلمي العربي،دمشق،المجلد3 الجزء7و8 ،ص231-238.

[2] – علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة،مرجع سابق، ص154.

فتتجزأ الأمة وتنفصم عُرى وحدتها، وهذا المدخل فيه ما فيه من المخاطر والأضرار، وهو قبل هذا وذاك دعوة من دعوات الإمبريالية، للتخلّي عن العربية واستبدالها باللغات العامية، فقد"اتّهموها بالصعوبة والتعقيد وأخذوا يشككون أهلها في قدرة لغاتهم على مجاراة العصر، والاتّساع للتعبير عن مستحدثات الحضارة، وبذلوا جهدهم في إحلال العامية محلّها، بدعوى جمود الفصحى وانتمائها إلى عصور خلت وانقرضت وعدم صلاحيتها للحياة وسط هذا الخضم الهائل من النظريات الفلسفية والاجتماعية والسّياسية التي يموج بها القرن العشرون"[1]، ويجب على المشتغلين في حقل التّخطيط اللّغوي والسّياسة اللغوية إزالته، لذلك يسقط هذا الحل، ولا يمكن القبول به حلّا ممكنا على الإطلاق.

2- التّوحّد:

و يُفهم منه أن يصار إلى خيار واحد يصطنع لغة واحدة، خالصة من شوائب الازدواج أو الثنائية. وفي إطاره يمكن اعتماد الفصحى فقط، أو العامية فقط، أو لغة أجنبية فقط. ويتّخذ التّوحّد اللّغويّ عدّة تسميات منها الأحاديّة اللّسانيّة، والتّفرد اللغوي (uniligue) حيث تستعمل هذه المصطلحات حين وصف مجموعة، أو مجتمع يستعمل لغة واحدة لا غير. ومن خلال إلقاء نظرة على الواقع اللّغويّ في العالم فإنّه لا يوجد "بلد متوحد اللّغة ومصير الإنسان أن يكون في مواجهة اللّغات المتعدّدة، لا أن يكون في مواجهة اللّغة الواحدة"[2]، حيث يؤكد الخبراء أنّه:"لا يمكننا أن نتكلّم أبدا لغة واحدة، وهذا مؤداه أن ليس هناك إلاّ التّعدّدية اللّغوية"[3]، ولأنّ الواقع العملي في العالم يشهد على أنّ الأحاديّة اللّغويّة أصبحت استثناء، والتعدّد أصبح هو القاعدة[4].

---

[1]- رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1988،ص266.

[2]- جان لويس كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، مراجعة سلام بزي حمزة، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2008م،ص62.

[3]- جاك دريدا ، أحادية الآخر اللغوية ، ترجمة عمر مهيبل، الدّار العربيّة للعلوم، الجزائر، ط1، 2008م، ص49.

[4]- ينظر المرجع نفسه ، ص19.

واستبدال لغة أجنبية باللغة العربية جملة[1]، كما أشرنا سابقا أمر أراده قوم وسَعَوا له، بوصفه علاجًا ناجحا للازدواج، لكن مثل هذا الاستبدال، يقتضي زمنا طويلا في حساب الزمن،، أو جيلا كاملا، ليتمّ التّحول، ولن يلبث بعد ذلك وقتا طويلا حتى تعود الازدواجية من جديد، حين تنشطر هذه اللغة الأجنبية إلى لهجات محلية متعددة، لنعود مرة أخرى نبحث عن مخرج، هذا فضلا عمّا تحدثه اللغة الأجنبية المصطنعة من شرخ عميق في الانتماء والهوية والثّقافة، وربما تفضي إلى نسيان الذات العربية، والتمرد عليها، ومن ثم الضياع المطلق في حمى البحث عن الذات.

لذلك ولا يمكن أن يكون هذا الخيار مقبولا أيضا. وفي المقابل تظهر الفصحى خيارا له أنصاره وله أبعاده القومية والدينية والحضارية، لكن الذهاب إلى اصطناع الفصحى الكلاسيكية في كل شؤون الحياة أمر يبدو متعذرًا، نظرًا للظروف الموضوعية التي تحيط بها، فهي أي الفصحى ما زالت لغة الكتابة والأدب الرفيع والتراث والدين، ولغة كثير من الوسائل الإعلامية والمؤسسات العلمية والتعليمية، لكنها على مستوى الخطاب الشفوي، تسجل تراجعًا متزايدًا ومخيفًا، نظرًا لسيطرة اللغات المحلية، وهو أمر يدعو وبقوة إلى التفكير بوضع إستراتيجية تعليمية تفضي، إلى إحداث انقلاب جذري وحقيقي في أصول التخاطب اليومي، أو التداول اليومي للغة، ولن يكون ذلك متاحا ما لم يكن هناك اصطناع لبيئة أسرية ومنزلية تمارس الفصحى في كل شؤون الحياة، كي يتمكن الطفل من محاكاة هذه البيئة واكتساب الفصحى منها، وخلق بيئة مدرسية كي يستمر باصطناع الفصحى التي لا يجد بديلا سهلا عنها، ولا منافسا لها، وخلق بيئة لغوية فصيحة في كلّ مكان في الشارع و في السوق والجامعة والمصنع ،وكل أمكنة التعليم ومجالاته، وهكذا.

وإنّه لحل خيالي أن تكون الفصحى صافية دون منازع، لهذا فليس من الممكن اصطناع مثل هذا الخيار مع التسليم بأنه الأفضل والأمثل، لكن الواقع لا ينقاد له.إنّها الازدواجية مرة أخرى،تجعل التحول إلى الفصحى مجرد وهم غير قابل للتحقيق أو ضربًا من الخيال.

[1]–محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى،(مرجع سابق)،ص 73.

يبقى إذا خيار العامية الذي يرتكز على دعوى صعوبة الفصحى واتهامها "بالقصور عن الوفاء بمطالب الخلق المتجدد والإبداع، وَبالعجز تبعًا لذلك، عن مواجهة مقتضيات التحديث والحضارة"[1].وتبعا لهذا التعليل، فإن العامية من وجهة نظر هؤلاء الداعين، تمثل الحل الأفضل والأنسب والأقدر على مواجهة مقتضيات التحديث والحضارة، وتحقيق منسوب هذه السهولة الذي يدعم مثل هذه المواجهة التي تجيء في سياق ما يمليه التحيز الثقافي الفعال، والتميز الحضاري الجاد.

ولتحقيق ذلك، فإنه يتعين إحلال العامية محل الفصحى في كل مجالات الحياة. ولئن كان للفصحى دور في مجال الكتابة، فإن هذا الدور ينتهي مع هذه الحياة، وهذا يعني إلغاء الفصحى من حياتنا وإقصاءها عن تفكيرنا. هذه الفصحى التي كتب بها تاريخنا وتراثنا عبر قرون طويلة. وإنّ الدعوة إلى العامية يحمل في ثناياه دعوة أخرى أشد وأشنع، تتمثل في "قطع الصلة بين مستقبلنا وماضينا وحرمان أجيالنا القادمة من الإفادة من تراث أجدادهم[2].

إنّ التّحوّل إلى العامية خيار خطير يعصف بوحدة الأمة، ويذهب بريحها وقوتها، ومع أنه خيار لم يعد قائمًا أو مقبولا، وقد انحسر وانتهى إلى "موقف بين بين، يتمثل في جدوى دراسة اللهجات العامية لتأهيل المشترك بينها وبين الفصحى[3]، إلّا أنّه يظلّ على الدوام خيارًا مرفوضًا، وذلك للأسباب الآتية:

إنّ العامية عاميات متعددة وكثيرة، فأية عامية نريد؟ وهل يمكن أن نرغم المصري على اصطناع عامية العراقي، أو الجزائري على اصطناع عامية السعودي؟ أم هل من الممكن إرغام القاهري اصطناع عامية الإسكندراني، أو القسنطيني استعمال عامية العاصمي مثلا؟ وغيرها من العاميات في كلّ مدينة أو في كلّ قرية، وهل هذا ممكن؟

---

[1]- نهاد الموسى، الثنائيات في قضايا اللغة من عصر النهضة إلى عصر العولمة، دار الشروق للنشر، عمّان، الأردن، ط1، 2003م ص35.

[2]- محمود،إبراهيم كايد، العربية الفصحى، (مرجع سابق)،ص75

[3]- نهاد الموسى،الثنائيات،(مرجع سابق)،ص32.

إنّ الدعوة إلى العامية دعوة إلى التجزئة والتحلل، وهي فوق ذلك انفلات من الروابط الجامعة، ونفي للمشترك، وفي ذلك تهديد خطير لوحدة الأمة وتآلفها، وإيذان بذهاب ريحها وفشلها واندثارها ولعله من هذا الباب أُهملت اللهجات العربية القديمة، ولم توثق منذ عصور الفصاحة، حتى لا تكون دافعًا للعصبية القبلية التي قد تودي بوحدة الأمة وقوتها، فجاءت تبعًا لذلك مشوهة ومبتورة ومجهولة المصدر.[1]

إنّ الدعوة إلى العامية، تجيء في سياق المدّ الغربي الأوروبي والأمريكي في وقت فقدت فيه الأمة العربية تماسكها ووحدتها، وطحنتها الصراعات المذهبية والإقليمية والسياسية، وخضعت لهيمنة استعمارية متعددة الأجناس والأغراض، وتحولت إلى دويلات متعددة المذاهب، تعيش واقعا متخلفا ومزريا، فماذا بقي للأمة كي تخسره بعد هذا الخسران ، أكثر من لغتها التي تمثل هويتها الثقافية والتراثية والدينية؟

إنّ العامية، على تعددها وتنوعها، غير قادرة على الوفاء بحاجات الأمة، فمهما بذلت من جهود لتقعيدها وتقنينها وتسويقها، فإنها تظل، بالرغم من ذلك كلّه، عاجزة عن الوفاء بحاجات التعبير فهي لا تستطيع أن تمدّ الفرد بما يحتاجه من ألفاظ أو أساليب تعبيرية مناسبة لحواره أو كتابته أو تفكيره، ولو تحقق لها بعض ذلك، وإلى حد ما، في مجال الحوار، فإنها تبقى عاجزة تمامًا في مجال الكتابة، وحتى في مجال الحوار،فإنها لا ترقى إلى التعبير عن الأمور الثقافية أو الفكرية، أو الفلسفية، و المتحدث باللّغة الفصحى يستعيد منها ما يشفع له من مصطلحاتها وَصيغها وتراكيبها[2].

إنّ العامية لا تناسب اللغة الإعلامية، ولا تصلح لها، ولا تفي بحاجتها، فوسائل الإعلام على اختلافها وتنوعها، تصطنع لغة هي أقرب إلى الفصحى، وتخضع لقواعدها وأساليبها التعبيرية، ولأنها أي اللغة الإعلامية مرشحة لأن تكون اللغة السائدة في عصر العولمة والتقنيات والفضائيات، فإن الاهتمام بها يجيء في سياق الاهتمام بالفصحى، ودخول العامية هنا أو اعتراضها يفسر هذا التوجه

[1]– الجندي، أحمد علم الدين،اللهجات العربية في التراث، مطابع الهيئة العامة للكتاب، مصر،1965م، ص85.

[2]–وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة،(مرجع سابق)،ص151.

ويقلل من هذا الاهتمام، لذا اقتضى تنحية العامية وإقصاءها وتجاوزها، وتطوير لغة الإعلام كي ترقى إلى الفصحى لتصبح اللغة الإعلامية هي اللغة الفصحى بامتياز، وتصبح وسائل الإعلام بهذا التحولً، جزءًا من الحل لا جزءًا من المشكلة.

إن العامية خلف الفصحى غير ثابتة على حال واحدة، فهي عرضة للتطور في أصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها[1]، وبذلك يتحقق الازدواج من جديد، واصطناع العامية لغة رسمية سوف يقضي باصطناع ما ينجم عنها من عامية جديدة بعد فترة وجيزة أو غير طويلة، تبعًا لقانون التطور الذي يصيب اللغات جميعها. لهذه الأسباب ونحوها، لا يمكن القبول بالعامية بديلا عن الفصحى فما الحل إذا؟ يبقى خيار آخر يتجلى في التقريب بين العامية والفصحى، شريطة أن ترقى العامية إلى الفصحى وليس العكس.

3- المقاربة بين العامية والفصحى(العربية المعاصرة):

يرى الكثير من المراقبين والدارسين أن العامية تتجه يوما بعد يوم إلى ما يسميه بعض الباحثين بالعربية الوسطى أو اللغة الثالثة، أو لغة المتعلمين المحكية[2]، أو دارجة المثقفين، كما تتجه إلى ما يسميه آخرون بالعربية الحديثة أو المعاصرة[3] أو "اللغة العربية المعاصرة"[4]، أو"الفصحى المعاصرة"[5]،أو "فصحى العصر"[6]، أو"اللغة العربية المشتركة"[7]، أو غيرها من الألفاظ والاصطلاحات.

والعربية المعاصرة تقوم أساسًا على أصول الفصحى في كل مستوياتها؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وهي خلفا لكل اللغات العالمية الحية، تحافظ على نسقها العام، ولا تتبدد أو تتغير

[1]- عبد الواحد وافي، فقه اللغة،(مرجع سابق)،ص152.

[2]- نهاد الموسى، قضية التحوّل إلى الفصحى،(مرجع سابق)،ص25.

[3]-كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1969م، ص123.

[4]- الطيب،عبد الله،اللغة العربية المعاصرة، " محاضر جلسات المجمع اللغوي العربي،الدورة43، 1978م، ص255.

[5]- شوقي ضيف،،الفصحى المعاصرة،" محاضر جلسات المجمع"،الدورة 44 ،"مجلة مجمع اللغة العربية"، القاهرة،الإدارة العامة للتحرير،الجزء41، أيار،1978م، ص91.

[6]- بدوي السعيد، مستويات العربية المعاصرة في مصر،دار المعارف، القاهرة1973 م،ص127.

[7]- إبراهيم أنيس ،مستقبل اللغة العربية، معهد الدراسات العربية، القاهرة،1960م، ص48.

تغيرًا جذريًا أو كبيرًا كما هو حال معظم لغات العالم[1]، والسر في هذا الثبات النوعي، يكمن في ارتباطها بالقرآن الكريم، حيث حافظ القرآن من جهته على نسقها العام، وجعلها مفهومة على الدوام

والمستوى الكتابي للعربية المعاصرة هو من الفصحى باتفاق، إنما يبقى الخلل في التلفظ والخطاب حيث تميل العربية المعاصرة إلى التسكين وخاصة في أواخر الكلمات، وعند الوقف، وهو أمر يخرج إلى حد ما عن طبيعة الفصحى المعربة التي تمنح الأواخر حركاتها المناسبة، لكن التسكين الذي تنتهجه العربية المعاصرة، أو يطغى على ألسنة الناطقين بها، يظل أمرًا هينا إذا ما قيس بالعامية ومقبولا ضمن إطار العربية الفصحى ويستند إلى سنن العرب في نطقهم، وهو لا يعكس فقدان الإعراب بشكل مطلق، وإنما بعضه، وبخاصة في الأواخر وعند الوقف، ويذكر ابن خلدونً في مقدمته أن فقدان الإعراب[2]، أو بعضه ليس بضائر للغة العرب ما دامت تبين عن مقاصدها وتؤدي وظيفتها والغرض منها.

والإسكان أو قطع الحركة الإعرابية، ليس بالأمر الغريب أو المنكور في العربية الفصحى، وقد رأت لجنة اللهجات بمجمع القاهرة[3]، في دراستها لهذه الظاهرة، وإمكان ذلك وجوازه، وقد أورد السيوطي بعض الشواهد الدالة عليه من القرآن والشعر، ثم قال:"اختلف في جواز حذف الحركة الظاهرة، من الأسماء والأفعال الصحيحة على أقوال، وقال ابن مالك، إن أبا عمرو حكاه عن لغة تميم"[4].ويروى عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال: أنّ العرب كانت تجتاز بالإعراب اجتيازا[5]، ويُذكر عن ابن أبي إسحاق أنّ العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه[6]، ويُعزى ليونس قوله: العرب تشام الإعراب

[1]- فايز الداية، الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دارا لملاح، دمشق، ط1، 1978م. ص119.

[2]- ابن خلدون، المقدمة(مرجع سابق)، ص558.

[3]- عدنان الخطيب، وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته 44،في" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني " العدد2، المجلد1، تموز،1978 م، ص149 .

[4]- جلال الدين السيوطي ،المتوفى911هـ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار المعرفة، بيروت، 54/1.

[5]- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، دار التراث، القاهرة،1977م ،ص65.

[6]- ينظر، المرجع نفسه ،ص65.

ولا تحققه، وذكر أبو الخطاب أن إعراب العرب الخطف والحذف[1]، وكان الأًصمعي يختلس الإعراب حين يقول وينشد.

كل ذلك أو بعضه مؤشر قوي إلى أن الإعراب أو تحقيق الإعراب ليس شرطا للفصحى، وأن الفصحى التي تحقق الإعراب هي التي طرأت بعد شيوع اللحن أيام الفتوحات، وخاصة بعد بدء عهد تدوين العلوم وتقعيدها. إنها فصحى النحويين والمتكلمين، وليست فصحى الشعراء والمحققين من الرواة.

وعليه، فإن تعميم الفصحى المعاصرة وجعلها متداولة على مستوى الكتابة والخطاب، وهو الحل الأنجع لتجاوز مشكلة الازدواج اللغوي، وهو الحل الواقعي الوحيد والممكن، وبخاصة في عصر العولمة والإعلام. ويمكن تحقيقه ذلك؛ جلّه أو بعضه، بآلية أو برنامج يتمثل على النحو الآتي:

1- المنحى الوظيفي في تعليم اللغة العربية المعاصرة:

«المنحى الوظيفي في تدريس العربية المعاصرة هو تدريسها بطريقة تؤدي إلى إتقان المهارات اللغوية : فهم اللغة مسموعة، وفهمها مقروءة، والتعبير الشفوي والتعبير الكتابي، فوظيفة اللغة أية لغة هي القدرة على الفهم والإفهام، ولإتقان هذه المهارات، لابدّ من اعتبار قواعد اللغة وسائل لإتقان المهارات الأربع السابقة لا غايات في حد ذاتها، وبالتالي يقتصر في تدريسها على ما يحتاج إليه الطالب لإتقان المهارات الأربع»[2].

إعادة النظر في المناهج التربوية والتعليمية المتداولة، بحيث تخلص هذه المناهج لتحقيق هذه القراءة والكتابة الصحيحتين بدءا من رياض الأطفال، تُجعل هذه المرحلة للقراءة والكتابة والتذوق والحفظ فقط، في تدريب التلميذ على محاكاة النصوص الأدبية الرفيعة، ومحاولة فهمها وحفظها وتقليدها

[1]- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، سابق، ص65.

[2]- حافظ إسماعيل علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص64.

ليتسنى لهم بناء ذائقة أدبية من جهة، وخلق مهارة لغوية من جهة أخرى تفضي إلى ترسيخ سلوك لغوي سليم ملتزم بقواعد العربية المعاصرة ومحقق لوظيفتها وخصائصها.

ثم تجيء المراحل المدرسية الأخرى مرسخة لهذا الهدف وداعمة له مع التنويع في مجالات الفكر والعلوم الأخرى، التي يُدعى مدرسوها إلى طرحها وفقًا لمنظور لغوي صحيح وتبعًا لمقتضياته الدلالية والتداولية، وبحسب قانون التعاون والتكامل لخلق بيئة لغوية سليمة، تنمو في ظلها لغة الناشئة نموًا تكامليًا سليمًا. ويُركز خلالها على تعميق القراءة والكتابة وتعميم النطق الصحيح بوسائل أدائية فاعلة ومؤثرة كالشعر والقصة والحكاية والمسلسل والفيلم والمسرح...وغيرها من الوسائل العلمية والتعليمية والإعلامية الحديثة والمتميزة

حيث يتّجه تعليم العربية المعاصرة نحو الوظيفية والنفعية والاجتماعية، إذ لا فائدة من تعلم أي مادة إذا لم يكن لها نفع اجتماعي وفائدة للمتعلم في تفاعله مع أقرائه، ومع المجتمع الذي يعيش فيه، بمعنى أن تعليم اللغة لا يكون عن طريق تلقين مجموعة من القواعد للمتعلمين في مختلف المراحل الدراسية وتحفيظهم لها، والمطالبة باسترجاعها في الاختبارات المختلفة، لأنّ ذلك لا يؤهل المتعلم لاستخدام اللغة وممارستها في مختلف المواقف التي يعيشها، فتعليم قواعد اللغة إذا هو وسيلة وليس غاية في ذاتهومن ثمَّ فإنّ الغرض من تدريس القواعد هو ربط اللغة بمواقف الحياة المختلفة، بحيث يمتلك الفرد القدرة على التعبير السليم، مدركا بذلك وظيفة الصوت في الكلمة، ووظيفة الكلمة في الجملة ووظيفة الجملة في الموضوع، ومن ثم وظيفة اللغة في التعبير عن انشغالاته وحاجاته المختلفة، ولا يكون ذلك إلا بربط تدريس اللغة بالنواحي الوظيفية بما يحقق المهارات اللغوية عند التلاميذ استماعا وقراءة وتكلما وكتابة، وذلك من خلال توظيف اللغة في كل مستوياتها توظيفا صحيحا[1].

وقد انعكس ذلك على مناهج تعليم اللغة في المدارس، «فلابد أن يتجه المنهج اللغوي في تقديم المفردات مثلا إلى المفردات المهمة في حياة المتعلم، وإلى المفردات الأكثر شيوعا في الحياة اليومية ولابد

[1]– ينظر:أحمد عبده عوض، مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية، سلسلة البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2000.

أن يأخذ تعليم التعبير سواء أكان شفويا أم كتابيا طابعا وظيفيا، يرتبط أساسا بمواقف الحياة اليومية اللغوية، حيث يتدرب التلميذ على الحديث في مواقف مشابهة تماما لما يتعرض له خارج الحياة المدرسية، ففي التعبير الشفوي مثلا يدرب على المناقشة، وقص القصص، وإلقاء الأخبار والخطابة وعبارات التهاني والمناسبات والتعليقات ...، ويتدرب في التعبير الكتابي على كتابة الرسائل الشخصية والرسمية، والإعلانات، وبطاقات الدعوة...»[1]، وهذا ما أشار إليه أيضا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عندما نبه إلى بعض المسائل في عملية اختيار المحتوى، بقوله: «إن النظر في محتوى اللغة التي تقدم للمتعلم، ومن ثم السؤال ماذا يجب أن نعلم من العناصر والآليات اللغوية في مستوى معين من مستويات التعليم يتوجه بالوجوه الآتية:

– ليس كل ما في اللغة من الألفاظ والتراكيب، وما تدل عليه من المعاني يلائم الطفل أو المراهق في طور معين من أطوار ارتقائه ونموه.

– لا يحتاج المتعلم إلى كل ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه، بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية، وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية، مما تقتضيه الحياة العصرية.

– لا يمكن للمتعلم أن يتجاوز أثناء دراسته للغة في مرحلة معينة حدا أقصى من المفردات والتراكيب بل وفي كل درس من الدروس التي يتلقاها ينبغي أن يكتفي فيه بكمية معينة، وإلا أصابته تخمة ذاكرية، بل حصر عقلي خطير قد يمنعه من مواصلة دراسته للغة»[2].

فتعليم كل هذه المسائل دون انتقاء للمحتوى، أو بالانتقاء العشوائي لموضوعاته يرهق المتعلم وينال من طاقته الفكرية لقواعد اللغة العربية، مما يؤدي إلى نفور الطلبة من دراستها، ويزيد من استفحال ظاهرة الضعف اللغوي في مستويات التعليم المختلفة، وهذا ما ذهبت إليه بنت الشاطئ في قولها: «الظاهرة الخطيرة لأزمتنا اللغوية هي أن التلميذ كلما سار خطوة في تعليم اللغة ازداد جهلا بها ونفورا

[1]– فتحي علي يونس، محمود كامل الناقة، رشدي أحمد طعمية، تعليم اللغة العربية، أسسه وإجراءاته، شركة عامر للطباعة والنشر المنصورة، ج2، 1987، ص45.

[2]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علم اللسان، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص203.

منها، وصدودا عنها، وقد يمضي في الطريق التعليمي إلى أخر الشوط، فيتخرج من الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطابا بسيطا بلغة قومه»[1] فالالتزام بالاتجاه الوظيفي في تعليم اللغة العربية المعاصرة في المناهج التعليمية أمر ضروري ومهم ولكن الأهم أن يكون الالتزام من خلال خطة واعية بالأبعاد الوظيفية لهذه اللغة، بحيث تمنح الأبواب اللغوية الأكثر استخداما وتداولا مكانة عالية في البرامج التعليمية، وأن نركز على الأساليب التقويمية التي تكسب التلميذ القدرة على توظيف اللغة وممارستها في المواقف المختلفة، ولنجعل منه أداة منتجة للغة لا أداة حافظة فقط.

ومن ثم فان تبني المسلك الوظيفي في تعليم اللغة العربية المعاصرة يوجب تقصي المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها الإنسان ويحتاج فيها إلى استعمال اللغة وحصرها، وتحديد الشائع منها وتبويبها، ثم تكييف ممارستها في قاعة الدراسة مع المتعلمين، وتكييف مفردات المنهج لينسجم ومتطلبات هذه المواقف، لأنّ العلوم لا يقاس إتقانها عن طريق استظهار أحكامها، ولكن عبر القدرة على استعمالها وتطبيقها.

ومن هنا فإنّ تعلم اللغة العربية وتعليمها وفق المنحى الوظيفي يجعل بيئة التعلم أكثر ملامسة للواقع، ويحفز المتعلم أكثر ويدفعه نحو التعلم، فيجعله أكثر اهتماما باللغة لشعوره بقيمتها، والخدمات التي تقدمها له في حياته لأنها السبيل الأمثل الذي يمكنه من مواجهة مختلف المواقف التي يكون فيها هذا المتعلم بحاجة إلى اللغة.

إنشاء أسواق لغوية وأدبية، تعمم من خلالها لغة مشتركة هي باتفاق العربية المعاصرة، ويتم ذلك بتشجيع الناشئة على إنتاج مواد أدبية وإلقائها في مثل هذه الأسواق ونشرها كي تسهم بجعل اللغة المشتركة المعاصرة لغة متداولة في المحافل الأخرى أيضًا.

تعريب التعليم الجامعي، وإعادة النظر في اللغة التي تُعلم بها مواد التخصصات المختلفة، لجعل الجامعة سوقا أخرى مفتوحة لنشر العربية المعاصرة وتعميمها،ويمكن تذليل العقبات المتأتية من

[1]- عائشة عبد الرحمان، لغتنا والحياة، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1971، ص196.

التعريب، بإنشاء مراكز ترجمة تأخذ على عاتقها مواكبة التغيرات والتطورات العلمية ونقلها إلى العربية المعاصرة، وابتداع اصطلاحات جديدة ومناسبة تجعل منها أمرًا معروفا ومألوفا. ومثل هذه المسئولية تقع على عاتق الجامعات ومؤسسات المجتمع المدني من جهة ومؤسسات الدولة من جهة أخرى، كي يتكامل العمل ويتنامى. وكي تضع طلبة العلم والباحثين في صورة كل ما يستجد من معارف وعلوم.

ويجيء في هذا السياق أيضا، تشجيع البحث العلمي باللغة العربية المعاصرة، وجعلإتقان العربية شرطا في التوظيف والتعيين وملء شواغر الوظيفة في شتَّى المعارف والعلوموفي كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

2-دور الإعلام في تطوير اللّغة العربية المعاصرة: تطوير وسائل الإعلام وتطويعها لحمل العربية المعاصرة وجعلها لغتها الرسمية، بحيث تصبح اللغة الإعلامية المستخدمة في وسائل الإعلام المختلفة هي اللغة العربية المعاصرة، وعبر هذه الوسائل الإعلامية يتحقق للغة مجال تداولي واسع، يطال معظم شرائح المجتمع ومختلف الشرائح العلمية والتخصصية أيضا، وتتحول وسائل الإعلام بحسب هذا الطرح، من طرف في المشكلة اللغوية إلى طرف مؤثر في الحل.

و يأتي دور الحاسوب لما له من أهمية في التّواصل و ما أحدثه من ثورة في تكنولوجيات الاتصال الحديثة، بعد أن كانت لسنوات عديدة حكرًا على بعض الأوساط والدوائر الخاصة، حيث نجحت الشركات في تسويقها كمنتوج تواصلي، وجعلتها في متناول أغلب الشرائح الاجتماعية، وقد تعدّت أهمية الأنترنيت مجال التّواصل إلى مجال البيداغوجيا، نظرًا للدور الأساسي و الفعال الذي تلعبه هذه الوسيلة في مجال التّواصل و التنشيط .إنّ إدراك أهمية اللّغة في تشكيل الوعي الإنساني، دفع المهتمين إلى استغلال كل الوسائط والتكنولوجيات الحديثة، قصد تيسير سبل تحصيلها وتوظيفها، ولم يعد الكتاب الرافد الوحيد للمعرفة، بل صارت هناك أدوات جديدة من قُبيل الأقراص المضغوطة والأفلام التعليمية والهواتف الذكية، ومواقع الأنترنيت ومواقع التّواصل الاجتماعي، واتجهت معظم الدول إلى الاستثمار في المبتكرات التكنولوجية بغية ترقية الفعل التعليمي/ التّعلّمي، فأضحى استخدام الإعلام الآلي imformatique، وشبكة المعلومات العالمية internet أمرًا لامناص منه، لما لهاتين الوسيلتين من

أهمية في تتّبع التحولات العالمية، وإدراك المفاهيم الجديدة، فتعددّت مواقع التّواصل على مختلف التخصصات بين المواقع التجارية، والمواقع العلمية، والمواقع الإعلامية والتعليمية، وحتى الترفيهية، وكل ذلك يدخل في الوظائف الإعلامية لشبكة الأنترنيت وبخاصة في ترقية تعليمية اللّغات .

إنّ لغة الأمّة – اللغة العربية المعاصرة مستقبلا- هي التي تعبر تعبيرا حقيقيا عن حاجة الإنسان وعن قدراته، كلّما كانت هذه اللّغة أصيلةً قادرةً على التّعبير على الأشياء، كلّما ساعدت على الإبداع والابتكار، كلّما كانت موظَّفة بصورة سليمة، كانت قادرة على تقدم الحياة والدفع بعجلتها إلى الأمام لقد تبيّن للمتخصصين في هذا المجال أنّ اللّغة العربية لا تستعصي على الاستخدام الآلي والتقني، لذلك يحاول الدارسون أن يتجهوا إلى نقلة تمكن العربية المعاصرة من مواكبة اللّغة الحاسوبية باعتبارها علامات ورموزا، وقيما حسابية [1] ويضرب الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح أمثلة للميادين اللّغوية التي يمكن معالجتها بالاستعانة بالحاسوب، فيذكر التوثيق الآلي والترجمة الآلية، وتعليم اللّغات والتركيب الآلي للكلمات [2] في مشروع الذخيرة العربية الذي عرضه لأول مرّة في مؤتمر التعريب الذي انعقد في العاصمة عمان، الأردن الشقيق سنة 1986م، وهو بنك آلي من النصوص العربية القديمة والحديثة، والإحاطة باللّغة العربية بالجمع والمنع، وبهذه الطريقة يمكن التّمييز بين المستعمل والمهمل من الألفاظ، وأوضح أهمية المشروع في البحوث اللّغوية والعلمية، خاصة على مستوى توحيد المصطلحات ورصد المفاهيم ورصفها وتصنيفها، واستثمار وسائل التكنولوجيا في ذلك [3] ومشروع الذخيرة هذا جدير بالرعاية والمتابعة والتنفيذ، حيث تبنّته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ديسمبر 1988م و وافقت على تمويله في حدود إمكانياتها [4] وهو نفس الصنيع الذي قام به علماء التراث وعلى رأسهم الخليل الذي ابتكر نظام التّقليبات والاشتقاق بأنواعه، واستطاع بواسطته إحصاء اللّغة العربية إحصاءً رياضيا اشتمل على المستعمل من مفرداتها والمهمل، ولم يذكر في معجم العين إلا

[1]- عبد الكريم بكري، اللّغة العربية والتأصيل العلمي، ص 176، مقال منشور.

[2]- المرجع نفسه، ص176.

[3]- يُنظر، الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، ج1، ص 395.

[4]- المرجع نفسه، ص395.

ما كان مستعملا، فقد روى السيوطي عن حمزة بن الحسن الأصفهاني (أنّ الخليل ذكر في كتاب العين عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها، من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار، أثنا عشر ألفَ ألف ... فقد تأمّل الخليل المفردات الثنائية فوجدها تنصرف على وجهين هما صورتها الأصلية، ومقلوبها (**قد و دق**) وهكذا، ونظر في الثلاثية فوجدها تنصرف على ستة أوجه، والرباعية على أربع وعشرين وجها، ونظر في الخماسية فوجدها تنصرف على مائة وعشرين وجها.

الخاتمة

الخاتمة :

نحمد الله أنّنا أشرفنا على الغاية و بلغنا الختام، بعدما توقفنا في هذه الرحلة المضنية مع لغتنا العربية في إحدى ظواهرها الطبيعية، ألا و هي الازدواج اللغوي، وقد قطعنا في هذه الرحلة مسالك شائكة و بذلنا جهودا شاقّة، و قد يكون من غير المتيسّر ولا المناسب في هذا البحث الإلمام بجميع القضايا التي عالجناها، فهي متنوعة و كثيرة، ولسنا نزعم أنّنا استطعنا بعملنا هذا أن نقدم الصّورة الوافية و النهائية عن الازدواج اللغوي في اللغة العربية، فباب البحث لا يزال مفتوحا على مصراعيه، لكلّ من أراد أن يخوض في هذا الموضوع، وحسبنا أن نشير إلى المنافذ المتعددة التي يمكن أن ينفذ منها الباحث لدراسة الازدواج اللغوي، فيجد مجالا للقول و متّسعا للكلام في مستويات استخدام اللغة على الصعيدين الفردي و الجماعي، إذ هي وسيلة الإنسان للتعبير عن رغباته وأفكاره وأحاسيسه، وهي واسطته في تطوير مواهبه، وهي الوسيلة الأساسية لنقل الثّقافات و الحضارات من جيل إلى جيل، ومن أمّة إلى أخرى.

إنّ غاية البحث العلمي في أي مجال، هي الوصول إلى جملة النتائج التّي يتوخّاها صاحب البحث في دراسته التي نشأت تصوّرا و فكرا، ثمّ تكوّنت منجزا قابلا للنقد و التقييم من طرف أهل الاختصاص وهذا ما يتمناه الباحث، ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا أنّ اللّهجات العربية هي مدونات شفاهية تشكّل نظاما لسانيا مترابطا، له قواعده التّي تتحكم فيه، مع بعض الفوارق في الاستعمالات التي يُفترض فيها ألّا تكون متناسقة حتّى على مستوى منطقة واحدة أو فترة زمنية واحدة، فالنّاس لا يستعملون نفس الأقوال و نفس التّراكيب في مختلف المستويات، و هذه نتيجة من نتائج الأبحاث اللّسانية التّي توصّل إليها العلماء في تطبيق المنهج المقارن للموازنة بين اللّهجات العربية المختلفة واللّغة العربية الفصيحة، على غرار الازدّواج اللغوي في القراءات القرآنية والازدّواج في تقعيد القواعد الناجم عن الخلاف بين المدارس النحوية.

إنّ أوّل مظهر يعرف التّطور في أي لغة من اللغات هو مستوى الأصوات، لذا فإنّ أيّ دراسة لغوية تبدأ من الأصوات التّي تتألف منها الألفاظ على غرار ما قام به المفكرون منذ القدم، كالهنود و الصينيين القدامى و الآشوريين و اليونان و الرومان، و بعدهم العرب فقد وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي أصول الأصوات عند العرب، مادامت الدراسة الصوتية أساس كلّ بحث لغوي و ما يطرأ عليها من تغيّر نتيجة التّجاور و التّحاور و الاحتكاك فيما بينها كالقلب و الحذف و الإبدال و الإدغام و المخالفة و التّسهيل وغيرها من الظّواهر،

كصوت الهمزة الذّي حظي باهتمام الدّارسين قدماء و محدثين، فمنهم من وصفها بالجهر، و منهم من وصفها بالهمس، ومنهم من يذهب إلى أنّها لا بالمجهورة ولا بالمهموسة، وهو صوت يصيبه كثير من التّغيير كالإبدال و الحذف و القلب و التّسهيل، و هذه الظواهر عامّة في اللّهجات العربية قديما و حديثاّ و اللّهجات الجزائرية خاصّة ، ولا تَسْلَم من هذه الظّاهرة حتّى اللّغة العربية نفسها، على غرار اللّهجات العربية الفصيحة و القراءات القرآنية.

و يمكن القول: إنّ من أهم النتائج التي توصّل إليها البحث قضايا مختلفة تتصل بمسائل في اللّغة والأدب، التي أصبحت علماً جامدًا لعدم اتّصالها بنصّوص حيّة ترددها الألسن وتتلوها الناشئة صباحاً ومساءً، كتلك التي في القرآن و البلاغة النبوية، كي تتطابق القواعد مع الموضوعات، لذلك يرى البحث أنّ تصويب اللغة لن ينجح في المجتمع العربي إلاّ بترقية لغة الناشئة المتصلة بحلقات الدرس القرآني في المدارس و المدارس القرآنية و المساجد. والإفادة من منهج الأقدمين في تدريس علوم الدين لما لها من أثرٍ روحي ووجدانيّ ومعرفي.

و يمكن القول مرّة أخرى: إنّ الازدّواج اللّغوي أمر طبيعي ينتاب كل لغات العالم، وهو أمر لا يمكن إغفاله أو تجاوزه، وفي الوقت نفسه ليس من الممكن السّكوت عليه، أو الرضا به، لذا اقتضى البحث الدائم عن حلول مناسبة لإنهائه أوً التخفيف من آثاره السلبية، وقد بدا في العربية أكثر وضوحا وأشدّ خطورة وتضاربت الآراء والمواقف حوله، وحاول هذا البحث مناقشة هذه الآراء والمذاهب، وخلص إلى القول بأهمية العمل على التخلّص من الازدواج اللغوي عبر تطوير اللغة العربية المعاصرة أو الفصحى المعاصرة، لتقريبها من الفصحى، ومنحها خصائصها وحيويتها مع شيء من العصرنة والحداثة.

وبالرغم من ذلك، فإن إنهاء الوضع الازدواجي للعربية أمر في غاية التعقيد والصعوبة، لكنّه يظل ممكنًا إذا ما أخلص العمل لإنتاج بيئة لغوية سليمة عبر التخطيط اللغوي السليم والتنمية اللغوية المستمرة، لأنّ اللّغة العربية مقوّمٌ رئيسٌ في هيكل الشّخصية العربية الإسلامية، تتوفر على قدرات وطاقات وإمكانات تمكّنها من التطوّر في المجتمع، والتنمية في مجالات الحياة المختلفة، و مواكبة كلّ جديد، وقد أثبتت وبرهنت على ذلك في عصور قوّة أهلها وعزّة المنتمين إليها.

ويبقى كل ذلك مرهونا بالقرار السّياسي الذي يدفع باتجاه تبني هذا البرنامج التمهيدي في شقيه المنهجي والإجرائي، والذي إن أحسن تطبيقه، فإنه قد يتيح مجالا واسعًا لوضع اللغة الفصحى في مجال تداولي فعال.

فهذه الازدواجية التي نعيشها اليوم، تختلف عن سابقاتها بطغيان العامية فيها على الفصحى وتسلطها عليها بقوة حتى غدت الأكثر تداولا في مختلف المحافل والمناحي والمجالات، وحتى غدت الأكثر انتشارًا والأوسع تأثيرًا والأبلغ استخدامًا في معظم المعارف والعلوم، إلى الحد الذي راحت تشكل معه خطرًا حقيقيًا على الفصحى، الأمر الذي استدعى هذا النفيرً لتحرير الفصحى وإنقاذها وحمايتها من التلاشي وقد كان للأقدمين باع طويل في استجلاء هذا الأمر، وكان أساس انطلاقهم دافعاً قرآنياً ، جعلهم يدرسون لغته ، وتركيبه ، وحقائقه ، وخصائص نصوصه المتميزة عن غيرها من نصوص العربية.

والاختلاف في القراءات القرآنية المتواترة و الضعيفة و الشاذة وما يتصل بها من الصفات الصوتية كالإمالة و الفتح والإدغام والإظهار، وبكل ما تحويه من ثراء لغوي وبلاغي، وما يترتّب عليها من أحكام فقهية وتشريعية ، هي في مجملها تلوين صوتي مناسب وملائم لما تقتضيه طبيعة المدرج الصوتي لكل قبيلة من المسلمين إبّان عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، إذ كان من الصعب أن تقوم كل قبيلة منها باعتماد لهجة قريش والتخلّي عن لسانها ، مخالفة بذلك سنّة الطبيعة البشرية التي تنفر من التغيير الفجائي . ولذا كان التيسير الإلهي على الأمة بقراءة القرآن الكريم على سبعة أحرف تناسب –بما تحويه من ألوان صوتية – لسان كل قبيلة ، وما ذاك إلا مراعاة إلهية جليلة لأحوال البشر في طبائعهم.

والاختلاف النحوي بين البصرة و الكوفة وجه من وجوه الازدواج اللغوي؛ كاتّساعهم في رواية الأشعار، وعبارات اللّغة، ففي حين كانت المدرسة البصرية تشددُ تشددا في الأخذ إلّا ما سمعوه عمّن اعتقدوا أنّهم عرب فصحاء سلمت فصاحتهم من التأثر باللغات الدخيلة، وهم قيس وتميم وأسد وقريش وبعض كنانة وبعض الطائيين، كان الكوفيون يتوسعون في الرواية؛ فيأخذون عمّن سكن حواضر العراق من العرب ممّن كان البصريون يتحرجون في الأخذ عنهم.

وكذلك اختلفوا في مسألة القياس وضبط القواعد النحوية ؛ فقد اشترط البصريون في الشواهد التي يكون منها القياس أن تكون جارية على ألسنة العرب، وأن تكون كثيرة الاستعمال بحيث تمثل اللغة

الفصحى خير تمثيل، أمّا الكوفيون فقد اعتدّوا بأقوال المتحضرين من العرب وأشعارهم، كما اعتدّوا بالأشعار و الأقوال الشاذة التي سمعوها على ألسنة الفصحاء والتي نعتها البصريون بالخطأ والشذوذ حتى قيل: " لو سمع الكوفيون بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً، وبوّبوا عليه بخلاف البصريين."

ممّا ترتّب على الخلاف بين المدرستين اختلاف البلدان التي انتشر فيها النحو في فروع كثيرة جدّا وذهب كلّ منها ينصر مذهبه بأدلة نقلية وعقلية، وفق منهجه، واحتدم الخلاف في ذلك طويلا ، وقد أُلف في بعض هذه المسائل مؤلفات، منها: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات كمال الدين الأنباري (ت 577هـ).

ومن التّوصيات العلمية المهمة للارتقاء بمستوى اللغة العربية، وتعميم الفصاحة اللغوية في المجتمع:

إنشاء كليات تعتمد على المنهج القرآني في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، لتُعلي شأن الكتاب الكريم في نفوس الناشئة مما يجعل السّيادة اللغوية على الألسنة لتراكيبه وعباراته وحكمه وأمثاله.

تعميم الفصاحة اللغوية لن تكون بأجهزة الإعلام والصحافة والمؤسسات التعليمية والعلمية السائدة منذ ما قبل التّحرر، بل ستكون بإنشاء الحلقات الدينية المتصلة بتدارس شؤون القرآن من نحو وصرف وصوت و دلالة و بلاغة و أدب و حكم و أمثال و تاريخ وغيرها ممّا له صلة بالقرآن.

يوصي الباحث القائمين على المؤسسات التعليمية في العالم العربي والإسلامي عموماً وفي الجزائر خصوصاً بإصدار قرار بجعل القراءات القرآنية وتوجيهها مادة أساسية تدرس لطلاب قسم اللغة العربية على غرار الدراسات الإسلامية، فهي لا تقل أهمية عن الشعر والنثر القديم.

يوصي الباحث المجامع اللغوية والأساتذة المتخصصين بمراجعة تعيين القراءات القرآنية التي يمكن أن تكون سنداً للدرس اللغوي العام و للتنظير النحوي و مؤازرة اللّهجات العربية التي جاءت عليها تلك القراءات مما يشدّ الآصرة اللغوية.

إفراد مواد دراسية منهجية مختصة بوجوه الازدواج في النحو والدلالة والصرف والصوت في العربية وبيان وجوه الاختلاف في قضايا اللغة، سواء أكان ذلك الخلاف مدرسياً، أم فردياً بين النحويين واللغويين لما فيه من المقارنة والموازنة والاستقراء.

الاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في مجال التخطيط بشكل عام والتخطيط اللّغوي بشكل خاص وربط معظم المقررات الدراسية بالتكنولوجيا الحديثة و تقوية التنسيق ما بين الجامعات العربية والعالمية الراغبة في التّعاون والتّواصل من أجل تسهيل العملية بكل الوسائل المتاحة .

تبني طرق حديثة في التدريس الإعلامي والاعتماد على الأنترنات والمكتبات العلمية كمصادر أساسية لانتقاء المادة العلمية، واستغلال التكنولوجيا في ترقية وتطوير اللّغة العربية، وتفعيل دور المجامع اللّغوية في الوطن العربي.

الإصرار على ممارسة الفصحى بالتدريج في جميع أنماط الإدارة، مهما حصل من أخطاء، وبذلك يمكن التغلب على أي خطأ وإعادة قراءة التراث بالبحث في خصائص اللّغة، و الاعتناء بالذخيرة اللغوية.

وإذا كانت هذه المقاربة في النتائج والتوصيات محققة للإفادة و شيئاً من الإجادة، فذلك ما أرجو وآمل من وراء هذا العمل...و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع العربية:

–القرآن الكريم برواية ورش .

1. إبراهيم السامرائي التطور اللغوي والتاريخي للغة العربية، دارالمعرفة، بيروت، ط3، 1987 .
2. إبراهيم أنيس ،المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، 1988 .
3. إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2003م .
4. إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللّغة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط 1، 1996م.
5. ابن الجزري؛ أبو الخير محمد(833 ه):النشر في القراءات العشر، تصحيح:محمد الضباع، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة،1988.
6. ابن جنّي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1 ،1952م.
7. ابن حزم، الإحكام، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج1،(دت).
8. ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، المقدّمة، تحقيق، درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 2، 1420ه/2000م.
9. ابن عقيل؛ عبد الله (769 ه): شرح الألفية، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الحديث، القاهرة ، 1995
10. ابن مجاهد؛ أحمد بن موسى (324 ه) ،السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف،ط2، 1988.
11. ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، دار الفكر،دار صادر، بيروت، ط1، 1990م.
12. ابن هشام (جمال الدين الأنصاري)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك و مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
13. أبو البركات بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين، مكتبة الخانجي القاهرة، تح: الدكتور جودة مبروك محمد، ط1، 2002م.
14. أبو البركات عبد الرحمان الأنباري(577ه) ، أسرار العربية، دراسة و تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.
15. أبو الطيب اللغوي الحلبي، الأضداد في كلام العرب، تح: عزت حسن، المجمع العلمي العربي، دمشق، ط2، 1996م.

16. أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط21989م.

17. أبو بكر محمد بن قاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح:حاتم صالح الضامن، دار الثقافة العامّة، بغداد، ج1، ط2، 1987م.

18. أبوبكر الزبيدي، لحن العامة، تحقيق رمضان عبد التواب، ط1، المكتبة الكمالية، 1964م.

19. أحمد الخشاب، الضبط الاجتماعي، أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة القاهرة، 1968.

20. أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1،ج5، 1369هـ.

21. أحمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثنائية، ط1، جامعة مللك سعود،الرياض، 1988م.

22. أحمد مختار عمر: دراسة الصّوت اللّغوي: عالم الكتب، القاهرة، ط1/1985

23. أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجتمع، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2002

24. أحمد يوسف الهزايمة، العولمة الثّقافية واللّغة العربية، (التّحديثات والأثار)، الأكاديميون للنشر، عمّان الأردن، ط 1، 2015م.

25. أحمد يوسف، سيميائيات التّواصل وفعالية الحوار، منشورات مختبر السّيميائيات تحليل الخطاب، وهران، الجزائر، ط 1، 2004م.

26. إسماعيل بن عمر المقرئ عن عبد الله، كتاب لغات القبائل في القرآن، حققه و نشره صلاح الدين المنجد، مط: الرسالة بالقاهرة، ط1، 1365هـ- 1946م.

27. إسماعيل محمود القيام، لغات القبائل في كتب إعراب القرآن، مطبعة الحامد، ط 1، 2008م.

28. الإمام بدر الدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، مكتبة دار الحديث، القاهرة، 2006م.

29. إميل يعقوب، فقه اللّغة العربيّة وخصائصها، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، ط1، 1982م.فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، بحوث ودراسات ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا ط1، 1999 م.

30. بسام بَركة وآخرون، اللّغة والهُوية في الوطن العربي، إشكاليات التّعليم والتّرجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث، الدّوحة، قطر، ط 1، يناير 2013م.

31. بلقاسم بلعرج، الدّارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، دراسة لسانية للهجة بني فتح، (جيجل)، مديرية النشر لجامعة قالمة، الجزائر، 2008م..

32. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ، عالم الكتب ، القاهرة ،1990

33. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255ه), البيان والتبيين، تح:حسن السندوبيّ، المطبعة التجارية الكبرى ط1 ،1926 م

34. جمال حمداوي، التّداوليات و تحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط 1، 2015م.

35. جورج زيدان، اللّغة كائن حي ، دار الجيل، بيروت لبنان ط2، 1989.

36. الحاج عبد الرحمان صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر2007م .

37. حافظ إسماعيلي علوي، التّواصل الإنساني، دراسة لسانية، دار كنوز المعرفة للنشر، عمّان، الأردن، 2012م.

38. حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التّلقي وإشكالاته، دار كنوز المعرفة للنشر، عمّان الأردن ط1، 2018م.

39. حسام البهنساوي، اللّغات الإنسانية، دراسات في النشأة والخصائص و الفصائل، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، د.ط، 2015م.

40. خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الأمل، أربد، الأردن، ط3، 2001م.

41. خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغوية، مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، دار الحكمة، الجزائر،(دت).

42. رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللّغة والهُوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث و دراسة السّياسات، الدوحة، قطر، ط 1، يناير 2013م.

43. سيبويه الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3/1988م، ج3.

44. السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911 ه) الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ط2 ،1989م .

45. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم وسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطيه، ج13 ط1، دار الكتب العلمية، ببيروت،1415ه.

46. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، 1968م.

47. صفاء محمد محمود، مهارات التفكير في تعلّمالعربية، مؤسسة هورسالدولية، ط2، 2011م.

48. الطاهر بومزبر، التواصل اللساني، مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007 .

49. عبد الجليل مرتاض، اللّسانيات الجغرافية في التّراث اللّغوي العربي، دار هومة للطّباعة والنشر، الجزائر، 2013م.

50. عبد الجليل مرتاض، الموازنة بين اللّهجات العربية الفصيحة،دراسة لسانية في المدوّنات،دار هومة للطّباعة والنّشر، الجزائر، 2013م.

51. عبد الرحمن الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت ط4، 1980م.

52. عبد الرحمن أيوب، العربية ولهجاتها، مطابع سجل العرب، ، ط1 ، 1968

53. عبد الرحمن بن محمد القعود، الازدواج اللّغوي في اللّغة العربية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، ط 1، 1997م.

54. عبد السلام المسدي، الهُوية العربية والأمن اللّغوي، دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث، الدوحة، قطر، ط 1، يوليو 2014م.

55. عبد العزيز حليلي، اللّسانيات العامّة و اللّسانيات العربية، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.

56. عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، ط2،1995م.

57. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، دط. القاهرة: دار الفكر،1989م.

58. عبد الفتاح الحموز، سيميائية التّواصل والتّفاهم في التّراث العربي القديم، دار جرير للنشر، عمّان، الأردن، ط 1، 2011م.

59. عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتّخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

60. عبد القادر الفاسي الفهري، ملكة اللّغة العربية في وضع الازدواج والتّعدد، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ، 1993م.

61. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح:محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر،1991م

62. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح:محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط5، 2004م.

63. عبد الكريم غريب وآخرون، التّواصل والتثاقف، منشورات عالم التربية، الدّار البيضاء، المغرب، ط 1، 2010م.

64. عبد الكريم غريب، التّواصل والتنشيط، الأساليب والتقنيات، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1،2008.

65. عبد الله رشدان، علم الاجتماع التربوي، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1999.

66. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،1981م.

67. عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م.

68. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية. القاهرة: 1998م.

69. العربي فرحاتي، أنماط التفاعل وعلاقات التّواصل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010.

70. عز الدين المناصرة، الهُوّيات، والتّعددية اللّغوية، (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، الصايل للنشر والتّوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، د ط، 2014م.

71. علي القاسمي، لغة الطفل العربي، دراسات في السياسات اللغوية وعلم اللغة النفسي، مكتبة ناشرون ،لبنان،ط1، 2009.

72. علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا: النحو الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1 ، 1998م.

73. علي سامي الحلاق، المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، (د ط)،2010م.

74. علي عبد الواحد وافي :اللغة والمجتمع، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، أبريل 1983.

75. علي عبد الواحد وافي :علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط9، 2004.

76. غانم محمد الصّغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت، ط2، 1982م.

77. فخر الدين قباوة ،المهارات اللغوية وعروبة اللسان ،البحوث ودراسات في علوم اللغة والأدب دار الفكر ،دمشق ،سوريا ،ط1، 1999م.

78. محسن علي عطية، مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008 م.

79. محمد الأوراغي، التعدد اللغوي، انعكاساته على النّسيج الاجتماعيّ، منشورات كلية الآداب بالرباط مطبعة النجاح، المغرب، ط1، 2002م.

80. محمد السّعران، اللّغة والمجتمع، رأي ومنهج، المطبعة الأهلية بنغازي اللّيبية، ط 2، 1963م.

81. محمد حفيظ وآخرون، لسانيات، تخطيط، معرفة، وتربية، دار كنوز المعرفة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2016م.

82. محمد حماسة عبد اللطيف، النّحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي، دار الشروق، مصر، ط1، 2000.

83. محمد خان، اللهجات العربية و القراءات القرآنية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

84. محمد خطابي، لسانيات النص،مدخل إلى انسجام الخطاب،المركز الثقافي،بيروت،ط1، 1991

85. محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، دار التركي للطباعة، طنطا، (دط)، 1996م.

86. محمد محمود مهدي، مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997..

87. محمد نادر سراج، التّواصل غير الكلامي بين الخطاب العربي القديم والنّظر الراهن، الفكر العربي المعاصر، لبنان، العددان 81-82، 1990.

88. محمد نافع العشيري، مفاهيم سوسيو لسانية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2012م.

89. محمد يوسف الهزايمة، العولمة الثقافية واللّغة العربية، التّحدّيات والآثار، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ، 2015م.

90. محمود السيد، اللغة العربية "واقعا وارتقاء"، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، سوريا، دط، 2010 م.

91. محمود فهمي حجازي، اللّغة العربية في العصر الحديث:قضايا ومشكلات، دار قباء للطباعة، القاهرة،1998م.

92. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار الثقافة ،القاهرة، 1992م.

93. محمود فهمي حجازي،مدخل إلى علم اللغة، المجالات والاتجاهات، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2007 .

94. محي الدين محسب، في اللّسانيات الاجتماعية، ترجمات، دراسات، مقالات، دار كنوز المعرفة للنشر، عمّان، الأردن، ط1، 2018م.

95. مختار الغوث، لغة قريش، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، المملكة السعودية، ط1،1997م.

96. مصطفى صادق الرافعي،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،دار الكتاب العربي،بيروت، 1973.

97. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر، ط1، 2013م.

98. مهدي المخزوميّ، مدرسة الكوفة، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1958م.

99. ميشال زكريا، قضايا ألسنية و تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط 1 ، (دت) .

100. ميمون مجاهد، التخطيط اللّغوي لحالات التعدّد، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016م.

101. نادية رمضان النّجار، تصنيف اللّغات و فصائلها، مؤسسة حورس الدّولية للنّشر والتّوزيع، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2015م.

102. نهاد الموسى، قضية التحوّل إلى الفصحى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ط 1، 1987م.

103. نور الدين رايص،سر التواصل، التعبير الشفوي والكتابي، مطبعة فاس، المغرب،(دط)،(دت).-

أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006

104. هادي نهر، اللّسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، أربد، الأردن، 2010م.

105. هادي نهر،علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرة، بغداد، ط1، 1988.

المراجع المترجمة إلى العربية:

106. جاك دريدا،أحادية الآخر اللغوية،تر: عمر مهيبل، الدّار العربيّة للعلوم،الجزائر،ط1، 2008

107. جورج مونان، تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين، تر: الدكتور بدر الدين القاسم،مطبعة جامعة دمشق، الجمهورية العربية السّورية، 1972م.

108. فان دايك، النّص والسّياق،استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي تر:عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان، ط، 2000م.

109. فرديناند دي سوسير، الألسنية العامة، تر: وئيل يوسف عزيز، آفاق عربية، 1985م.

110. كيس فرستيغ، اللّغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، تر، محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة، مصر، ط 1، 2003

111. لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللّغوية، تر: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط12008م

112. هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، نصر حامد، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ط2، 1990م.

113. يوهان فك،العربية،دراسات في اللغة واللهجات،تر:عبد الحليم النجار،الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ،2006.

المقالات والدّوريات والرسائل الجامعية:

114. أحمد عبده عوض، مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية، سلسلة البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2000م.

115. بلال دربال، السيّاسة اللغوية المفهوم والآلية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ع10، 2014م.

116. خالد عبد السّلام، دور الأم في تعلّم اللّغة العربيّة الفصحى،(رسالة ماجستير تخصص أرطوفونيا)، وزارة التّعليم العالي، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2012/2011 م.

117. راضية مرجان، تأثير التّخطيط اللّغوي على النّظام التربوي في المدرسة الجزائرية، الملتقي الوطني حول التّخطيط اللّغوي، مخبر اللّغة،جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ج2، ديسمبر2012م.

118. سعد بن طفلة العجمي، العربيني، الكتابة العربية بالأحرف اللاتينية، ص 7 مقال منشور.في الأنترنات.

119. سمرة رفاس، إشكالية التّعايش اللغوي في المجتمع الجزائري، مجلة الممارسات اللّغوية، مخبر اللغة ، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ع24، 2014م.

120. الطاهر لوصيف، منهجية تعليم اللغة، رسالة ماجستير، إشراف خولة طالب الإبراهيمي،الجزائر، 1996.

121. عبد القادر سنقادي :نافذة على علم الاجتماع اللغوي، مجلة معارف، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، العدد: السابع، ديسمبر 2009.

122. محي الدين محسب :اللغة والسياق الاجتماعي، مجلة الخطاب الثقافي، جمعية اللهجات والتراث الشعبي في جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الثاني، خريف 2007.

123. مصطفى الخشاب، الفلسفة و علم الاجتماع، مقال في مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام الكويتية، المجلد2، العدد2، سبتمبر 1971م.

124. المغربي،عبد القادر،أقرب الطرق إلى نشر الفصحى،مجلة المجمع العلمي العربي،دمشق،المجلد3 الجزء7و8،ص231-238.

المراجع الأجنبيّة:

125. Austin.J.L,quand diRe c'est faire, traduction et introduction de Gilles lane ED, seuil, paris, 1970.

126. Christian Baylon, Xavier Migno, la communication, Nathan, paris,1999..

127. dubois et autres: Dictinnaire de linguistique, paris, larousse, 1973 .

128. Marie-Louise Moreau, Marc Richelle, l'acquisition du langage, éditeur pierre Margada 5eme, edition, bruxelle, 1997.

129. Nyrob (k).grammaire historique de la langue française, paris piccard vol 1,1930.

130. Roger Mucchielli, communication et réseau de communication: E.S.F Paris, 1976.

131. Chomsky Naom, théorie du language,et de l'apprentissage Ed, seuil, paris, 1979.

132. Chomsky Noam, Aspectes de la théorie syntaxique, traduit par, Jean Claud Miluer

133. dubois et autres: Dictinnaire de linguistique, paris, larousse, 1973.

134. Jean Cazeneuve, Les pôles de la communication, in l'univers, philosophique, 1991.

135. Lionel Bellenger, Expression oral une approche nouvelle de la parole expressive ESF-Enterprise ,moderne d'édition, 1984.

136. Malika koudache, La Langue des néo alphabétisé,la langue arabe standard en Algérie, thèse de doctorat université de Stendhal, Grenoble III, France, 2003.

137. sapir edward : the status of linguistics as a science in languge vol 05, n 4, 1929-

Bernard Spolsk: socioguistics, Oxford University Press, First Published, 1998.

138. - William Francis Mac Key, Bilinguisme et contact des langues, Paris 1976.

فهرس الآيات

السّورة	الآية	رقم الآية	الصّفحة
البقرة 2	﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ﴿لَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ :﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾.	217 37 60 30 142 218 27 102	36 39 112 52 52 52 12 25
3-آل عمران	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾	41	155
4-النّساء	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾	82	83
5-المائدة	﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	54	36
6-الأنعام	﴿ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	150 55	36 45
7-الأعراف	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾	194	40
9-التوبة	﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾	128	112
12-يوسف	﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾	31 35 30	39 47 115
14-إبراهيم	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾	4	2
15-الحجر	﴿ قالَ وَمَنيَقنَطُ مِن رَحمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضّالّونَ﴾	56	95
16-النّحل	﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ	103	83
17-الإسراء	﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا	88	88

	الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	88	25
19-مريم	﴿ يُيَحْيَىٰ ﴾ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾	12 29	101 155
20-طه	﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾	63	38
23-المؤمنين	﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾	27	8
24-النور	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾	62	132
26-الشعراء	﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾	195	83
28-القصص	﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ ﴾	34	14
30-الروم	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ ﴿ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾	22 22	54/21 74
31-لقمان	﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾	19	36
33-الأحزاب	﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾	37 28 18	7 8 36
34-سبأ	﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾	19	52
37-الصّافات	﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾	22	8
39-الزّمر	﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	27/26	23
42-الشّورى	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾	27	95
44-الدّخان	﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾	54	8
49-الحجرات	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	14 13	2 128

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا ﴾	9	21	
﴿ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾	7	8	50-ق
﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾	49	8	51-الذّاريات
﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ٣٣ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾	**32/33**	23	52-الطّور
﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾	20	47	53-النّجم
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾	2 4/1	16 28	55-الرّحمن
﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ ﴾	2	39	58-المجادلة
﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾	17	115	69-الحاقة
﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	13	115	71-نوح
﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾	31	115	80-عبس
﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾	11	100	81-التّكوير
﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾	**1**	111	108-الكوثر

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

كلمة شكر

اهداء

مقدمة .....أ

المدخل:

العلاقة بين اللغة والمجتمع

توطئة

.....13أوّ

لًا: مفهوم اللّغة في اللّسانيات الاجتماعية 14

-1الحقيقة اللّغوية لمصطلح اللّغة.....20

-2الحقيقة الاصطلاحية(الاجتماعية 21

-3اللغة في الفكر الاجتماعي العربي: 22

-4اللّغة في الفكر الاجتماعي الغربي.....25

-5 الوظيفة الاجتماعية للّغة

.....26ثـ

انيًّا:علم الاجتماع أو السوسيولوجيا:..... 28

-1تعريف علم الاجتماع: 29

-2 نظرية الظبط الاجتماعي:.....33

-3علم اللغة الاجتماعي: 35

-4نشأة علم اللغة الاجتماعي: 38

-5اتّجاهات و اهتمامات علم اللغة الاجتماعي : 40

-6اللغة و المجتمع و الثقافة:

.....

417 -السّياسة اللغوية:.....

43

-8أهداف السياسة اللغوية. 45
-1-8توصيف الوضع اللغوي:. 46
-2 -8رصد الظواهراللغوية:.....46
-9اللغة و الطبقة الاجتماعية: 49
الفصل الأوّل:
الازدّواج اللّغوي مفهومه ونشأته و تاريخه.
توطئة:.....53
إشكالية المفاهيم المصطلحية في اللّسانيات الاجتماعية.....58
أوّلًا: الازدواج اللّغوي كظاهرة مصطلحية 58
1-الحقيقة اللّغوية:..... 60
2-الحقيقة الاصطلاحية:.....60
3- تعالق الازدواج اللّغوي مع بعض المصطلحات اللّسانية:.....67
3-1-اللهجة 67
3-2-الأحادية اللغوية:.....72
3 -3-الثّنائية اللّغوية:.....73
3-4-التّعدد اللّغويّ :.....74
4-أهمية دراسة اللهجات:.....75
ثانيًا: الازدواج اللّغوي كظاهرة تاريخية: 78
1 -الازدواج اللغوي في الفكر الغربي:..... 78
1-1-نظرية تشارلز فيرغسون:..... 78
2-الازدواج اللّغوي في الفكر العربي:..... 83
ثالثًا: الازدّواج اللّغوي بين اللّهجات العربية و القراءات القرآنية.....84
1-اختلاف القراءات:.....90
2-شبه الجزيرة العربية: 94
3-الأحرف السّبعة:.....95

4-الازدّواج اللّغوي في المستوى الصّوتي:..... 99
4-1-ظاهرة الهمزوالتخفيف:..... 99
4 -2-ظاهرة التفخيم والترقيق..... .100
4-3-ظاهرة الفتح والإمالة:..... 100
4-4ظاهرة الإدغام والإظهار: 101
5الازدّواج اللغوي في المستوى النّحوي:.....103
5-1الاختلاف في الإعراب: 103
-6الازدواج اللغوي في المستوى الصرفي..... 106
6-1 الإبدال في الحروف:..... 107
6-2 الإبدال في الحركات: 111
7- الازدّواج اللّغوي في المستوى الدّلالي:.....114
7-1 المشترك اللفظي:.....116
7-2التضاد:. 118
7-3لترادف:.....121

الفصل الثّانيّ:

التّواصل الاجتماعيّ

توطئة:.....127
أوّلًا: التّواصل الاجتماعي:.....127
1-مفهوم التّواصل:.....129
2-مفهوم التواصل الاجتماعي: 132
3-أنواع التّواصل الاجتماعي:.....133
4 -عناصر التّواصل الاجتماعي:.....134
5-أشكال التّواصل الاجتماعي: 139
5 -1-التّواصل اللّفظي:.....139
5-2-التّواصـــل غير اللّفظي:.....148

ثانيّا: التّواصل الاجتماعي في التراث 161
1- التّواصل الاجتماعي عند الجاحظ: 162
1-1البيان عند الجاحظ: 164
1-2 أشكال التّواصل الاجتماعي عند الجاحظ: 171
1-3 عناصر التّواصل عند الجاحظ:.....174
-2-التّواصل الاجتماعي عند عبد القهار الجرجاني:.....180
ثالثا: التّواصل الاجتماعي في الفكر اللساني الغربي:.....180
-1الاتّجاه البنيوي:.....182
-2الاتجاه الوظيفي: 186
2 -1-وظائف التواصل اللغوي عند رومان جاكبسون: 189
-3الاتجاه التّداولي :.....195
3-1-مفهوم التّداولية: 197
3-2-أفعال الكلام عند أوستين و سيرل:.....199

الفصل الثّالث

الازدّواج اللّغوي في الجزائر

أوّلا: الوضع اللّغوي في الجزائر.....203
توطئة:.....203
-1المغرب العربي قبل العهد الإسلامي: 204
-2المغرب العربي بعد الفتح الإسلامي 205
-3توصيف الوضع اللغوي في الجزائر:.....207
3-1-اللّهجات العربيّة: 208
3-2-تعريف اللهجة العاميّة: 209
3-3-اللغة الأمازيغية:.....210
3-4-اللّغة الفصحى:..... 212
3-5-اللّغة الفرنسية:.....213

3-6-اللّغة الإنجليزيّة: 216
4-آثار الازدواج اللغوي في التواصل الاجتماعي 217
4-1-التّداخل اللّغوي : 218
4-2-الهجين اللّغوي : 221
4-3-الكتابة بالأحرف اللاتينية : 223
ثانيّا: السّياسة اللغوية في الجزائر بعد الاستقلال: 225
-1السّياسة اللّغوية:.....226
1-2-مفهوم السّياسة اللّغوية:.....226
1-3-مبادئ السّياسة اللغوية: 229
1-4-أهداف السياسة اللغوية: 230
2-التّخطيط اللّغوي ودوره في التّنمية اللّغويّة: 233
2-1-التّخطيط اللّغوي مفهومه: 234
2-2-مهام التّخطيط اللّغوي:.....236
2-3-سياسة التّعريب: 238
3-التّعريب في الجزائر:.....241
ثالثًا: الحلول الممكنة لمشكل الازدواج اللغوي:..... 245
1-التّسليم بالازدّواج اللّغوي:..... 246
2-التّوحّد: 246
3-التقريب بين العامية والفصحى: 251
4 -المنحى الوظيفي في تعليم اللغة العربية: 253
5-دور الإعلام في تطوير اللغة العربية.....257
الخاتمة 260
فهرس المصادر والمراجع: 266
فهرس الآيات 277
فهرس الموضوعات: 281

ملخص:

يناقش هذا البحث مشكلة الازدّواج اللّغوي في اللغة العربية المتمثل بغلبة العاميّات المتعددة على الفصحى في مجال الخطاب الشّفهي، وهي واحدة من أهم قضايا علم اللّغة الاجتماعي المطروحة في السّاحة النقدية، وأكثرها مساساً بحياة الإنسان بجانبيها العملي والعلمي، وينقسم هذا البحث بشكل عام إلى قسمين رئيسيين: أما القسم الأول فهو نظري يتناول مفهوم الازدواجية عربيا وعالميا، ويقف على العوامل الأساسية التي أدّت إلى إفراز الازدواجية، مبيّنًا حدود الظّاهرة وتاريخها ومظاهرها اللغوية من جهة، ووجوه المشكلة فيها من جهة أخرى، ثمَّ يطرح جملة من الحلول الواقعية والممكنة، وأما الجانب التّطبيقي من البحث، يتحدّث عن الخطاب الشفوي المتداول في المجتمع الجزائري، حيث أنه لم يخلُ من العامية، ولكن دون أن يخلّ بالفصيح. فجاء البحث موسوما، ب:"**الازدواج اللّغوي و أثره في التّواصل الاجتماعي"" المجتمع الجزائري أنموذجا**".

ويرى الباحث أنَّ ثمة حلولا واقعية وممكنة، يمكن إن أُحسن توظيفها أن تقلل من مخاطر العاميّة، أو تحدّ من طغيانها، هذه الحلول هي استثمار جهود العلماء في مباحث علم اللغة الاجتماعيّ بُغية الانتفاع منها في التّنظير والتطبيق و خاصّة في التّعليم، إذ أصبحت المباحث اللسانية زبدة ما توصل إليه الدّرس اللّغوي الحديث، فهو ينظر في التغييرات التّي تطرأ على بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعيّة، فاللغة والمجتمع وجهان لعملة واحدة، فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثّر به.

الكلمات المفتاحية: الازدّواج اللّغوي، التّواصل الاجتماعي، علم اللّغة الاجتماعي، السّياسة اللّغوية.

Abstract

This research discusses the problem of bilingualism in the Arabic language, which is represented by the predominance of various colloquialisms over classical Arabic in the field of oral discourse. As for the first section, it is theoretical, touching on the concept of duality on the Arab and international levels, and standing on the basic factors that led to the production of duality, indicating the limits of the phenomenon, its history and its linguistic manifestations on the one hand, and the aspects of the problem with it on the other hand, then presenting A number of realistic and possible solutions, and as for the applied side of the research, it spoke from the oral discourse circulating in Algerian society, as it was not devoid of slang, but without prejudice to the eloquent. The research came under the heading: "Linguistic doublespeak and its impact on social communication" "Algerian society as a model".

The researcher believes that there are realistic and possible solutions that, if well employed, can reduce the dangers of colloquialism, or limit its tyranny. What the modern linguistic lesson has reached, as it looks at the changes that occur in the structure of the language in response to its social functions. Language and society are two sides of the same coin, as both are affected by and influence the other.

Keywords: Bilingualism, Social Communication, Sociolinguistics, Language policy**.**